

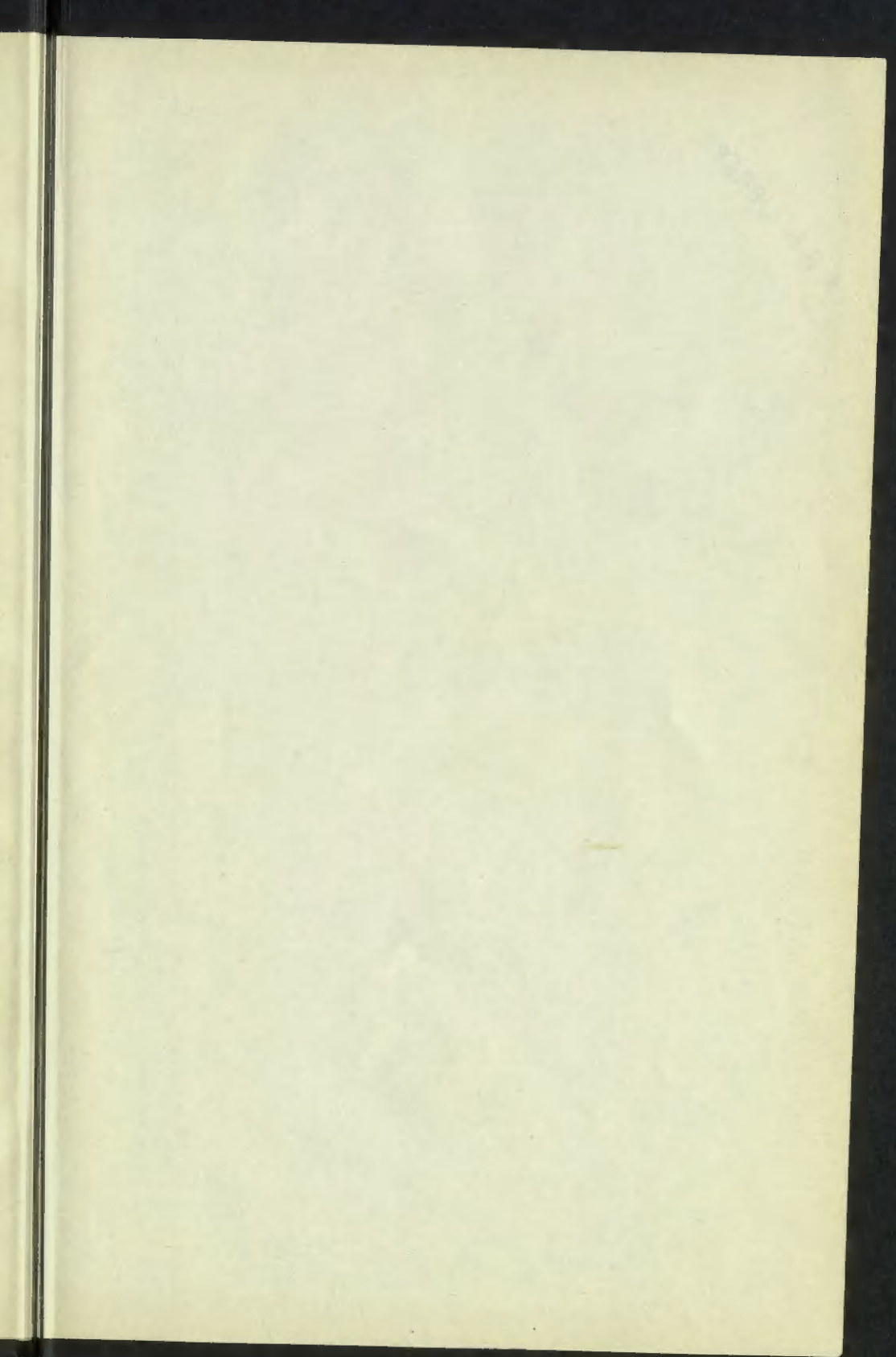
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

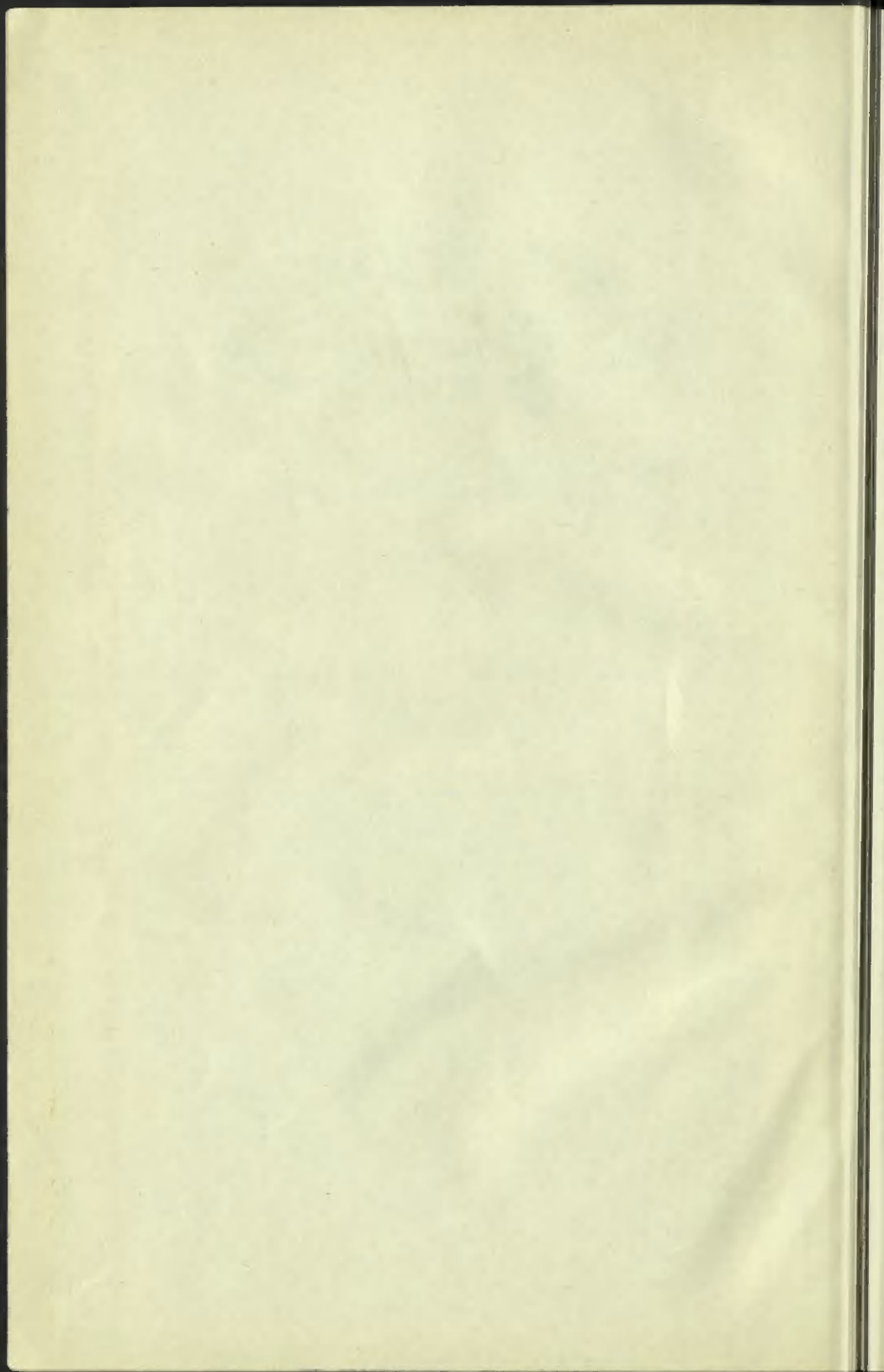


A. U. B. LIBRARY

تجليد صالح الدقر

تلفون ٢٢٢٩٧٧





Replacement

Vol. 900 1942

177.6
I 132A
C.1

كتاب الحب والجمال

طوق الحمامة
في الألف والألف

تأليف

الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي
المتوفي سنة ٤٥٦ هـ

عنيت بنشره

مكتبة عرفت بدمشق

٥

58589

مطبعة البرهان
١٣٤٩/١١/٢٠

Replacement. Vol. from 1942.



23752



﴿ كلمة الناشر ﴾

كان اول معرفتي بطوق الحمامة ان رأيت في مكتبة المجمع العلمي العربي ، فرأيت خير كتاب في وصف الحب ، ودرس ادواره ، وتحليل حوادثه ، واحسن اثر في تراثنا الادبي ثبت للناس ان في ادبائنا من اوتي ملكة التحليل النفسي ، ومن استطاع ان يفهم الحب قبل عشرة قرون كما يفهمه الادباء اليوم ، وعجبت منا ومن هؤلاء المستشرقين كيف عنوانه ، ونشروه وخدموه ، وجهلناه ثم حسبناه كتاب دعارة ومجون فنلنا منه وعرضنا بصاحبه ، ورأيت انه من العار علينا ان يكون الكتاب لنا ثم ينشر في كل لغات الناس قبل ان ينشر بيننا ، ولا نزاع في ان المكتبة العربية لم تغلق على كتاب مثله في فنه ، فعزمت على نشره ليرى ادباؤنا عظمة الادب العربي وعلو ما وصل اليه ، من غير ان تضيرهم قراءته في اخلاقهم شيئاً ، بل انه سينفعهم حين يتحول ابن حزم الى واعظ تقي في فصليه الاخيرين : قبح المعصية ، وفضل التعفف ، وسيرون فيها ما ينقروهم من الرذيلة ، ويحب اليهم مكارم الاخلاق ويبعدهم عن دركات الشر والهلاك فيعملون ان في نشره ابتاء الفضيلة وهدم الفساد وعلى الله التوكل

فقرات

مقتبسة من مقدمة الناشر الاول د. ك. يتروف
الاستاذ في الجامعة الامبراطورية في بطرسبرغ (*)

الاستاذ يتروف هو الرجل الذي استطاع ان يخرج للناس هذا الكتاب القيم ، وقد كاد يضيع فلا يبقى له من اثر ، وقد صدره بمقدمة طويلة ملأت اربع واربعين صفحة بالحرف الفرنسي الدقيق استهلها بشكر من ساعده على نشر الكتاب ، من رجال الادب ومعاهده ولاسيا مجمع العلوم ومعهد الآداب في بطرسبرغ ، ومكتبة جامعة لايد

ثم اهدى الكتاب الى البارون فيكتور روزن...

ثم شرع في ددس الكتاب وصرح انه يختص بهذا الدرس القراء الذين لا يعرفون العربية ، فلم تر لترجمته كبير حاجة ، وانما اخترنا منه هذه الفقرات التي تبين لنا مقدار الجهد الذي يصرفه المستشرقون في سبيل نشر تراثنا العلمي والادبي وتطلعنا على مبلغ اهتمامهم بهذا الكتاب الذي يعد بحق من الاسفار الادبية النادرة المثال عند جميع الامم
قال الاستاذ :

لم يكن كتاب ابن حزم الموسوم بطوق الحمامة معروفاً قبل ان ينشر دوزي في مجموعته لآثار لايد قطعاً منه صغيرة ، ويخصص له بضع صفحات من كتابه " تاريخ الاسلام في اسبانيا ، يترجم فيها بعضاً من حوادث ابن حزم العاطفية وما كان من حبه العذري ، وقد خدمه دوزي وعرف به الناس
ولكن هذا المستشرق لم يشأ او لم يستطع ان ينشر اصله العربي ، فقام من

(*) طبع الدكتور يتروف طوق الحمامة سنة ١٩١٤ في مطبعة بريل في مدينة ليدن

بعده فرنسيسكو بون بواغ يريد تحقيق هذه الامنية التي اوضحها وبين عزمه عليها لكثير من اصدقائه ، والتي مهد اليها بمحاولته تحليل الكتاب تحليلًا عامًا وترجمة فهرسته في مقالة نشرها سنة ١٨٩٩ عن كتاب الملل والنحل ولكن المنية عاجلته ولما يقدر على تحقيقها

ولم يكن في العالم الا نسخة واحدة من كتاب الطوق محفوظة في مجموعة قارتر في لايد وهي كراس مجلد عدد صفحاته ٢١٦ واسطر كل صفحة تتراوح بين العشر والخمسة عشر سطرًا ، واضح الخط مشكول الشعر ، بين العناوين ، والخبر الاحمر مستفيض في اكثرها ، والناسخ يقط جداً لا يخونه قلمه الا نادراً ، وما الغموض (١) الذي يرى في الطوق الا من الاصل والمعنى لامن الخط والنسخ ولكنها ليست بنسخة المؤلف ، وتاريخ نسخها متأخر عن عصره لانها نسخت في سنة ٧٣٨ للهجرة اي في سنة ١٣٣٧ للميلاد بقلم ناسخ مولع بها ، فرح بقدرته على اكملها ، ثم ان الاسطر الاخيرة من الصفحة ١٧٦ تدلنا على ان كاتباً لم نعرف اسمه عمد الى اختصار الطوق وبجازه . واختيار قسم من منظومه الجيد . ولكنه قصر في هذه ايضا ، فلم يثبت في اكثر الاحيان الا سطر البيت ، فنتج من هذا ان الاصل الصحيح للطوق ، لم يصل الينا ونحن نهمل كون الكاتب صرف جهده الادبي الى نسختنا هذه ، او الى نسخة غيرها او الى ثالثة هي اقدم عهداً منهما

ثم قال الاستاذ :

كان ابن حزم فيلسوفاً ومتألفاً ومؤرخاً وعالماً اخلاقياً وكان له اثره العظيم في تاريخ بلاده ، فترك لنا في كتابه طوق الحمامة مرآة جلية تبدو فيها هذه

(١) بذلنا غاية جهدنا في اصلاح الغامض وتصحيح التصحيف وتركنا ما لم

نهتد الى صوابه على علته ونهنا اليه

المواهب على اكملها ، وتوضح فيها مشاهد ذكائه الفنية ، وتظهر لنا فيها نواح عديدة من نفسه ، وهو فوق هذا مرب ، ذو بصيرة وقادة وانتباه عظيم وقصصي ماهر وشاعر لطيف ، وله أحياناً ذوق الناقد الادبي البصير ، مدقق في عادات المعاصرين شريف النفس ، مستقيم السيرة ، اما كتابه فحجم الافكار ، واضح الاسلوب ، لذيذ متع .

ثم عمد الاستاذ الى بيان فصول الكتاب مما يعني عن ايراده الفهرس ■ وعرض الاستاذ في بيانه هذا بتخصيص ابن حزم فصلين من كتابه للكلام على قبح المعصية وفضل التعفف ، ثم تكلم عن تغيير ابن حزم لهذه الحطة التي اختطها لنفسه ووجد له العذر في ذلك فقال :

وقد رجح ابن حزم — كما قال — تصوير الحب ، من مبدأ امره الى ان ينتهي بالموت ، وتعقب ذلك بصفات مبانة له كالتى ذكرها عن الزاني " فخرج على ترتيبه ولكنه ارانا سير الحب الطبيعي وعوارضه ، وكشف لنا عن هنائه وشقائه ثم بدأ الاستاذ بدرس للكتاب ، لا يبدو ان يكون تلخيصاً له يفيد — كما قال هو — من لا اطلاع له على الاصل العربي " وليس له كبير نفع لقراءت فضربنا عنه صفحاً



﴿ ترجمة المؤلف ﴾

مأخوذة من نفح الطيب وابن خلكان ومعجم الادباء واخبار الحكماء ودائرة
المعارف لوجدي • والاعلام للأستاذ الزركلي

نسبه

هو ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف
ابن معد ان ابن صفيان بن يزيد مولى يزيد بن ابي سفيان صخر بن حرب
ابن امية بن عبد شمس الأموي

وطنه

اصل آباءه من قرية اقليم الرواية من كورة نبله من غرب الاندلس واول
من دخل الاندلس من اجداده خلف

مولده

وكان مولده بقرطبة آخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٨٣ وكان ابوه ابو
عمرو احمد بن سعيد احد العظماء من وزراء المنصور محمد بن عبد الله بن ابي
عامر لابنه المظفر بعده

حياته

كان مترجماً وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله ثم هام المعتد بالله ثم نبذ هذه
الطريقة واقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن واوغل في الاستكثار من
علوم الشريعة حتي نال منها ما لم ينله احد قط بالاندلس قبله وقد ناظر الباجي

شارح الموطأ فقال له الباجي انا اعظم منك همة في طلب العلم لانك طلبته وانت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب وطلبته وانا اسهر بقتديل بائت لسوق ، فقال ابن حزم هذا الكلام عليك لالك لانك انما طلبت العلم وانت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وانا طلبته في حين ماتعلمه وماذكرته فلم ارج به الا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة فاحممه

مؤلفاته

وله مصنفات كثيرة العدد شرعية المقصد ومعظمها في اصول الفقه وفروعه وقد روى عن ابنه الفضل المكنى ابا رافع ان تأليفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الادب نحو اربعائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة قال ياقوت وهذا شيء ما علمناه لاحد ممن كان في دولة الاسلام قبله الا لابي جعفر محمد بن جرير الطبري فانه اكثر اهل الاسلام تصنيفاً

نكبه

وكان يحمل علمه ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه وبذل باسراره واستناد على العهد الذي اخذه الله على العلماء من عباده (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) فنفرت عنه القلوب وابتعد عن وطنه وتوغل في البادية سنة ٤٥٦ هـ وهو في ذلك بيت علمه في العامة وبفقههم . ومما نكب فيه حرق مؤلفاته في حياته وتمزيقها علانية من قبل اعدائه وفي ذلك يقول :

وان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائي وبئزل ان انزل ويدفن في قبري
دعوني من اطراق رق وكاعدا وقولوا بعم كي يرى الناس من يدري
والا فعودوا في المكاتب بداء فكم هون ما تبغون لله من ستر

وله من قصيدة يخاطب بها حساده :
انا الشمس في جو العلوم منيرة ولكن عيبي ان مطلعني الغرب
ولو اتني من جانب الشرق طالع لجد على ماضع من ذكرني النهب
الى ان قال :

هناك تدري ان للعبد قصة وان كساد العلم آفته القرب
وان مكاناً ضاق عني لضيق على انه فيح مهامه سهب
وان رجلاً ضيعوني لضيع وان زماناً لم ائل خصبه جذب

طوق الحمامة

ولم يتعرض لذكر طوق الحمامة من مؤلفاته من ترجوه غير المقرئ في نشح
الطيب حيث قال : قال ابن حزم في طوق الحمامة انه مر يوماً هو وابو عمر
ابن عبد البر صاحب الاستيعاب بسكة الخطابين بمدينة اشبيلية فلقهما شاب حسن
الوجه فقال ابو محمد هذه صورة حسنة فقال له ابو عمر لم تر الا الوجه فلعل
ماسترته اشباب ليس كذلك فقال ابن حزم ارتجالاً :

وذي عدل في من سباني حسنه يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن اجل وجه لاح لم تر غيره ولم تدرك كيف الجسم انت عليل
فقلت له أسرفت في اللوم فأتد فعندي رد لو اشاء طويل
أم تر اني ظاهري وانني على ما ارى حتى يقوم دليل
وقد ذكر هذا الكتاب ابن القيم الجوزية في كتابه روضة المحبين في
غير ما موضع

اقوال العلماء فيه

قال ابن صاعد وفيه قال ابو العباس العريف كان لسان ابن حزم وسيف
الحجاج بن يوسف الثقفي شقيقين

— ي —

وقال الحافظ ابو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين وما رأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه

وقال بن بشكوال في حقه كان ابو محمد اجمع اهل الاندلس قاطبة لعلوم الاسلام واوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والاحبار

وقال الذهبي : وكان اليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل العربية والآداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسودد والرياسة والثروة وكثرة الكتب

وقال الغزالي رحمه الله تعالى : وجدت في اسماء الله تعالى كتاباً لابي محمد ابن حزم يدل على عظم حفظه وسيلان ذهنه

وقال ابو مروان بن حيان : كان ابو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق باذial الادب مع المشاركة في كثير من انواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة وله في ذلك كتب كثيرة

خاتمة

هذا طرف من سيرة هذا الامام الكبير ، والوزير الخطير ، ترى منها صفاء نفسه ، ورقة شعوره ، وعلو همته ، وشدة مراسه ، وثبات اعتقاده ، وقوة يقينه ، وتعلم انه بهذه المواهب النادرة استطاع ان يكون وزيراً بارعاً في السياسة ومؤلفاً بارعاً في الادب ، وفقهاً اماماً في المذهب ومناضلاً ثابتاً في النضال ، رحمه الله وغفر له .

دمشق : غرة ذي الحجة ١٣٤٩

محمد بن الحسين بن محمد

مقدمة

بقلم الشاعر العربي الكبير الاستاذ البزم

ماوفق البشر وان يوفق الى خدعة اطرف ولا اطرف من خدعة تكريم
العطاء وتعظيم النابغين والتنبؤ بذكرهم ودلالة الناس على سر عظمتهم والرفع
من اقدارهم الى حيث ينالون بعض مايجب لهم من لهج الناس بهم والحرص
على ما أسأروه من آثار قيمة ومتاع باق مستقر

ولهذا ما نراه ونسمع به من اقامة المہارج والاحتفال في عقد المواسم ورفع
النصب والتماثيل والحفاوة باخراج الكتب بتراجم الرجال واحوال العبقريين
فرادى ومجتمعين

وسواء أكان النابغ فاتحاً قدف بنفسه في لهوات الموت في الذود عن امته
او عالماً أذاب مهجته في مہج الحنادس وقضى دهره بالاستنباط والتأليف او مخترعاً
وقف عمره على نفع ابناء جلدته او الانسانية جمعاء ، او شاعراً سكب روحه دموعاً
ونفسه حشرات واراق دمه بهرات بل شعر يبقى بقاء الدهر ويجري جريان
الفلک ، فان للامة من تكميمه والصعود بشأنه غاية واحدة لا تعدى
الارتفاق بما تركه لها من تراث . ولا فرق عندها ان يكون هذا التراث سيرة
او علماً ، اختراعاً او شعراً ، او اي شيء غير ذلك مما يعود عليها بالنفع

وقد تنذر الامة بنفسها فيذهب بها الظن الى ان تحفيها بنابقها ان هو الا
الاريجية المهيمنة وهزة الكرم الغالبة في حين ان من تنفى بشأنه وتشيد بذائع
صيته كثيراً ما يكون ممن اوسعهم مقناً وهجراناً وطوت كشحها عنهم جفاء واعراضاً

فلم ينالوا من برها الا انهم نجوا بعض النجاة من كيدها وعدوانها اذ لم تكن
المباشرة قتلهم الا بغمطها حقوقهم والانصراف عنهم والتلوي بمن لا يعلق بغبارهم
حتى اذا مات احدهم بحسرتة حثف أنفه تلك الميتة البائسة الشقية وقبض الله
له من نظرائه البائسين او غير البائسين من يجمع اخباره ويدون أحواله ويشير
الى القيم من آثاره ليحله التاريخ من صدره مكاناً رجباً ومقعد صدق مكين
ثم استمر الفلك في دورته والايام في تقلبها، واعتورت الامة الاحداث ومست
الحاجة الى الارتفاق بما ترك ذلك النافع هبت الامة او نفر منها تعلل من امره
وتحجى ما كاد يندثر من ارثه. وهذا لا يكون منها على الغالب الا بعد ان تطمئن
من انه امسى سراً مكتماً بين ثنايا التراب ونهباً مقسماً في احتشاء ديدان
الارض. اي لاتفعل هذا شيء من العطف عليه او الحير تريده له بل لتشير
به الهمم وتحرك النفوس وتبعث في بعض القلوب نار التأسي وحرارة حب الاقتداء
فلا تعدم من ابتائها على وجه الدهر وصر الاعصار رهطاً يحود بنفسه على
التفادي في سبيلها في ناحية من نواحي الحياة

واكبر فائدة تحجى من كتب التراجم أو التاريخ على الجملة هي ان يكون
للعظمة سبيل لا ينفو رسمها ولا تمجى معالمها فلا يعدم طالب المجد في كل امة من
مختلف الشعوب من نظرة في كتب التاريخ تكون له نبراساً فيما يطمح اليه
وفرقداً وضاً. يميز له طريق ما يقتحمه ويسمو اليه فيأمن العثرة ويتجنب
مواطيء الكبوة

ولو كان لكل امة ان تفاخر بمن مضى من رجالها العميرين، وافذاذها
العابرين. وانتهى الامر لهذه الامة العربية لكان لها من عظمائها ونوابها العدد
والدثر والحظ الاوفر ولتالت القدح الملى والمكان الارفع بين امم الارض
وقد جرت السنة، ونعم السنة ماجرت، ان تعاد الكرة بالتنبية على قدر
كل عظيم عندما يراد الاتفاق بشيء مما نسجته بنسائه، او قذف به خاطره.

وابن حزم ، ولا كفران ، في الذروة من اولئك الذين يجب ان تستأثر بهم همم
النافعين وتحرك بذكرهم عبقرية المبقرين . وان من بعض الوفاء للتاريخ والعلم
لا لابن حزم ، ان تعرض على الناس من ابن حزم صورة صادقة بقدر ماتتفرج
لنا مسافة القول في هذه الكلمة الموجزة نجلو بها من حقيقة امره وكنه ذاته
ما يغري مطالع كتابه هذا بان يتبع كل أثر من آثاره ، وما اكثرت هذه الآثار
وأعرقها بالبقاء لو رفقت بها او أبقت على مجموعها يد الدهر العاتية

لم يستطع احد ممن تكلم عن ابن حزم ان يصعد بنا الى القمة التي تربع
ذروتها ، واحتل قبتها كما انهم عجزوا بعض العجز او كله عن ان يأخذوا بيد
قاريء ترجمته الى حيث يجب ان يقف من اعظام الرجل واكباره . وكأنه هو
لما رأى بوادر ذلك من اهل دهره في اقليمه لم يشأ ان يحرمنا من نفثات
يعرفنا بها بعض ما خشي ان يغمطه بعد الموت ، فمن تلك النفثات هذه النقطه
وفيهما صورة بينة تشير الى حرقة متأججة ، وحسرة صالية على ماسلبه الدهر من
مكانة ، وحرمة من علو . قال :

انا العلق الذي لا عيب فيه سوى بلدي واني غير طاري
تقر لي العراق ومن يلها واهل الارض الا اهل داري
طووا حسداً على اب وفهم وعلم ما يشق له غباري
فهما طار في الآفاق ذكري فما سطع الدخان بغير نار

ولولا ما مني به من علماء عصره ، وشهرهم الحرب عليه وانهاء هذه الحرب
بتراجعه بعد احراق كتبه وفراقه قرطبة مهد عزه ، ومثوى عظمته ومثار عبقريته
ونبوغه ، الى موطن اجداده حيث قضى ولولا انه كان جريئاً متمرداً على
الاقامين ، نقاداً وثاباً على غير المخلص من العلماء ، من حاضروا ماض ، صلب
العريكة ، صعب المقادة ، صلباً فيما ترجى فيه الهوادة ويطلب اللين يحمل بين
فكيه اللسان المضرب الذي قيل فيه ، انه شقيق سيف الحجاج ، لكان

ابن حزم في الاندلس بلا نزاع صخرة واديتها وحجر الارض فيها ورجل الدهر في عامة امصارها ، ولقد سامت الحق او واشكته من قال : ان ابن حزم كان يجهل سياسة العلم لانه كان يجادل من خالفه على استرسال في طباعه وبذل بأسراره ، ولم يكن يلفظ صدعه بما عنده بتعريض ، ولا يرقه بتدريج بل كان يصك معارضه به صك الجندل ، وينشق متلفعه انشاق الخردل . فنفر عنه القلوب وألب عليه الحصوم

وناهيك برجل ينشأ في مقاصير الغر والثراء ، على عروش الحكم واسرة المجد يتردد من نباه وعلمه وربته عند السلطان بين عرش يحمله ربه وسرير يمتطي صهوته متقلباً على طنافس النعيم وتمارق السعادة يشمخ بانفه عن الوزارة وينأى بطرفه عن حجة الملوك فلا يرى متعة لنفسه الا السعي وراء العلم للعلم . فلا يزال يسمو ويرتقي ويقرأ ويكتب ويؤلف على منابر الذهب والفضة ، على ما في الجدة والنعيم من مشغلة عن العلم ، حتى يكون له من التأليف ما لا يكون لرجل غيره في العرب قاطبة الا ابن جرير الطبري في المشرق ، ولو انصفه رجال دهره ورزق شيئاً من اللين فيما يصدع به من امره وما يحاوله من اصلاح في الدين والعلم لانضوى تحت لوائه كل حامل محبرة او عمل في علم ودين

رجل هذا شأنه يطلب اليه احد اهل معرفته ان يضع له كتاباً في الحب على بعد مكانه وسمو مكاتته عن الكلاء في الحب . فلا يعدم من كرم خيمه ، ورقة طبعه أريحية مضطربة ، وقريحة مطواعة ، وخاطراً سمحاً وقلماً يرسل من بين شقيه شؤبواً من جزل القول ورصينه يتتبع ذلك ابتداءً ، ويرتجله ارتجالاً من غير سابق عهد به او أثر يجري عليه ويحتذي حذوه . واني لا عجب مهما ترفعت عن العجب لهذه النفس ، نفس ابن حزم الدائبة المكلومة بسهام الصبوة العفة بل الروح الخضلة الندبة بماء الشغف والشوق تلك الروح الناعمة التي صقلتها رحمة الحب الطاهر وثققتها نار الكلف بالجمال . كيف تحدثك اصدق

الحبر عما كان لها وعليها في غابر دهرها وعنفوان شرخها ، وتقضي اليك بان كان لها الحظ الاوفر من احترام ماخطته بنان الخالق من حسن وجمال ، وما وقعت على صفحة الوجود من يدبغ الصور . ذلك الاحترام الطاهر من درن الرية كما اراد ان يدلنا عليه في اول كتابه وآخره حيث قال : وسأورد في رسالتي هذه اشعاراً قلتها فيما شاهدته فلا تنكر انت ومن رآها علي اني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه « فهذا مذهب المتحلين بقول الشعر واكثر ذلك » فان اخواني يحشموني القول فيما يعرض لهم على طرائقهم « ثم بعد شيء من وصف شأن الحب يقول « واني لاعرف هذا واتقنه ومع هذا يعلم الله وكفى به عليا اني بريء الساحة ، سليم الاديم ، صحيح البشرة ، نقي الحجرة » ويدخله الجزع فيرجع فيقول في آخر الكتاب « وانا اعلم انه سينكر علي بعض المتعصبين تأليني مثل هذا ويقول : انه خالف طريقته وتجافى عن وجهته ، وما أحل لاحد ان يظن في غير ماقصده

الـ حب قديم والبشر (ان لم نقل الحيوان) نتيجة من نتائجها وقد عرفه الانسان قبل ان يعرف الكلام فهو رفيق البشر منذ طفولة البشرية والكلام فيه يرجع الى العهد الذي اخذ الانسان يعبر فيه عما يخامرهم من نوازع نفسه ومضطرب فؤاده وقد كان نصيب الامم من الاجادة في نعتهم والكلام عليه اكثرأواقلألا تابعا لحظها منه وعلاقته من ارواحها ونفوسها ولقدار مآلديها من صفاء القرائح وقوة الطباع على القول والوصف والتخيل

والامة العربية احدى الامم التي كثر حظها من الحب ونصيها من الكلام في شأنه لركة طباعها ولين عواطفها وتجايف اكبادها عن الغلظة وقلوبها عن القسوة الا في بعض مواطن الغضب لما يوجه الذود عن الاعراض والنفوس ، فقد عرف العرب الحب وتغنوا في تعريفه ونعته ووصفه حتى صار الشغل الشاغل

للجسم الكثير ممن وهب قوة القول منهم سواء في ذلك الشاعر والنثر والعالم
والفقيه والمحدث والمتصوف والحكيم

وقد اوسعوا له من لغتهم سعة تدل على مكانه من نفوسهم ومكانهم من الفلسفة
القطرية ومقدار مآلديهم من الخلابة والافئاع فلو جمع ماخصوه به من الشعر
والنثر المبثوث هنا وهناك من كتب الادب والتاريخ والاجتماع لضاقت عنه ضخام
الاجلاد مما لم تستطع فلسفة القرن العشرين اي الفلسفة الحديثة بما دعمها من
فن وعلم وما تقدمها من فلسفات ان تريد عليه شيئاً يذكر

وقف العرب من لغتهم للحب طائفة بل طوائف من الالفاظ تغدو وتروح بين اسم
له او صفة تلازمه او حال ينتهي اليها هو او من وحل به وتورط في هوته مما
لم تسع للوجود به يمين لغة من لغات البشر وقد اتي على معظم ذلك ابو بكر ابن قيم
الجوزية في كتابه روضة المحبين فكان ما جمعه من ذلك خمسين لفظة تعدها بالشرح
وتفقيدها بالتحقيق والتدقيق مثل الحب والعشق، والشوق والهوى، والصبابة
والشفغ، والملة والوجد، والكلف واللوعة، والتيم والغرام. مما يحمل الوقوف
عليه بكل ذي اربة يود ان يعرف ما لاجداده العرب من خواطر ملهمة واحوزية
خارقة

ومهما قال القائلون في الحب فلن يتجاوزوا في الدنو من اصابة المرمى،
والوقوف على ما يشبه الحق قول ابن سقاء الكوفة احمد بن الحسين التتبي
اذ قال :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت اني اسلم
ولم يقصر عنه في الاحسان من قال :

يقول اناس لو نعت لنا الهوى فوالله ما ادري لهم كيف انعت

فليس لشيء منه جد احده وليس لشيء منه وقت موقت

وما اصدق قول احد العرب واجله واجمعه واوجزه وقد وشي اليه بان ابنه

— ف —

يحب فقال : دعوه فانه يلطف وينظف ويظرف . وقال احد الفلاسفة : لم أر
حقاً أشبه باطل ولا باطلاً أشبه بحق من العشق : هزله جد وجده هزل وأوله
لعب وآخره عطب ، وقيل لأبي زهير المديني ما العشق فقال : الجنون والذل ،
وهوداء اهل الظرف وما احسن قول الشاعر :

لقد انت لم تعشق ولم تدرك ما الهوى فكأن حجراً من يابس الصخر جليداً
وقول الآخر :

(وما سرني اني خلي من الهوى ولو ان لي ما بين شرق ومغرب
ولآخر :

(وما احببتها فحشا ولكن رأيت الحب اخلاق الكرام
وسأل المأمون يحيى بن اكرم عن العشق ما هو فقال هو سوانح تسبح للمرء
فيهم بها قلبه وتؤثرها نفسه وكان ثمة بن اشرس حاضراً فقال اسكت يا يحيى
انما عليك ان تجيب في مسألة طلاق او محرم صاد ظيماً او قتل ثمة فاما هذه
فمائلنا نحن فقال له المأمون قل يا ثمة فقال : العشق جليس تمتع واليف مؤنس
وصاحب ملك مسالكة لطيفة ومذاهبه غامضة واحكامه جائزة ملك الابدان
وارواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها واعطي عنان طاعتها وقود
تصرفها توارى عن الابصار مدخله وعمي في القلوب مسلكه فقال له المأمون
احسنت والله يا ثمة وامر له بانث دينار

وكلام الناس في الحب على اختلاف أصقاعهم وتناهي اقاليمهم وتباين اجناسهم
يكاد يكون متفجراً من معين واحد لان الحب واحد والبشر فيه سواسية وهو
« حق لا يجوز ان يحرم احد منه » فقد يقذف الشرقي الكلمة في شأن من
شؤون الحب فتجيء وفق كلمة قالها الغربي كأن الكلمتين صدرتا عن ضمير
واحد ، فما يجري هذا الجرى ويسلك هذا النهج من الاتفاق ان احدى محاكم
فرنسا وضعت قانوناً للحب جاء فيه ، ولعله احسن ما فيه : « كل عمل يعمل به الحب

ينتهي بالتفكر في حبيبه « وهو معنى عرض لكثير غزاة قبل اثني عشر قرناً
وزيادة في حال وقعت له تراء بيناً في الثالث من هذه الايات قال :

سيهلك في الدنيا شقيق عليكم اذا غاله من حادث الدهر غائله
يود بان يمسي سقيماً لعلها اذا سمعت عنه بشكوى ترسله
ويرتاح المعروف في طلب العلى لتحمد يوماً عند عز شمائله

وقد اراد الديقب الى معنى البيت الاخير السيد توفيق البكري صاحب كتاب
صهاريج اللؤلؤ فضل الطريق واخفق في ستر الاختلاس فانزعج انتزاعاً شائئاً
مع بعض الاحسان بزيادة المعنى فقال :

واطلب المجد والمكر مات لتحسن لي شيمة عندك

وقيح بنا الان نشاط القاريء لذة القصة التي دعت كثيراً لارتجال الايات
الثلاثة وهي من غرائب الاتفاق وطرائف قصص العرب وذلك انه كان لكثير
غلام يتجر على العرب فاعطى النساء الى اجل فلما اقتضى ماله منهن وفيهن
غزاة ماطلته فقال لها يوماً وقد حضرت في نساء ، اما آن ان تتي بما عندك
فقلت كرامة لم يبق الا الوفاء فقال صدق مولاي حيث يقول :

قضى كل ذي دين فوق غريمه وغزاة مطول معنى غريمها

وهو بيت مشهور من قصيدة لكثير بحبيته غزاة هذه فقلن له أتدري من
غريمك فقال لا فقلن هي والله غزاة فقال اشهدكن على انها في حل لما عندها
ومضي واخبر كثيراً بالحكاية فقال : وانت حر وما عندك لك وكان ماوجه اياه
الف دينار وانشد الايات المتقدمة وفيها من الصراحة مايفر منه اكثر الناس وهو
ان ما اتاه بفعله هذا وما حرص ويحرص عليه من استجاع انواع المكلام وضروب
الحامد ان هو الا لينتهي اليها ويقرعه سمها

وطوق الحماة ان صح انه اول كتاب اخرج للناس في الحب فهو على
كثرة ما ألف بعده في موضوعه لا يزال ينفرد بمحاسن ويمتصم بخصائص تقضي

له بالسكينة العليا بين هذه الكتب فمن ذلك المامه ببعض ما يتفاهم به المتحابون
وتعريجه على الخوض في معرفة سياسة الحب وما يلزم الوحل فيه من حذر
واحتراس وعطفه على التماس العلة في ان النساء اكثر تعرضاً للحب واشد اشتغالا
به من الرجال لكثرة فراغ النساء وزيادة مشاغل الرجال ، ولست بواجد عند
احد ممن الف في الحب مثل قول ابن حزم في باب الهجر عن هية المحبوب
وما تبلغه الذلة من العاشق امام المعشوق كما انه قد زده كتابه عن كثير مما شان
به المؤلفون في الحب كتبهم من اوهام وابطال فانك لا ترى في طوق الحماسة شيئاً مما
شحن به صاحب تزيين الاسواق كتابه من الخرافات السمجة والاوهام المستبشرة
وما تظرف به بحان الشعراء من ادعاء عشق الحيوان ووضعهم الشعر عن لسان
العشاق من الحمير وغيرها مثل الزاغ !! فهو يعتذر في اول الكتاب عن ترك
ما هو اولى من هذا بالتدوين فيقول : « ودعني من اخبار الاعراب والمتقدمين
فسيبيلهم غير سبيلنا وقد كثرت عنهم الاخبار وما مذهبي ان اضي مطية سواي
ولا اتحلى بحلي مستعار »

وان في هذا الاسم طوق الحماسة من الخيال والشعر والجلابة والحسن
والنعومة والطراوة ما يشعرك بان الاندلسيين قد بلغوا من التأنق والتنطع في
انتقاء الالفاظ واستخدامها وانصرف بها في وجوه التسمية حداً كادوا ان
يبروا به على من تحدوهم وجروا على آثارهم من البغادة والمشاركة وسيمر بك
مما يدل على حذق الاندلسيين هذا الشيء الكثير امثال : صبح ، وغزلان
وخلوة ، ودعجاء ، وطروب ، وواحد ، اسماء لجوار وعجيب اسم لغلام

ومما لا ريب فيه ان عمل ابن حزم في تأليفه هذا انما هو عمل القاب الجريح
للكبد المصدوعة والروح المثالة للارواح البائسة تجد فيه النفوس من المتعة والسلوة
ما لا يجده التيم المهجور في التديم المساعد المخلص على الراح . وجيل بنا وقد
دللنا على بعض محاسن طوق الحماسة ان تناولها بشيء من النقد وان كان انما

كتبها لصديق وانه قد اخذ على نفسه ان لا يبحث فيها الا بما علمه وشاهده
وحل عنده محل اليقين من نفسه واهل عصره

لم يحسن ابن حزم باقتصاره على شعره في طوق الحمامة فقد قيد نفسه من
هذا بقيد ضيق عليه المضطرب وثقل من خطاه وقصر من مدى جريه وكف
من جولانه في طيات الموضوع وكأن ابن حزم لم يكن يريد ان يحشر
الشعراء او يطلع على الناس بديوان شعر اكتفاء بمكاته العلمية وزعامته الدينية
وصعب عليه ان تثبت يد الضياع بامة شعره فآثر ان يجعل من طوق الحمامة
مدخراً أميناً وحرزاً مكيناً على هذا المقدار من شعره

ومهما اخطأ التوفيق ابن حزم بعمله هذا فقد افادنا ما كان يخافه من
الصبوة الى نظم الشعر والنزعة الى صناعته وانه كان يغالب نفسه ويخالفها في
صرفها عن الشعر وانه لو لم يكن ذلك الفقيه الكبير والحدث العظيم رجل المنطق
والكلام وفحل الجدل والمناظرة والبالغ من الفلسفة درجة التجويد لكان الاندلس
منه شاعر لا يدع الى جانب اسمه ذكراً لشاعر في قطره فضلاً عن ان يختصاره
على شعره قد حال بينه وبين شيء من الاحسان واقام حاجزاً دون بلوغه
الغاية المرجوة من امتاع القاريء لانه كثيراً ما يصرع بآراءه فاذا بلغ مكان
اللذة منه بتره فجأة وحملك على ان تقرأ قطعة شعرية له تشبه ذلك الخبر او تجري
مجراه ولا تحوي الا شيئاً قليلاً من طرافته ولذته . وخير ما يقال في شعر ابن حزم
انه صوب قريحة قطن في جوانبها من الفلسفة والفقه والكلام ما يفسد على اكثر
الشعراء شاعريتهم ولهذا تراه ينحدر في شعره ويسف بقدر ما يترك من قياده
للفلسفة والكلام يذهبان به ويحيثان في اغراض تلك مرة وما رب هذه اخرى
ولو نجا من ذلك لجاء من شعره ما يجري مع الطبع ويتقلل في اجزاء النفس
ويشتد شبهه بكلام العرب ولعل من صباية اهل البادية المزوجة برقة الحضرة
وخنوته وما يتبع هذا من ذل وضرع واستكانة وتهافت على عتبات الخضوع

لساطان الهوى وجبروت الحب ما لا يقل عن شعر كثير وحيل وابن ابي ربيعة
وذى الرمة

ولم ينح بن حزم من الوقوع في احاييل الفلسفة في اول كتابه فقد اوشك
ان يرتبك بعض الارتباك حين قسم اعراض الحب ثم فطن الى ان الحب انما
هو عرض فجعل ذلك من مجاز اللغة واقامة الصفة مقام الموصوف وهو قول
مستمد من قول القدماء من ان العرض قد يرتفع الى مقام الجوهر فيكون له
من الاعراض ما للجوهر وهو قول يتردد بين السفطة والحلاقة وقد نظمها احد
شعراء العرب فقال :

فسد القياس فللمغرام قضية ليست على نهج الحجبى تنقاد

منها بقاء الشوق وهو بزعمهم عرض وتفى دونه الاجساد

وخرافة اخرى علق ابن حزم في طوق الحمامة فلم ير لنفسه متدحاً عنها
وهي ذهاب فلاسفة اليونان الى ان الارواح كانت لها قبل اتصالها بالاجسام
وهبوطها من عالمها الاول الفة وتمازج وحب فلما بشرت هياكلها من الاجساد
كان لها من الحنين وتزوع بعضها الى بعض بقدر ما وجدته من شذافة الاجساد
ورقتها ولطافتها ومرونتها وقد علق ابن حزم بشرك هذا الوهم واكنه اجاد
في صوغه وتعليقه وموه له زخرفاً براقاً منى به الى ما يزيدك من الحقيقة كما
اجاد «معاصره» ابو علي بن سينا في عينيه بالروح وهي قصيدة مشهورة شرحها
كثيرون ومطلعها :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وقد ابح الشعراء من المتصوفة كابن الفارض وغيره يقلبون هذه الفكرة
ويوردونها على وجود مختلفة يتغنون بها حسب مآلديهم من قوة الشعر، وتقدم
اجاد وظرف وحسن الجبراردي الشاعر في حرك هذه الخرافة فقال :

ولكن ارواح المحبين تلتقي اذا كانت الاجساد عنهن نوّما
واحسب روحنا من الاصل واحد ~~وامكنه~~ ما بيننا قد تقسما
ولولم يكن هذا كذا ما تأملت له مهجتي في الغيب لما تألما
ولا بن الفارض نظم في هذا المعنى :

بيني وبينك في الحجة نسبة مطوية من قبل هذا العالم
نحن اللذان تعارفت ارواحنا من قبل خلق الله طينة آدم

وقد يكون ابن حزم اول من اطل على الناس بمؤلف في الحب الا اذا
كان ابن سينا في الشرق قد تقدمه بوضع رسالة في العشق لان وفاة ابن حزم
تأخرت عن وفاة ابن سينا بثمان وعشرين سنة كما ان ابن سينا تقدم ميلاده
لدة ابن حزم باربعة عشر عاماً ولا اعتقد ان واحداً منهما وقع اليه ما كتبه
الآخر في الحب يدل على ذلك اختلاف النحى وتباين الجهة في مقصد التأليف
على ان رسالة الرئيس ابن سينا لا يصح في حال من الاحوال ان تسمى
تأليفاً وان كان سبب كتابتها الاقتراح كما اقترحت رسالة ابن حزم وان هي
الافسكرة فلسفية عرضت له كما عرضت لمن تقدمه وتأخر عنه من فلاسفة اليونان
والاسلام والصوفيين فتكلموا بالفلسفة باسم الحب واستخدموه لاغراضها كما
استخدم اخوانهم الدعاة المنطق لاغراضهم (لا لاغراض النحوى) فافسدوا النحوى
على العرب كما افسد هؤلاء البحاث الحب فانك لترى ابن سينا على جلالة قدره
وعلمه يتكلف ويحشم نفسه محاولة اثبات ان العوالم الثلاثة الجماد والنبات والحيوان
بانواعه خاضعة لقانون الحب مدعنة لناموس تجاذبه فيبلغ في معالجة ذلك وتتبع
عقله والتماس اسبابه حداً يكاد يشرف منه على السخف وينتهي الى ما يشبه الحق
(ان صح ان يكون سؤ التقليد سخفاً وحقاً) ولست بمحاول بهذا ان اضع
من شأن ابى علي وشأنه في العلم والفلسفة ماهو مشهور ولكنها الجهرة بالحق
والصدقة بامرء واجبة يقود اليها الاخلاص كما قاد ابن سينا وابن حزم وكلاهما

مأخوذ بعاطفة الدين يخشى ويتذم ويؤثر ان لا يؤثر عنه ما يחדش سمعته او يدفع
بعض المتعصين الى النيل من دينه ، فكما عد ابن سينا العشق من وجهته
الحيوانية تقيصة وعاراً فقد نقل نقل مثبت واثق ان العقلاء الاكياس يعدون
النظر الى الصورة الجميلة فتوة وتطرفاً واستنتج من هذا ونظاره ان الحب
ليس حتماً فيه ان يكون حيوانياً وينتهي به البحث الى ان الحب مهما تخلله
من قرب ولمس ان لم تكن الغاية منه الفحش تطرف وفتوة ورجولة ومرؤة
وانه حينئذ تكون الصورة الجميلة الحسنة فتمة الاعتدال في التركيب مما يفيد طيباً
في الشئال وعدوبة في السجاياء ويجعل من هذا الحديث القائل : اطلبوا الحوائج
عند حسان الوجوه ، وفي هذا من الاخلاص للعلم ما لم يوفق اليه بل ناصبه
وعاداه بعض من الف في الحب وغيرهم ممن اخذ على عاتقه من طريق التحشية
والشرح ان ينال من دين الناس نيل متسرع لا يدري من امور الدين الا
ظواهر براءة محكومة الجهة بالثوم فأساء الى الناس والدين وزعم ان بين من
يتوهم بهم اتيان الموبقات بين سمع الناس وبصرهم من لا يفهم من الدين بقدر
ما يفهم ويؤذنه ويؤذيهم بقوله ان للمتقين مفازاً كأنهم يحولون بينه وبين مفازه
او كأنه احرز صكاً بذلك المفاز ذاهلاً عن ان بين هؤلاء من يحمل قلباً
يضطرب به من معرفة ذات الله وجوهر الدين مالا مطمح له ببعضه وان نقاء
السرائر وطيب القلوب ليس بالتظاهر والدعوى

وما اشبه كلمة ابن سينا هذه بقول ابن حزم في ماهية الحب وهي : الحب
اعزك الله اوله هزل وآخره جد دقت معانيه لجلالاتها عن ان توصف فلا تدرك
حقيقتها الا بالعمارة وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة اذ القلوب بيد
الله عز وجل

كان ابن حزم رحمه الله تنبأ بما سينشئ بين العلماء من خلاف في اعتبار
الحب اختيارياً عند قوم واضطراباً عند آخرين وان الفرقة الاولى تستنتج

من كونه اختيارياً ما يصح ان يكون سبباً لتحريمه فيؤمنون الناس من الدين في حرج وهم وان اخلصوا في هذا للدين فانهم لم يخلصوا للنفس الذي يكتبون فيه على ان الاخلاص في العلم فطرة لازمة لحاميه والناهضين باعبائه فلا تظن ان احداً ضمت جوانحه على شيء من العلم او اشتملت ترائبه على قليل او كثير مما يسمى فناً الا وفي قلبه جذوة تتوقد وتهيب به ممسكة بمقادته الى الاخلاص طوعاً او كرهاً مهما اعتورت طريقه العثرات واتصب امامه من عقاب الامن كان دخيلاً في العلم دعياً بين ابائنا

وما دام امد القول في شأن ابن حزم يجب ان يكون قصيراً وحبله مقتضباً عن التطويل فلا بأس ان نخرج الى كلمة ختام يحتما عنايا الاجاز ويدعو اليها المقام ويقضي بها الرفق بالناشر وهو انما طبع كتاباً لا يعوزد اكثر من تعريفه الى قرائه مع شيء من ذكر قيمة مؤلفه وان كان الواجب يقضي علي بان امد في نفس القول كيداً به ونكاية له وطلباً لارهاقه بزيادة نفقة الطبع كما ارهقني وحلاني على الكتابة اشد ما كنت مفتقراً الى الراحة وترك التفكير بيد اني رجعت الى نفسي وفطنت الى ان لا خطر ولا ضرر عليه من هذا مادام القراء هم القائمون بهذه الزيادة في الانفاق راضين او مكريين، وهم المستحقون للعقوبة لانهم اصل البلاء ولولاهم لاستراح كثير من القرائح والاقلام في هذا العصر . وكفى القراء عقوبة ان لاسبيل لهم الى هذا الكتاب المتع الا عن طريق هذه المقدمة فهي قنطرة لا ينجو من تكلف عبورها الا من يحسن الطفرة ويجيد النزوة ، وما اخالهم فاعلين وقد دفعوا ثمنها في جملة ثمن الكتاب .

« محمد البرزم »

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين)

قال ابو محمد عفا الله عنه افضل ما ابتدء به حمد الله عز وجل بما هو اهله
ثم الصلاة على محمد عبده ورسوله خاصة وعلى جميع انبيائه عامة . وبعد عصمنا
الله واياك من الحيرة ولا حملنا ما لا طاقة لنا به وقبض لنا من جميل عونه دليلاً
هادياً الى طاعته ووهبنا من توفيقه ادباً صارفاً عن معاصيه ولا وكلنا الى ضعف
عزائنا وخور قوتنا ووهاء بنيتنا وتلد (١) اراثنا وسؤ اختيارنا وقلة تمييزنا وقساد
اهوائنا فان كتابك وردني من مدينة المرية الى مسكني بحضرة شاطبة تذكر
من حسن حالك ما يسرني وحمدت الله عز وجل عليه واستدعته لك واستزدته فيك
ثم لم البث ان اطلع على شخصك وقصدتني بنفسك على بعد الشقة وتناهي الديار
وشحط المزار وطول المسافة وغول الطريق وفي دون هذا ما سلى المشتاق
ونسى الذاكر الا من تمسك بحبل الوفاء مثلك ورعى سالف الازمة (٢) ووكيد
المودات وحق النشأة ومحبة الصبي وكانت مودته لله تعالى ولقد اثبت الله بيننا
من ذلك ما نحن عليه حامدون وشاكرون وكانت مغازيك في كتابك زائدة
على ما عهده من سائر كتبك ثم كشفت الي باقبالك غرضك واطلعتني على
مذهبك سجية لم ترل علينا من مشاركتك لي في حلوك ومرك وسرك وجهرك
يحدوك الود الصحيح الذي اتاك على اضعافه لا ابتغي جزاء غير مقابله بمثله
وفي ذلك اقول مخاطباً لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن امير المؤمنين
التاصر رحمه الله في كلمة لي طويله وكان لي صديقاً

اودك ودأ ليس فيه غضاضة وبعض مودات الرجال سراب

(١) لدده خيره (٢) اللعام الحق : الحرمة والجمع ازمة

والمحضتك النصح الصريح وفي الحشى
فلو كان في روجي هواك اقتلعت
وما لي غير الود منك ارادة
اذا حزنه فالارض جمعاء والورى

وكلفتني اعزك الله ان اصنف لك رسالة في صفة الحب ومعانيه واسبابه
واعراضه وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا متزيداً ولا مفتناً (١) لكن مورداً
لما يحضرني على وجهه وبحسب وقوعه حيث انتهى حظي وسعة باغي فيما اذكره
فبادرت (٢) الى مرغوبك ولولا الايجاب لك لما تكلفته فهذا من الفقر والاولى بنا
مع قصر اعمارنا الا نصرفها الا فيما نرجو به ربح القلب وحسن المسآب
غداً. وان كان القاضي حسام بن احمد حدثني عن يحيى بن مالك عن عائذ
باسناد يرفعه الى ابي الدرداء انه قال اجموا النفوس بشيء من الباطل ليكون
عوناً لها على الحق. ومن بعض اقوال الصالحين من السلف المرضي: من لم يحسن
يتقى لم يحسن يتقوى. وفي بعض الآثار: اريحوا النفوس فانها تصدأ كما يصدأ
الحديد. والذي كلفتني فلا بد فيه من ذكر ما شاهدته حضرتي وادركته عنايتي
وحدثني به الثقات من اهل زمانني فاعتقر لي الكناية عن الاسماء فهي اما عورة
لا نستجيز كشفها واما نحافظ في ذلك صديقاً ودوداً ورجلاً جليلاً وبحسبي ان
أسمى من لا ضرر في تسميته ولا يلحقنا والمسمى عيب في ذكره اما لاشتهار
لا يغي عنه الطي وترك التبيين واما ارضى من المحقر عنه بظهور خبره وقلة انكار
منه لثقله وسأورد في رسالتي هذه اشعاراً قلتها فيما شاهدته فلا تنكر انت ومن
راها عليّ اني سالك فيها مسلك حاكي الحديث عن نفسه فهذا مذهب التحلين
بقول الشعر واكثر ذلك فان اخواني يحشمونني القول فيما يعرض لهم على
طرائقهم ومذاهبهم وكفاني اني ذاكر لك ماعرض لي مما يشاكل ما نحوت نحوه
(١) فن الشيء خلطه: رأيه لونه ولم يثبت على رأي واحد (٢) في الاصل فبادرت

وناسبه اليّ والتزمت في كتابي هذا الوقوف عند حدك والاقتصار على ما رأيت اوضح عندي بنقل الثقات ودعني من اخبار الاعراب والتقدمين فسييلهم غير سبيلنا وقد كثرت الاخبار عنهم ومأذهي ان انضي مطية سواي ولا تحلى بحلي مستعار والله المستغفر والمستعان لارب غيره

(باب) وقسمت رسالتي هذه على ثلاثين باباً منها في اصول الحب عشرة فأولها هذا الباب في علامات الحب ثم (باب فيه ذكر من احب في النوم) ثم (باب فيه ذكر من احب بالوصف) ثم (باب فيه ذكر من احب من نظرة واحدة) ثم (باب فيه ذكر من لا تصح محبته الا مع الطأولة) ثم (باب التعريض بالقول) ثم (باب الاشارة بالعين) ثم (باب المراسلة) ثم (باب السغير) ومنها في اعراض الحب وصفاته المحموده والمذمومة اثنا عشر باباً وان كان الحب عرضاً والعرض لا يحتمل الاعراض وصفة والصفة لا توصف فهذا على مجاز اللغة في اقامة الصفة مقام الموصوف وعلى معنى قولنا وجودنا عرضاً اقل في الحقيقة من عرض غيره واكثر واحسن واقبح في ادراكنا لها علمنا انها متباينة في الزيادة والنقصان من ذاتها المرئية والمعلومة اذ لا تقع فيها الكمية ولا التجزي لانها لا تشغل مكاناً وهي (باب الصديق المساعد) ثم (باب الوصل) ثم (باب طي السر) ثم (باب الكشف والاذاعة) ثم (باب الطاعة) ثم (باب المخالفة) ثم (باب من احب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها) ثم (باب القنوع) ثم (باب الوفاء) ثم (باب الغدر) ثم (باب الضنى) ثم (باب الموت) ومنها في الآفات الداخلة على الحب ستة ابواب وهي (باب العاذل) ثم (باب الرقيب) ثم (باب الواشي) ثم (باب الهجر) ثم (باب الين) ثم (باب السلو) من هذه الابواب الستة بابان لكل واحد منهما ضد من الابواب المتقدمة المذكورة هو (باب العاذل وضده) (باب الصديق المساعد) (باب الهجر وضده) (باب الوصل) ومنها اربعة ابواب لا ضدها من معاني الحب وهي (باب الرقيب) و (باب الواشي) ولا ضد لها الا ارتفاعهما وحقيقة الضد ما اذا وقع ارتفع الاول وان كان المتكلمون قد اختلفوا في ذلك

ولولا خوفنا اطالة الكلام فيما ليس من جنس الكتاب لتقصيناه ﴿ وباب البين
 وضده تصاقب الديار ﴾ وليس التصاقب من معاني الحب التي تسكلم فيها ﴿ وباب السلو
 وضده الحب بعينه ﴾ اذ معنى السلو ارتفاع الحب وعدمه ومنها بيان ختمنا بهما
 الرسالة وهما ﴿ باب الكلام في قبج المعصية ﴾ و ﴿ باب في فضل التعنف ﴾ ليكون خاتمة
 ايرادنا وآخر كلامنا الحظ على طاعة الله عز وجل والامر بالمعروف والنهي
 عن المنكر فذلك مفترض على كل مؤمن لكننا خالفنا في نسق بعض هذه
 الابواب هذه الرتبة المقسمة في درج هذا الباب الذي هو اول ابواب الرسالة
 فجعلناها على مبادئها الى متنها واستحقاقها في التقدم والدرجات والوجود ومن
 اول مراتبها الى آخرها وجعلنا الضد الى جنب ضده فاختلف في المساق في
 ابواب يسيرة والله المستعان وهياتها في الايراد اولها هذا الباب الذي نحن فيه
 وفيه صدر الرسالة وتقسيم الابواب والكلام في ماهية الحب ثم ﴿ باب علامات الحب ﴾
 ثم ﴿ باب من احب بالوصف ﴾ ثم ﴿ باب من احب من نظرة واحدة ﴾ ثم ﴿ باب من
 لا يحب الامع المطاولة ﴾ ثم ﴿ باب من احب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها ﴾
 ثم ﴿ باب التعريض بالقول ﴾ ثم ﴿ باب الاشارة بالغين ﴾ ثم ﴿ باب الرسالة ﴾ ثم
 ﴿ باب السفير ﴾ ثم ﴿ باب طي السر ﴾ ثم ﴿ باب اذاعته ﴾ ثم ﴿ باب الطاعة ﴾ ثم ﴿ باب
 المخالفة ﴾ ثم ﴿ باب العادل ﴾ ثم ﴿ باب المساعد من الاخوان ﴾ ثم ﴿ باب الرقيب ﴾
 ثم ﴿ باب الواشي ﴾ ثم ﴿ باب الوصل ﴾ ثم ﴿ باب الهجر ﴾ ثم ﴿ باب الوفاء ﴾ ثم
 ﴿ باب الغدر ﴾ ثم ﴿ باب البين ﴾ ثم ﴿ باب القنوع ﴾ ثم ﴿ باب الضنى ﴾ ثم ﴿ باب
 السلو ﴾ ثم ﴿ باب الموت ﴾ ثم ﴿ باب قبج المعصية ﴾ ثم ﴿ باب فضل التعنف ﴾

﴿ الكلام في ماهية الحب ﴾

الحب اعزك الله اوله هزل وآخره جد دقت معانيه جلاتها عن ان توصف
 فلا تدرك حقيقتها الا بلغاة وليس يتنكر في الديانة ولا بمحذور في الشريعة اذ
 القلوب بيد الله عز وجل وقد احب من الخلفاء المهديين والائمة الراشدين كثير

مهم باندلسنا عبد الرحمن بن معاوية لدعاء والحكم بن هشام وعبد الرحمن ابن
الحكم وشغفه بطروب ام عبد الله ابنه اشهر من الشمس ومحمد بن عبد الرحمن
وامره مع غزلان ام بنه عثمان والقاسم والمطرف معلوم والحكم المستنصر واقتاته
بصبح ام هشام ابويد بالله رضي الله عنه وعن جميعهم وامتناعه عن التعرض
للولد من غيرها. ومثل هذا كثير ولولا ان حقوقهم على المسلمين واجبة وانما
يجب ان نذكر من اخبارهم ما فيه الحزم واحياء الدين وانما هو شيء كانوا
ينفردون به في قصودهم مع عيالهم فلا ينبغي الاخبار به عنهم لاوردت من
اخبارهم في هذا الشأن غير قليل. واما كبار رجالهم ودعائم دولتهم فاكثر من ان
يحصوا. واحداث ذلك ماشاهدناه بالامس من كلف المظفر بن عبد الملك ابن ابي
عامر بواحد بنت رجل من الجبائين حتى حمله حبا ان يتزوجها وهي التي خلف
عليها بعد فناء العامر بن الوزير عبد الله بن مسلمة ثم تزوجها بعد قتله رجل
من رؤساء البربر وما يشبه هذا ان ابا العيش بن ميمون القرشي الحسيني اخبرني
ان تزار بن معد صاحب مصر لم ير ابنه منصور بن تزار الذي ولي الملك بعده
وادعى الالهية الا بعد مدة من مولده مساعدة لجارية كان يحبا جبا شديدا
هذاهولم يكن له ذكر ولا من يرث ملكه ويحي ذكره سواه ومن الصالحين
والفقهاء في الدهور الماضية والازمان القديمة من قد استغنى باشعارهم عن ذكرهم
وقد ورد من خبر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وشعره ما فيه
الكفاية وهو احد فقهاء المدينة السبعة وقد جاء من فتيان بن عباس رضي الله عنه
ما لا يحتاج معه الى غيره حين يقول هذا قيل الهوى لاعقل ولا قود وقد اختلف
الناس في ماهيته وقالوا واطالوا والذي اذهب اليه انه اتصال بين اجزاء النفوس
المقسومة في هذه الخلقة في اصل عنصرها الرفيع لا على ما حكاه محمد بن داود
رحمه الله عن بعض اهل الفلسفة الارواح اكر مقسومة ولكن على سبيل مناسبة
قواها في مقر عالمها العلوي ومجاورتها في هيئة تركيبها وقد علمنا ان سر

التأرجح والتباين في المخلوقات انما هو الاتصال والافتصال والشكل دأبا يستدعي شكله والمثل الى مثله ساكنه وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد والتناظر في الازداد والموافقة في الانداد والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافي الخفيف وجوهرها الجوهر الصعاد المتعدل وسنخها الميسر لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة والتفاد كل ذلك معلوم بالحضرة في احوال تصرف الانسان فيسكن اليها والله عز وجل يقول (هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها) فجعل علة السكون انها منه ولو كان علة الحب حسن الصورة الجسدية لوجب الاستحسن الا نقص من الصورة ونحن نجد كثيراً ممن يؤثر الادنى ويعلم فضل غيره ولا يجد محبداً لقلبه عنه ولو كان للموافقة في الاخلاق لما احب المرء من لا يساعده ولا يوافقها فعلمنا انه شيء في ذات النفس وربما كانت المحبة لسبب من الاسباب وتلك تقنى بفناء سببها فمن ذلك الامر ولي مع انقضائه وفي ذلك اقول :

ودادي لك الباقي على حسب كونه تاهى فلم ينقص بشيء ولم يزد
 وليست له غير الارادة علة ولا سبب حاشاء يعلمه احد
 اذا ما وجدنا الشيء علة نفسه فذاك وجود ليس يقنى على الابد
 واما وجدناه لشيء خلافاً باعدامه في عدمنا ما له وحده

ومما يؤكد هذا القول اننا علمنا ان المحبة ضرورية فافضلها محبة المتحابين في الله عز وجل اما لاجتهاد في العمل واما لاتفاق في اصل الحق والمذاهب واما لفضل علم يمنحه الانسان ومحبة القرابة ومحبة الالفة والاشتراك في المطالب ومحبة التصاحب والمعرفة ومحبة لير يرضها المرء عند اخيه ومحبة لطمع في جاء المحبوب ومحبة المتحابين لير يجتمعان عليه يلزمهما ستره ومحبة لبلوغ اللذة وقضاء الوطر ومحبة العشق التي لاعلة لها الا ما ذكرنا من اتصال النفوس وكل هذه الاجناس فنقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها متأكدة

يدنوها فآخرة بعدها حاشى محبة العشق الصحيح الممكن من النفس فهي التي
 لأفناء لها الأبلوت وانك لتجد الإنسان السالي بزعمه وذا السن المتناهية اذا
 ذكرته تذكر وارتاح وعسا واعتاده الطرب واحتجاج له الحين ولا يعرض في
 شيء من هذه الاجناس المذكورة من شغل البال والحبل والوسواس وتبدل
 الغرائز المركبة واستحالة السجيا المطبوعة والتحول والزفير وسائر دلائل الشجا
 ما يعرض في العشق فصيح بذلك انه استحسان روحاني وامتزاج نفساني فان قال
 قائل لو كان هذا كذلك لكانت المحبة بينهما مستوية اذ الجزءان مشتركان
 في الاتصال وحظهما واحد فالجواب عن ذلك ان نقول هذه لعمرى معارضة
 صحيحة ولكن نفس الذي لا يجب من محبة مكنته الجهات ببعض الاعراض
 السارة والحجب المحيطة بها من الطبائع الأرضية فلم تحس بالجزء الذي كان
 متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة ونفس
 المحب متخلصة عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة طالبة له قاصدة اليه
 باخنة عنه مشتهية للآفاته جاذبة له لو امكنها كالمغنطيس والحديد قوة جوهر
 المغنطيس المتصلة بقوة جوهر الحديد لم تبلغ سن تحكمها ولا من تصفيها ان
 تقصد الى الحديد على انه من شكلها وعنصرها كما ان قوة الحديد لشدها
 قصدت الى شكلها وانجذبت نحوه اذ الحركة ابدأ انما تكون من الاقوى وقوة
 الحديد متروكة الذات غير متنوعة بحابس تطلب ما يشبهها وتتقطع اليه وتهض
 نحوه بالطبع والضرورة بالاختبار والتعمد وانت متى امسكت الحديد بيدك لم
 ينجذب اذ لم يبلغ من قوته ايضاً مغالبة المسك له مما هو اقوى منه ومتى
 كثرت اجزاء الحديد اشتغل بعضها ببعض واكتفت باشكالها عن طلب اليسير
 من قواها النازحة عنها فتى عظم جرم المغنطيس ووازت قواه جميع قوى جرم
 الحديد عاد الى طبعها المعهود وكالتار في الحجر لا يبرز على قوة النار في الاتصال
 والاستدعاء لاجزائها حيث كانت الا بعد القدح ومجاورة الجرمين بضغطهما

— واصطكاكما والا فهي كامنة في حجرها لا تبدو ولا تظهر ومن الدليل على هذا
 — أيضاً انك لا تجد اثنين يتحابان الا وبينهما مشاكلة واتفاق الصفات الطبيعية لا بد
 — من هذا وان قل وكلما كثرت الاشياء زادت المجانسة وتأكدت المودة فانظر
 هذا تراء عياناً وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤكد (الارواح جنود
 مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وقول مروي عن احمد
 الصالحين (ارواح المؤمنين تعارف) ولهذا ما اغتم بقراط حين وصف له رجل
 من اهل النقصان يحبه قليل له في ذلك فقال ما احبني الا وقد وافقته في
 بعض اخلاقه وذكر افلاطون ان بعض الملوك سجنه ظمأ فلم يزل يحتج عن
 نفسه حتى اظهر براءته وعلم الملك انه له ظالم فقال له وزيره الذي كان يتولى
 ايصال كلامه اليها الملك قد استبان لك انه بريء فمالك وله فقال الملك
 لعمري مالي اليه سبيل غير اني اجد لنفسي استئثالا لا ادري ماهو فأدى ذلك
 الى افلاطون قال فاحتجت ان افتش في نفسي واخلاقي شيئاً اقابل به نفسه
 واخلاقه مما يشبهها فنظرت في اخلاقه فاذا هو محب للعدل كاره للظلم فيرت
 هذا الطبع في فاهو الا ان حركت هذه الموافقة وقابلت نفسه بهذا الطبع
 الذي بنفسه فأمر باطلاقي وقال لوزيره قد انحل كل ما اجد في نفسي له .
واما العلة التي توقع الحب ابدأ في اكثر الامر على الصورة الحسنة الظاهرة
ان النفس حسنة تولع بكل شيء حسن وتميل الى التصاوير المتقنة فهي اذا رأت
بعضها تثبتت فيه فان ميزت وراءها شيئاً من اشكالها اتصلت وصحت المحبة
الحقيقية وان لم تميز وراءها شيئاً من اشكالها لم يتجاوز احبابها الصورة وذلك
هو الشهوة وان للصور توصيلاً عجيباً بين اجزاء النفوس النائية وقرأت في
السفر الاول من التوراة ان النبي يعقوب عليه السلام ايم رعيه غداً لابن خاله
مهما لابنته شارطه على المشاركة في انساها فكل بهم ليعقوب وكل اضر ثلاثين
فكان يعقوب عليه السلام يعدد الى قضبان الشجر يساج نصفاً ويترك نصفاً

بحاله ثم يلقي الجميع في الماء الذي ترده الغيم ويتعمد ارسال الطروقة في ذلك الوقت فلا تلد الا نصفين نصفاً بهماً ونصفاً غراً وذكر عن بعض القافة انه اتى ابن اسود لا ينجين فنظر الى اعلامه فرآه لها غير شك فرغب ان يوقف على الموضع الذي اجتمعوا عليه فأدخل البيت الذي كان فيه مضجعهما فرأى فيما يوازي نظر المرأة صورة اسود في الحائط فقال لا شيء من قبل هذه الصورة اتيت في ابك وكثيراً ما يصرف شعراء اهل الكلام هذا المعنى في اشعارهم فيخطبون المراثي في الظاهر خطاب المعقول الباطن وهو المستفيض في شعر النظام ابراهيم بن سيار وغيره من المتكلمين وفي ذلك اقول شعراً منه :

ما علة النصر في الاعداء تعرفها	وعلة الفر منهم ان يفرونا
الا تراعى نفوس الناس قاطبة	اليك يا ولؤلاً في الناس مكنونا
من صكت قدامه لا ينثني ابدأ	فهم الى نورك الصعدا يعشونا
ومن تكن خلفه فانفس تصرفه	اليك طوعاً فهم دأباً يكرونا

وفي ذلك اقول :

امن عالم الاملاك انت ام النسي	ابن لي فقد ازدي بتمييزي العي
ارى هيئة انسية غير انه	اذا عمل التفكير فالجرم علوى
تبارك من سوى مذاهب خلقه	على انك انور الانيق الطيبي
ولاشك عزدي انك الروح ساقه	الينا مثال في النفوس اتصالي
عزنا دليلاً في حديثك شاهدأ	تقيس عليه غير انك مرئي
ولا لوقوع العين في الكون لم تقل	سوى انك العقل الرفيع الحقيقي

وكان بعض اصحابنا يسمى قصيدة لي الادراك المتوهم منها

تري كل ضد به قائماً	فكيف تحد اختلاف المعاني
فياها الجسم لا ذا جهات	ويا عرضاً ثابتاً غير فان
نقضت علينا وجوه الكلام	بما هو مذ لحث بالمستبان

وهذا بينه موجود في البغضة ترى الشخصين يتباغضان لا لغنى ولا علة
 ويتنقل بعضهما بعضاً بلا سبب والحب اعزك الله داء عيآ وفيه الدواء منه
 على قدر المعاملة ومقام مستلذ وعلة مشتهاة لا يود سليمها البرء ولا يتمنى عليها
 الأفاقة زين للمرء ما كان يأنف منه ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى
 يحيل الطبائع المركبة والحياة المخلوقة وسياقي كل ذلك ملخصاً في بابه ان
 شاء الله (خير) ولقد علمت فتي من بعض معارفي وقد وحل في الحب وتورط في
 حياته واضر به الوجد وانضح الدنف وما كانت نفسه تطيب بالدعاء الى الله
 عز وجل في كشف ما به ولا ينطلق به لسانه وما كان دعاؤه الا بالوصل
 والتمكن ممن يحب على عظيم بلائه وطويل همه فما الظن بسقيم ولا يريد فقد سقه
 ولقد جالسته يوماً فرأيت من اكبابه وسؤ حاله واطراقه ما ساءني فقلت له
 في بعض قولي فرج الله عنك فلقد رأيت اثر الكراهية في وجهه وفي مثله
 اقول من كلمة طويلة :

واستلذ بلأني فيك يأملني ولست عنك مدى الايام انصرف
 ان قيل لي تنسلي عن مودته فما جوابي الا اللام والالف
 (خير) وهذه الصفات مخالفة لما اخبرني به عن نفسه ابو بكر محمد ابن قاسم
 ابن محمد القرشي المعروف بالشلشي من ولد الامام هشام بن عبد الرحمن ابن
 معاوية انه لم يحب احداً قط ولا اسف على الف بان منه ولا تجاوز حد الصلابة
 والالفة الى حد الحب والعشق منذ خلق

باب علامات الحب

وللحب علامات يقفوها الفطن ويهتدي اليها الذكي فأولها ادمان النظر
 والعين باب النفس الشارع وهي المنقبة عن سرارها والمعبرة لضايرها والمعرية عن
 بواطنها فترى الناظر لا يطرف يتنقل بتنقل المحبوب وينزوي بانزوائه ويميل حيث
 مال كالحرية مع الشمس وفي ذلك اقول شعراً منه

فليس لعيني عند غيرك موقف كأنك ما يحكون من حجر البهت
أصرفها حيث أنصرفت وكيف ما تقلبت كالمعنوت في النجو والنعت
ومنها الأقوال بالحديث بما يكاد يقل على سوى محبوه ولو تعد ذلك وان
التكلف ليستين لمن يرمقه فيه والانصات لحديثه اذا حدث واستغراب كل ما يأتي
به ولو انه عين الحال وخرق العادات وتصديقه وان كذب وموافقته وان ظلم
والشهادة له وان جار واتباعه كيف سلك واي وجه من وجوه القول تناول
ومنها الاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه والتعمد للعود بقربه والدنو منه
واطراح الاشغال الموجبة للزوال عنه والاستهانة بكل خطب جليل داع الى مفارقتها
والتباطيء في الشيء عن القيام عنه وفي ذلك اقول شعراً :

واذا قتت عنك لم امش الا مشي عان يقاد نحو الفناء
في مجئني اليك احتس كالد ر اذا كان قاطعاً للشعب
وقيامي ان قتت كالانجم العال لية الثابتات في الابطاء

ومنها بهت يقع وروعة تبدو على المحب عند رؤية من يحب فجأة وظلوعه
بقية ومنها اضطراب يبدو على المحب عند رؤية من يشبه محبوه او عند سماع
اسمه فجأة وفي ذلك اقول قطعة منها

اذا ما رأت عيناى لابس حمرة تقطع قلبي حسرة وتفترا
اغدا لدماء الناس بالاحظ سافكا وضر ج منها ثوبه فتعصقرا

ومنها ان يجود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه مما كان متمتعاً به قبل ذلك
كأنه هو الموهوب له والمسعى في حظه كل ذلك ليلدى محاسنه ويرغب في نفسه
فكم بخيل جاد وقطوب تطلق وجان شجع وغليظ الطبع تطرب وجاهل تأدب
وتقل ترين وفقر تجمل وذو سن تفتى وناسك فك ومصون تمسك وهذه
العلامات يكون قبل استعار نار الحب وتأجج حريقه وتوقد شعبه واستطارة لهبه
فاما اذا تمكّن واخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سراراً والاعراض عن

كل ما حضر الا عن المحبوب جهاراً ولي آيات جمعت فيها كثيراً من هذه
العلامات منها :

اهوى الحديث اذا ما كان يذكر لي فيه ويعق لي عن عنبر أرج
ان قال لم استمع ممن يجالسني الى سوى لفظة المستطرف المنج
ولو يكون امير المؤمنين معي ما كنت من اجله عنه بمنعرج
فان اقم عنه مضطراً فاني لا ازال ملتقاً والمشي مشي وجي
عينا في وجسمي عنه مرتحل مثل الثقات الغريق البر في اللجج
اغص بالماء ان اذكر تباعده كمن تائب وسط القع والوهج
وان تقل يمكن قصد السماء اقل نعم واني لادري موضع الدنج
ومن علاماته وشواهد الظاهرة لكل ذي بصر الانبساط الكثير الزائد
واتصاف في المكان الواسع والمجازبة على الشيء يأخذه احدهما وكثرة الغمز
الحق والميل بالانكاء والتعمد لمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الاعضاء
الظاهرة وشرب فضاة ما ابقى المحبوب في الالة وتحري المكان الذي قابل فيه
ومنها علامات متضادة وهي على قدر الدواعي والعوارض الباعثة والاسباب المحركة
والخواطر المهيجة والاضداد انداد والاشياء اذا افترقت في غايات تضادها ووقفت
في انتهاء حدود اختلافها تشابهت قدرة من الله عز وجل تصل فيها الاوهام
فهذا التلج اذا ادمن حبسه في اليد فعل فعل النار ونجد الشرح اذا افترقت
والنعم اذا افترقت والضحك اذا كثر واشتد سال الدمع من العينين وهذا
في العالم كثير فنجد الحين اذا تكلفا في المحبة وتأكدت بينهما تأكداً شديداً
اكثر بهما جدتهما بغير معنى وتضادهما في اقبال تعمداً وخروج بعضهما على بعض
في كل يسير من الامور وتتبع كل منهما لفظة تقع من صاحبه وتأولها على
غير معناها كل هذه تجربة ليدو ما يعتقده كل واحد منهما في صاحبه والفرق
بين هذا وبين حقيقة الهجرة والمضادة المتولدة عن الشجاء ومخارجة التشاجر

سرعة الرضى فانك ربما ترى المحين قد بلغا الغاية من الائتلاف الذي لا تقدره
 يصلح عند الساكن النفس السام من الاحقاد في الزمن الطويل ولا يتجبر عند
 الحقود ابداً فلا تلبث ان تراهما قد عادا الى اجور الصبغة واهدرت المعاشية
 وسقط الخلاف وانصرفا في ذلك الحين بعينه الى المضاحكة والمداغة هكذا في
 الوقت الواحد مراراً واذا رأيت هذا من اثنين فلا تخافك شك ولا يدخلك
 ريب التة ولا تمار في ان بينهما سراً من الحب دفينا واقطع عليه قطع من
 لا يصرفه عنه صارف ودونكها تجربة صحيحة وخبرة صادقة هذا لا يكون الا عن
 تكاف في المودة واتلاف فحيح وقد رأيت كثيراً ومن اعلامه انه تجد الحب
 يستدعي سماع اسم من يحب ويستأذ الكلام في اخباره ويحبها هيراه ولا
 يرتاح لشيء ارتاحه له ولا يهنهه عن ذلك تخوف ان ينطن السامع وبهم
 الحاضر وجك الشيء يعمي ويصم فلو امكن الحب ان لا يكون حديث في مكان
 يكون فيه الا ذكر من يحبه لما تعداه وعرض للصادق المودة ان يتدي في
 الطعام وهو له مشته فما هو الا وقت ما يحتاج له من ذكر من يحب صار الطعام
 غصة في الحلق وشجي في المري وهكذا في الماء وفي الحديث فانه يفتاحه
 مبتجاً فنعرض له خطرة من خطرات الفكر فيمن يحب فتستين الحوالة في
 منطقته وانتصير في حديثه وآية ذلك الوجوه والاطراق وشدة الانعاش فينا
 هو طلق الوجه خفيف الحركات صار منطقاً متاقلاً حار النفس جامد الحركة
 يرم من الكلمة ويضجر من السؤال ومن علاماته حب الوحدة والانس بالانفراد
 وتحول الجسم دون حد يكون فيه ولا وجع مانع من الثقل والحركة والمشي
 دليل لا يكذب ومخبر لا يخون عن كلمة في النفس كاتمة والسهر من اعراض
 المحين وقد اكثر الشعراء في وصفه وحكوا انهم رعاة الكواكب ووصفوا طول
 الليل وفي ذلك اقول واذا ذكر كتمان السر وانه يتوسم بالعلامات
 تلمت السحاب من شؤني فعمت بالحيا السكب الهتون

وهذا الليل فيك غدا رفيقي
فان لم ينقض الاظلام ...
فليس الى النهار لنا سبيل
كأن نجومه والغيم يخفي
ضميري في ودادك يا منسائي
وفي مثل ذلك قطعة منها :

ارعى النجوم كأنتي كلفت ان
فكأنها والليل نيران الجوى
وكأنتي امسيت حارس روضة
لو عاش بطليموس ايقن انني

والشيء قد يذكر لما يوجه وقع لي في هذه الايات تشبيه شيئين بشيئين
في بيت واحد وهو البيت الذي اوله فكانها والليل وهذا مستغرب في الشعر
ولي ما هو اكمل منه وهو تشبيه ثلاثة اشياء في بيت واحد وتشبيه اربعة اشياء
في بيت واحد وكلاهما في هذه القطعة التي اوردها وهي :

مشوق معنى ما ينام مسهد
قفي ساعة بيدي اليك عجائباً
كان النوى والعتب والهجر والرضى
رثي لغرامي بعد طول تمنع
نعمننا على نور من الروض زاهر
كأن الحيا والمزن والروض عاطراً

ولا ينكرون على منكر قولي قران فاهل المعرفة بالكواكب يسمون اتقاء
كوكبين في درجة واحدة قراناً ولي ايضاً ما هو اتم من هذا وهو تشبيه خمسة
اشياء في بيت واحد في هذه القطعة وهي :

بخرم التجني ما يزال يعربد
(و) يعدو ويستحلي ويدني ويبعد
قران وانداد ونحس واسعد
واصبحت محسوداً وقد كنت احسد
سفته الغواصي فهو يثني ويحمد
دموع واجفان وخذ مورد

خلوت بها والراح نائلة لها وجنح ظلام الليل قدمه واتلج
فتاة عدمت العيش الا بقرها فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج
كاني وهي والكاس والحمرو الدجي ترى وحياً والدر والتبر والسنج
فهذا امر لا مزيد فيه ولا يقدر احد على اكثر منه اذ لا يحتمل العروض
ولابنية الاسماء اكثر من ذلك. ويعرض للمحين القلق عند احد امرين احدهما
عند رجائه لقاء من يحب فيعرض عند ذلك حائل

(خبر) واني لاعلم بعض من كان محبوبه يعده الزيارة فما كنت اراه الا جائئاً
وذاهباً لا يقربه القرار ولا يثبت في مكان واحد مقبلاً مدبراً قد استخفه السرور
بعد ركانة واشاطه بعد رزانة ولي في معنى انتظار الزيارة

اقت الى ان جاءني الليل راجياً لقاءك يا سؤلى ويا غاية الامل
فأياسني الاظلام عنك ولم اكن لأياس يوماً ان بدى الليل يتصل
وعندي دليل ليس يكذب خبره بامثاله في مشكل الامر يستدل
لانك لو زمت الزيارة لم يكن ظلام ودام النور فينا ولم يزل

والثاني عند حادث يحدث بينهما من عتاب لا تدرى حقيقته الا بالوصف فتعد
ذلك يشتد القلق حتى توقف على الجليلة فاما ان يذهب تحمله ان رجا العفو
(اما) ان يصير القلق حزناً واسفاً ان تخوف الهجر ويعرض للمحب الاستكانة
لجفاء المحبوب عليه وسيأتي مفسراً في باب ان شاء الله تعالى. ومن اعراض الجزع
الشديد والحرمة المقطعة تغلب عندما يرى من اعراض محبوبه عنه ونفساره منه
وآية ذلك الزفير وقلة الحركة والتأوه وتنفس الصعداء وفي ذلك اقول
شعراً منه :

وجيل الصبر مسجون ودموع العين سارحه

ومن علاماته انك ترى المحب يحب اهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا
احظى لديه من اهله ونفسه ومن جميع خاصته والبكاء من علامات الحب ولكن

يتفاضلون فيه فمنهم غزير الدمع هامل الشؤون تحببه عينه وتحضره عبرته اذا شاء
ومنهم جود العين عديم الدمع وانا منهم وكان الاصل في ذلك ادماي اكل الكندر
لحققان القلب وكان عرض لي في الصبي فاني لاصاب بالملصية الفادحة فأجد قلبي
يتنظر ويتقطع واحس في قلبي غصة امر من العلقم تحول بيني وبين توفية الكلام
حتى محارجه وتكاد تشوقي بالنفس احيانا ولا تجيب عيني البتة الا في المدة بالشيء
اليسير من الدمع

(خبر) ولقد اذكرني هذا النصل يوما ودعت انا وابو بكر محمد ابن اسحق
صاحبي ابا عامر محمد ابن عامر صديقاً رحمه الله في سفرته الى المشرق
التي لم نره بعد فجعل ابو بكر يبكي عند وداعه وينشد متفثلاً بهذا البيت :
الان عيناً لم تجد يوم واسط عليك يساقى دمعي لجود

وهو في رثاء يزيد بن عمر بن هبيرة رحمه الله ونحن وقوف على ساحل البحر
بماققة وجعلت انا اكثر التفجع والاسف ولا تساعدني عيني فقلت محبباً لابي بكر
وان امرأ لم يفن حسن اضطباره عليك وقد فارقه جليل

وفي المذهب الذي عليه الناس اقول من قصيدة قلتها قبل باوغ الخيم اولها

دليل الاسى نار على القلب تلتفح ودمع على الحدين يحمي ويسفح

اذا كتم المشغوف سر ضلوعه فان دموع العين تبدي وتفضح

اذا ما جفون العين سالت شؤونها ففي القلب داء للغرام مبرح

ويعرض في الحب سوء الظن واتهام كل كلمة من احدهما وتوجيهها الى غير

وجهها وهذا اصل العتاب بين المحبين واني لاعلم من كان احسن الناس ظناً

واوسعهم نفساً واكثرهم صبراً واشدهم احتمالاً وارحهم صدرأ ثم لا يحتمل ممن

يجب شيئاً ولا يقع له معه ايسر مخالفة حتى يبدي من التعديد فنونا ومن سوء الظن

وجوهاً وفي ذلك اقول شعراً منه :

أيء ظني بكل محقر تأتي به والحقير من حقير

كي لا يرى اصل هجرة وقلبي فالتار في بدء امرها شررا

واصل عظم الامور اهونها ومن صغير النوى ترى شجرا

وترى الحب اذا لم يثق ببقاء طوية محبوبة له كثير التحفظ مما لم يكن يتحفظ
قبل ذلك مثقفاً لكلامه مزيئاً لحركاته ومرامي طرفه ولا سيما ان دهى بتجن
ويلى بمعربد . ومن آياته : مراعاة الحب لمحبوبة وحفظه لكل ما يقع منه
وبحثه عن اخباره حتى لا يسقط عنه دقيقة ولا جليله وتبعه لحركاته ولعمري لقد
ترى البلبد يصير في هذه الحالة ذكياً والغافل فظناً

(خبر) ولقد كنت يوماً بالمرية قاعداً في دكان اسمعيل بن يونس الطيب
الاسرائيلي وكان بصيراً بالفراسة محسناً لها وكنا في لمة فقال له مجاهد ابن
الحسين القيسي ما تقول في هذا وأشار الى رجل متبذعنا ناحية اسمه حاتم
ويكنى ابا البقاء فنظر اليه ساعة يسيرة ثم قال هو رجل عاشق فقال له
صدقت فمن اين قلت هذا؟ قال : لبثت مفروط ظاهر على وجهه فقط دون
سائر حركاته فعملت انه عاشق وليس بمريب

﴿ باب من احب في النوم ﴾

ولا بد لكل حب من سبب يكون له اصلاً وانا مبتدئ بابعد ما يمكن ان
يكون من اسبابه ليجري الكلام على نسق وان يبتدأ ابدأ بالسهل والأهون
من اسبابه شيء لولا اني شاهدته لم اذكره لغرابته

(خبر) وذلك اني دخلت يوماً على ابي السري عمار بن زياد صاحبنا مولى
المؤيد فوجدته مفكراً مهتماً فسألته عما به فتمنع ساعة ثم قال لي اعجوبة ما سمعت
قط قلت وما ذاك قال رأيت في نومي الليلة جارية فاستيقظت وقد ذهب
قلبي فيها وهمت بها واني لاني اصعب حال من حبها ولقد بقي اياماً كثيرة
يزيد على الشهر مغموماً مهموماً لايهنته شيء وجداً الى ان عذلته وقلت له

من الخطأ العظيم ان تشغل نفسك بغير حقيقة وتعلق وهمك بعموم لا يوجد هل تعلم من هي قال لا والله قلت انك لقليل الرأي مصاب البصيرة اذ تحب من لم تره قط ولا خلق ولا هو في الدنيا ولو عشقت صورة من صور الحمام لكنت عندي اعذر فما زلت به حتى سلا وما كاد وهذا عندي من حديث النفس واضافتها وداخل في باب التمني وتخيل الفكر وفي ذلك اقول شعراً منه :

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت أطلعة الشمس كانت ام هي القمر
اظنة العقل ابداه تدره او صورة الروح ابدتها الى الفكر
او صورة مثلت في النفس من املي فقد تخيل في ادراكها البصر
او لم يكن كل هذا فهي حادثة اتى بها سبباً في حتمي القدر

﴿ باب من احب بالوصف ﴾

ومن غريب اصول العشق ان تقع المحبة بالوصف دون المعاينة وهذا امر يترقى منه الى جميع الحب فتكون المراسلة والمكاتبة والهلم والوجد والسهرة على غير الابصار فان للحكايات ونعت المحاسن ووصف الاخبار تأثيراً في النفس ظاهراً وان تسمع نغمتها من وراء جدار فيكون سبباً للحب واشتغال البال وهذا كله قد وقع لغير ما واحد ولكنه عندي ببيان هار على غير أس وذلك ان الذي افرغ ذهنه في هوى من لم ير لابد له اذ يخلو بفكره ان يمثل لنفسه صورة يتوهمها وعينياً يقيمها نصب ضميره لا يتمثل في هاجسه غيرها قد مال بوجهه نحوها فان وقعت المعاينة يوماً ما فينثذ بتأكد الامر او يطل بالكلية وكلا الوجهين قد عرض وعرف واكثر ما يقع هذا في ربات القصور المحجوبات من اهل البيوتات مع اقاربهن من الرجال وحب النساء في هذا اثبت من

حب الرجال لضعفين وسرعة اجابة طبائعين الى هذا الشأن وتمكنه منهم
وفي ذلك اقول شعراً منه :

ويا من لامني في حب من لم يره طرفي
لقد افرطت في وصفك لي في الحب بالضعف
فقل هل تعرف الجنة يوماً بسوى الوصف

واقول شعراً في استحسان النعمة دون وقوع العين على العيان منه :

قد حل جيش الغرام سمعي وهو على مقلتي يسدو
واقول ايضاً في مخالفة الحقيقة لظن المحبوب عند وقوع الرؤية :
وصغوك لي حتي اذا ابصرت ما وصفوا علمت بانه هذيان
فالطبل جلد فارغ وطنينه يرتاع منه ويفرق الانسان
وفي ضد هذا اقول :

لقد وصغوك لي حتي التقينا فصار الظن حقاً في العيان
فاوصاف الجنان مقصرات على التحقيق عن قدر الجنان

وان هذه الاحوال لتحدث بين الاصدقاء والاخوان وعني احدث
(خبر) انه كان بيني وبين رجل من الاشراف ود وكيد وخطاب كثير
وما ترآينا قط ثم منح الله لي لقاءه فاما مرت الايام قلائل حتي وقعت لنا
منافرة عظيمة ووحشة شديدة متصلة الى الآن فقلت في ذلك قطعة منها :

ابدلت اشخاصنا كرهًا وفرط قلبي كما الصخائف قد يبدلان بالنسخ

ووقع لي ضد هذا مع ابي عامر ابن ابي عامر رحمة الله عليه فاني كنت
له على كراهة صحيحة وهو لي كذلك ولم يرني ولا رأيته وكان اصل ذلك
تقليلاً يحمل اليه عني والي عنه يؤكده انحراف بين ابويننا لتنافسهما فيما كانا
فيه من صحبة السلطان ووجاهة الدنيا ثم وفق الله الاجتماع به فصار لي اود
الناس وصرت له كذلك الى ان حال الموت بيننا وفي ذلك اقول قطعة منها :

اخ لي كسبته اللقاء واوجدني فيه علماً شريفاً
وقد كنت اكرمه الجوار وما كنت ارجيه لي اليافاً
وكان البغيض فصار الحبيب وكان الثقل فصار الخفيفا
وقد كنت ادمن عنه الوجيف فصرت اديم اليه الوجيفا
واما ابو شاكر عبد الرحمن بن محمد القبري فكان لي صديقاً مدة على غير
رؤية ثم التقينا فتأكدت المودة واتصلت وتمادت الى الآن

(باب من احب من نظرة واحدة)

وكثيراً ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة وهو ينقسم قسمين
فالقسم الواحد يخالف للذي قبل هذا وهو ان يعشق المرء صورة لا يعلم من هي
ولا يدري لها اسماً ولا مستقراً وقد عرض هذا لغير واحد
(خبر) حدثني صاحبنا ابو بكر محمد بن احمد بن اسحق عن ثقة اخبره
سقط عنى اسمه وأظنه القاضي بن الحذاء ان يوسف بن هرون الشاعر المعروف
بالرمادي كان مجتازاً عند باب العطارين بقرطبة وهذا الموضع كان مجتمع النساء
فرأى جارية اخذت بمجامع قلبه وتحلل حبها جميع اعضائه فانصرف عن
طريق الجامع وجعل يتبعها وهي ناهضة نحو القنطرة فجازتها الى الموضع المعروف
بالريض فلما صارت بين رياض بني مروان رحيم الله المبنية على قبورهم في
مقبرة الريض خلف النهر نظرت منه منفرداً عن الناس لاهمة له غيرها
فانصرفت اليه فقالت له مالك تمشي ورائي فاخبرها بعظيم بليته بها فقالت له
دع عنك هذا ولا تطلب فضيحتي فلا مطمع لك في النية ولا الى ما ترجيه
سبيل فقال اني اقع بالنظر فقالت ذلك مباح لك فقال لها ياسيدي احره
ام مملوكة قالت مملوكة فقال لها ما اسمك قالت خلوة قال ولمن انت فقالت
له علمك والله بما في السماء السابعة اقرب اليك مما سألت عنه فدع الخصال

فقال لها ياسيدي واين اراك بعد هذا قالت حيث رأيتي اليوم في مثل تلك الساعة من كل جمعة فقالت له إما تهض انت وإما أنهض انا فقال لها انهضي في حفظ الله فهضت نحو القنطرة ولم يمكنه اتباعها لأنها كانت تلتفت نحوه لترى ايسارها ام لا فلما تجاوزت باب القنطرة أتى يقفوها فلم يقع لها على مسألة قال ابو عمر وهو يوسف بن هرون فوالله لقد لازمت باب العطارين والربض من ذلك الوقت الى الآن فما وقعت لها على خبر ولا ادري أسماء لحسها أم أرض بلعها وأن في قلبي منها لأحر من الجمر وهي خلوة التي يتنزل بها في اشعاره ثم وقع بعد ذلك على خبرها بعد رحيله في سببها الى سرقسطة في قصة طويلة ومثل ذلك كثير وفي ذلك اقول قطعة منها :

عيني جنت في فؤادي لوعة الفكر فأرسل الدمع مقتصاً من البصر
فكيف تبصر فعل الدمع متصفاً منها باعراقها في دمعها الدرر
لم القها قبل أبصاري فاعرفها وآخر العهد منها ساعة النظر
(والقسم الثاني) مخالف للباب الذي يأتي بعد هذا الباب ان شاء الله وهو ان يعلق المرء من نظرة واحدة جارية معروفة الاسم والمكان والمنشأ ولكن التفاضل يقع في هذا في سرعة الفناء وابطائه فمن احب من نظرة واحدة واسرع العلاقة من لحة خاطرة فهو دليل على قلة الصبر ومخبر بسرعة السلو وشاهد انظرافة والملل وهكذا في جميع الاشياء اسرعها نمواً اسرعها فناء وابطؤها حدوثاً ابطؤها نفاذاً

(خبر) اني لأعلم قتيماً من ابناء الكتاب ورأته امرأة سرية النشأة عالية المنصب غليظة الحجاب وهو مجتاز ورأته في موضع تطلع منه كان في منزلها فعلقته وعلقها وتهاديا المراسلة زماناً على ارق من حد السيف ولولا اني لم اقصد في رسالتي هذه كشف الحيل وذكر المكائد لاوردت مما صبح عندي اشياء تحير اللبيب وتدهش العاقل اسبل الله علينا ستره وعلى جميع المسلمين منه وكفانا

(باب من لا يجب الا مع المطاولة)

ومن الناس من لاتصح محبته الا بعد طول المخافة وكثير المشاهدة ومتادي
الانس وهذا الذي يوشك ان يدوم ويثبت ولا يحبك فيه مر الليالي فما دخل
عسيراً لم يخرج يسيراً وهذا مذهبي وقد جاء في الاثر (ان الله عز وجل
قال للروح حين امره ان يدخل جسد آدم وهو فخار فهاب وجزع أدخل
كرهاً واخرج كرهاً) حدثنا عن شيوخنا ولقد رأيت من اهل هذه الصفة من
ان احس من نفسه بائداء هوى او توحش من استحسانه ميلاً الى بعض
الصور استعمل الهجر وترك الانام لئلا يزيد ما يجد فيخرج الأمر عن يده ويحال
بين الغير والتزوان وهذا يدل على لصوق الحب باكباد اهل هذه الصفة وانه اذا
تمكن منهم لم يحل ابداً وفي ذلك اقول قطعة منها :

سأبعد عن دواعي الحب أني رأيت الحزم من صفة الرشيد
رأيت الحب اوله التصدي بعينك في ازاهير الحدود
فينا انت مقتبط مخلى اذا قد صرت في حلق القيود
كمغتر بضحاح قريب فذل فغاب في غمر المدود

واني لأطيل العجب من كل من يدعي انه يحب من نظرة واحدة ولا أكاد
أصدقه ولا أجعل حبه الا ضرباً من الشهوة واما ان يكون في ظني متمكناً
من صميم الفؤاد نافذاً في حجاب القلب فما اقدر ذلك وما لصق باحشائي حب
قط الا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهرأ وأخذني معه في كل
جد وهزل وكذلك انا في السلو والتوق فما نسيت ودأ لي قط وان حنيني الى
كل عهد تقدم لي ليفضي بالطعام ويشرقني بالماء وقد استراح من لم تكن هذه
صفته وما مللت شيئاً قط بعد معرفتي به ولا اسرعت الى الانس بشيء قط اول
لقائي له وما رغبت الاستبدال الى سبب من اسبابي مذ كنت لا اقول في الألاف

والاخوان وحدهم لكن في كل ما يستعمل الانسان من ملبوس ومركوب
ومطعم وغير ذلك وما استنعت بميش ولا فارقي الاطراق والانغلاق مذ ذقت
طعم فراق الاحبة وانه لشجى يتادني وولوع هم ما يغفك بطرقي ولقد نقص
تذكرى ماضى كل عيش استأنفه وأنى لقتيل الهموم في عداد الاحياء ودفين
الاسى بين اهل الدنيا والله المحمود على كل حال لا اله الا هو . وفي ذلك
اقول شعراً منه :

حبة صدق لم تكن بنت ساعة ولا ورثت حين ارتباد زنادها
ولكن على مهل سرت وتولدت بطول امتزاج فاستقر عمادها
فلم يدن منها عزمها واتقاضها ولم ينأ عنها مكثها وازديادها
يؤكد ذا انا نرى كل نشأة تم سرها عن قريب نهادها
ولكنني ارض عزاز صليبة منيع الى كل الغروس انقيادها
فما نفذت منها اديها عروقها فليست تبالي ان يجود عهادها

ولا يظن ظان ولا يتوهم متوهم ان كل هذا خلف لغوي المسطر في صدر
الرسالة ان الحب اتصال بين النفوس في اصل عالمها العلوي بل هو مؤكد له
فقد علمنا ان النفس في هذا العالم الادنى قد غمرتها الحجب ولحقها الاغراض
واحاطت بها الطبائع الارضية الكورية فسترت كثيراً من صفاتها وان كانت لم
تحله لكن حالت دونه فلا برج الاتصال تلى الحقيقة الا بعد التيهو من النفس
والاستعداد له وبعد اتصال المعرفة اليها بما يشاكلها ويوافقها ومقابلة الطبائع التي
خفت مما يشابهها من طبائع المحبوب فينثذ يتصل اتصالاً صحيحاً بلا مانع . واما
ما يقع من اول وهلة ببعض اعراض الاستحسان الجسدي واستطراف البصر
الذي لا يجاوز الالوان وهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة فاذا فصلت الشهوة
وتجاوزت هذا الحد ووافق الفصل اتصال نفسي تشترك فيه الطبائع مع النفس
يسمى عشقاً ومن هذا دخل الغلط على من يزعم انه يحب اثنين ويعشق

شخصين متبايرين فانما هذا من جهة الشهوة التي ذكرنا آنفاً وهي على المجاز تسمى محبة لاعلى التحقيق واما نفس الحب فما في الميل به فضل يصرفه من اسباب دينه وديناه فكيف بالاشتغال بحب ثان وفي ذلك اقول :

كذب المدعي هوى اثنين حتا مثل ما في الاصول اكذب ما في
ليس في القلب موضع لحبيب ن ولا احدث الامور بشائي
وكما العقل واحديس بدري خالقاً غير واحد رحمان
فكذا القلب واحديس يقوى غير فرد مباعداً او مدان
هو في شرعة المودة ذو شك بعيد من صحة الإيمان
وكذا الدين واحد مستقيم وكفور من عنده دينان

واني لأعرف فتى من اهل الجدة والحبيب والأدب كان يبتاع الجارية وهي سالمة الصدر من حبه واكثر من ذلك كارهة له لقلة حلاوة شمائل كانت فيه وقطوب دائم كان لا يفارقه ولا سيما مع النساء فكان لا يلبث الا يسيراً ربما يصل اليها بالجماع ويعود ذلك الكره حباً مفرطاً وكلفاً زائداً واستهتاراً مكشوقاً ويتحول الضجر لصحبته فجراً لفراقه بحبته هذا الامر في عدة منهن فقال بعض اخواني فسألت عن ذلك فتبسم نحوي وقال اذا والله اخبرك انا ابطأ النبل انزالا تقضي المرأة شهوتها وربما ثنت وانزالي وشهوتي لم ينقضيا بعد وما فترت بعدها قط واني لا أتقى بحسبي بعد انقضائها الحين الصالح وما لاقى صدري صدر امرأة قط عند الخلوة الا عند تعمدى المعانقة وبحسب ارتفاع صدري نزول مؤخري فمثل هذا وشبهه اذا وقع وافق اخلاق النفس وولد المحبة اذ الاعضاء الحساسة مسالكة الى النفوس ومؤديات نحوها (١)

(١) خطر لنا حذف ما في هذا الكتاب مما ياتل هذا بيد اتنا لم نبح لانفسنا اسقاط ما ارتضاه ابن حزم لكتابه وما نحن بابرع ولا اتقى ولا احفظ لحرمة الاخلاق منه .

(باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها)

واعلم اعزك الله ان للحب حكماً على النفوس ماضياً وسلطاناً قاضياً وامراً لا يخالف وحداً لا يعصى وملكاً لا يتمدى وطاعة لا تصرف ونفاذاً لا يرد وانه ينقص المرر ويحيل المبرم ويحلل الجامد ويحل الثابت ويحل الشفاف ويحل المنوع ولقد شاهدت كثيراً من الناس لا يهتمون في تمييزهم ولا يخاف عليهم سقوط في معرفتهم ولا اختلال بحسن اختيارهم ولا تقصير في حدسهم قد وصفوا احباباً لهم في بعض صفاتهم ما ليس بمستحسن عند الناس ولا يرضى في الجمال فصارت محيرتهم وعرضة لاهوائهم ومنتهى استحسانهم ثم مضى اولئك اما بسلو او بين او حجر او بعض عوارض الحب وما فارقه استحيان تلك الصفات ولا بان عنهم تفضيلها على ما هو افضل منها في الخليفة ولا مالوا الى سواها بل صارت تلك الصفات المستجادة عند الناس مهجورة عندهم وساقطة لديهم الى ان فارقوا الدنيا ولتقضت اعمارهم حيناً منهم الى من فقدوه والفة ابن صحبوه وما اقول ان ذلك كان تصنعاً لكن طبعاً حقيقياً واختياراً لادخاله فيه ولا يرون سواء ولا يقولون في طي عقدهم بغيره واني لأعرف من كان في جيد حبيبه بعض الوقص فما استحسن اغيد ولا غيداء بعد ذلك واعرف من كان اول علاقته بجارية مائلة الى التقصير فما احب طريفة بعد هذا واعرف ايضاً من هوى جارية في فربا فوره لطيف فاقدر كل فم صغير ويذمه ويكرهه الكراهية الصحيحة وما اصف من متقوصي الخلو في العلم والادب لكن عن اوفر الناس قسطاً في الادراك واحقهم باسم الفهم والدراية . وعني اخبرك اني احببت في صبي جارية لي شقراء الشعر فما استحسن من ذلك الوقت سوداء الشعر ولو انه على الشمس او على صورة الحسن نفسه واني لاجد هذا في اصل تركيبي من ذلك الوقت لانزائني نفسي على سواء ولا تحب غيره البتة وهذا العارض بعينه

عرض لأبي رضي الله عنه وعلى ذلك جرى الى ان واقاه اجله واما جماعة
خلفاء بني مروان رحمهم الله ولا سيما ولد الناصر منهم فكلهم مجبولون على تفضيل
الشقرة لا يختلف في ذلك منهم مختلف وقد رأيناهم ورأينا من رأيهم من لدن
دولة الناصر الى الآن فما منهم الا اشقر نزاعاً الى اماتهم حتى قد صار ذلك
فيهم خلقه حاشى سليمان الظافر رحمه الله فاني رأيت اسود الهة واللحية واما
الناصر والحكم المستنصر رضي الله عنهما فحدثني الوزير ابي رحمه الله وغيره
انهما كانا اشقرين اشهلين وكذلك هشام المؤيد ومحمد المهدي وعبد الرحمن
المرتضى رحمهم الله فاني قد رأيتهم مراراً ودخلت عليهم فرأيتهم شقراً شهلاً
وهكذا اولادهم واخوتهم وجميع اقاربهم فلا ادري اذلك استحسان مركب
في جميعهم ام لرواية كانت عند اسلافهم في ذلك فحروا عليها وهذا ظاهر في
شعر عبد الملك بن مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن امير المؤمنين الناصر
وهو المعروف بالظليق وكان اشعر اهل الاندلس في زمانهم واكثر تغرله فبالشر
وقد رأيت وجالسته وليس العجب فيمن احب قبيحاً ثم لم يصحبه ذلك في
سواه فقد وقع من ذلك ولا فيمن طبع مذ كان على تفضيل الادنى ولكن
فيمن كان ينظر بعين الحقيقة ثم غاب عليه هوى عارض بعد طول بقاءه في
الجماعة فاحاله عما عهدته نفسه حوالة صارت له طبعاً وذهب طبعه الاول وهو
يعرف فضل ما كان عليه اولاً فاذا رجع الى نفسه وجدها تأتي الا الادنى
فالعجب لهذا التغلب الشديد والتسليط العظيم وهو اصدق الحجة حقاً لامن يتحلى
بشيء قوم ليس منهم ويدعي غريزة لا تقبله فيزعم انه يتخير من يحب اما لو
شغل الحب بصيرته واجاح فكرته واجحف بتمييزه لحال بينه وبين الشغل
والارتياح وفي ذلك اقول شعراً منه :

منهم فني كان في محبوه وقص
كأنما العيد في عينه جنان
وكان منسجلاً في فضل خبرته
بحجة حتمها في القول تبين

ان المها وبها الامثال سائرة لا ينكر الحسن فيه الدهر انسان
وقص فليس بها عتقاء واحدة وهل تران بطول الجيد بمران
وآخر كان في محبوه فوه يقول حسبي في الافواه غزلان
وثالث كان في محبوه قصر يقول ان ذوات الطول غيلان
واقول ايضاً :

يعيونها عندي بشقرة شعرها فقلت لهم هذا الذي زاتها عندي
يعيون لون النور والتبرضة لرأي جهول في الغواية تمتد
وهل عاب لون المرجس الغض عائب ولون النجوم الزاهرات على البعد
وابعد خلق الله من كل حكمة مفضل جرم فاحم اللون مسود
به وصفت الوان اهل جهنم ولبسة باك مشكل الاهل متحد
ومذلاحت الرايات سوداً تيقنت نفوس الوري ان لاسيل الى الرشيد

(باب التعريض بالقول)

ولا بد لكل مطلوب من مدخل اليه وسبب يتوصل به نحوه في يتفرد
بالاختراع دون واسطة الا العليم الاول جل ثناءه فاول ما يستعمل طلاب الوصل
واهل المحبة في كشف ما يحدونه الى احبتهم التعريض بالقول اما بانشاد شعر
او بارسال مثل او تسمية بيت او طرح لغز او تسليط كلام والناس يختلفون في
ذلك على قدر ادراكهم وعلى حسب ما يرونه من احبتهم من نفاق او انس او فطنة
او بلاهة واني لاعرف من ابتداً كشف محبته الى من كان يحب ببيات قاتها
فهذا وشبهه يتندي به الطالب للمودة فان رأى انساً وتسهيلاً زاد وان يمين
شيئاً من هذه الامور في حين انشاده لشيء مما ذكرناه او اراد ان بعض المعاني
التي حددنا وانتظاره الجواب اما بالفظ او بهيئة الوجه والحركات لموقف بين
الرجاء واليأس هائل وان كن حيناً قصيراً ولكنه اشراف على بلوغ الامل

او انقطاعه (ومن التعريض بالقول) جنس ثان ولا يكون الا بعد الاتناق ومعرفة
الحجة من المحبوب فينشد يقع التشكي وعقد المواعد واتتعديد واحكام المودات
بالتعريض وبكلام يظهر لسامعه منه معنى غير ما يذهبان اليه فيجيب السامع عنه
بجواب غير ما يتأدى الى المقصود بالكلام على حسب ما يتأدى الى سمعه ويسبق
الى وهمه وقد فهم كل واحد منهما عن صاحبه واجابه بما لا يفهمه غيرهما الا
من أيد بحس نافذ واعين بذكاء وامد بتجربة ولا سيما ان احسن من معانيهما
بشيء وقل ما يغيب عن المتوسم الحميد فهناك لا خفاء عليه في ما يريدان
(وانا اعرف) ففي وجارية كانا يتحابان فارادها في بعض وصلها على بعض
ما لا يحمل فقالت والله لاشكوك في الملا علانية ولا فضحتك فضيحة مستورة
فما كان بعد ايام حضرت الجارية مجلس بعض اكابر الملوك واركان الدولة
واجل رجال الخلافة وفيه ممن يتوق امره من النساء والخدم عدد كثير وفي
جلة الحاضرين ذلك الفتى لانه كان بسبب من الرئيس وفي المجلس مغنيات
غيرها فلما انتهى الغناء اليها سوت عودها واندفعت تغني بايات قديمة وهي :

غزال قد حكى بدر التمام كشمس قد تجلت من غمام
سبي قلبي بالحظ مراض وقد الغصن في حسن القوام
خضعت خضوع صب مستكين له وذلت ذلة مستهام
فصلني يا فديتك في حلال فما اهوى وصالا في حرام

وعفت انا هذا الامر فقلت :

عذاب واقع وشكاة ظلم انت من ظالم حكم وبخضم
تشكت ما بها لم يدر خلق سوى المشكو ما كانت تسمي



﴿ باب الإشارة بالعين ﴾

ثم يتلو التعريض بالقول اذا وقع القبول والموافقة الاشارة باحظ العين
وانه يقوم في هذا المعنى المقام المحمود ويباغ المبلغ العجيب ويقطع به وتواصل
ويوعد ويهدد ويتهر ويسقط ويؤمر وينهى وتضرب به الاعداد وينبه على الرقيب
ويضحك ويحزن ويسئل ويحجب ويمنع ويعطى واكمل واحد من هذه المعاني
ضرب من هيئة اللحظ لا يوقف على تحديده الا بالرؤية ولا يمكن تصويره ولا
وصفه الا الاقل منه وانا واصف ما تنسب من هذه المعاني فالاشارة بمؤخر العين
الواحدة نهى عن الامر وتفتيرها اعلام بالقول وادامة نظرها دليل على التوجع
والاسف وكسر نظرها آية الفرج والاشارة الى اطرافها دليل على التهديد
وقلب الحدة الى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على مشار اليه والاشارة
الخفية بمؤخر العينين كتابتهما سؤال وقلب الحدة من وسط العين الى المايق
بسرعة شاهد المنع وترعيد الحدقتين من وسط العينين نهى عام وسائر ذلك
لا يدرك الا بالمشاهدة واعلم ان العين تنوب عن الرسل ويدرك بها المراد
والحواس الاربع ابواب الى القلب ومنافذ نحو النفس والعين ابغها واحمها دلالة
واوعاها عملاً وهي رائد النفس الصادق ودليها الهادي ومرآتها المجاورة التي بها
تقف على الحقائق وتحوز الصفات وتنهم المحسوسات وقد قيل ليس الخبر
كالمعين وقد ذكر ذلك افليمون صاحب الفراسة وجعلها معتمدة في الحكم
وبحسبك من قوة ادراك العين انها اذا لاقى شعاعاً مجلياً صافياً اما
حديداً منصولاً او زجاجاً او ماء او بعض الحجارة الصافية او سائر الاشياء
المجاورة البراقة ذوات الرقيق والبصيص واللحمان يتصل اقصى حدوده بحجم
كثيف سائر مناع كدور انعكس شعاعها فادرك الناظر نفسه وحازها عياناً
وهو الذي ترى في المرآة فانت حينئذ كالناظر اليك بعين غيرك ودليل عياني

على هذا انك تأخذ مرآتين كبيرتين فتمسك احدهما بيمينك خلف رأسك
والثانية بيسارك قبالة وجهك ثم تزويها قليلاً حتى يلتقيان بالمقابلة فانك ترى
قفاك وكل ما ورائك وذلك لانعكاس ضوء العين الى ضوء المرأة التي خلفك
اذ لم تجد منفذاً في التي بين يديك ولما لم تجد وراء هذه الثانية منفذاً انصرف
الى ما قبله من الجسم وان كان صالح غلام ابي اسحق النظام خالف في
الادراك فهو قول ساقط لم يوافقه عليه احد ولو لم يكن من فضل العين
الا ان جوهرها ارفع الجواهر واعلاها مكانا لانها نورية لاتدرك الالوان
بسواها ولاشيء ابعد مرمى ولا انأى غاية منها لانها تدرك بها اجرام الكواكب
التي في الافلاك البعيدة وترى بها السهء على شدة ارتفاعها وبعدها وليس ذلك
الاتصالها في طبع خلقتها بهذه المرأة فهي تدركها وتصل اليها بالظفر لاعلى
قطع الاماكن والحلول في المواضع وتتقد الحركات وليس هذا لشيء من
الحواس مثل الذوق واللمس لا يدركان الا بالمجاورة والسمع والشم لا يدركان
الا من قريب ودليل على ما ذكرناه من الظفر انك ترى الصوت قبل سماع
الصوت وان تعمدت ادراكهما ساً وان كان ادراكهما واحداً لما تقدمت
العين والسمع .

﴿ باب المراسلة ﴾

ثم يتلو ذلك اذا امتزجا المراسلة بالكتب وللكتب آيات ولقد رأيت اهل
هذا الشأن يادرون لقطع الكتب وبحلها في الماء وبمحار اثرها قرب فضيحة
كانت بسبب كتاب وفي ذلك اقول :

عزيز علي اليوم قطع كتابكم ولكنه لم يلف للود قاطع
فأثرت ان يبق وداد ويمتحي مداد فان الفرع للاصل تابع
فكم من كتاب فيه مية ربه ولم يدره اذ تمته الاصابع

وينبغي ان يكون شكل الكتاب الطف الاشكال وجنسه املح الاجناس
ولعمري ان الكتاب للسان في بعض الاحايين اما لخصر في الانسان واما
لحياء واما لاهية نعم حتى ان لوصول الكتاب الى المحبوب وعلم الحب انه قد
وقع يده ورآه للذة يجدها الحب عجيبة تقوم مقام الرؤية وان لرد الجواب
والنظر اليه سروراً يعدل اللقاء ولهذا ما ترى العاشق يضع الكتاب على عينيه
وقلبه ويعانقه ولعمري ببعض اهل المحبة ممن كان يدري ما يقول ويحسن
الوصف ويعبر عما في ضميره بلسانه عبارة جيدة ويجيد النظر ويدقق في الحقائق
لايدع المراسلة وهو ممكن الوصل قريب الدار آتي الزار ومحكي انها وجوه
اللذة ولقد اخبرت عن بعض السقاط الوضوء انه كان يضع كتاب محبوه
على احليله وان هذا النوع من الاغتلاء قبيح وضرب من الشبق فاحش واما
سقي الجبر بالدمع فاعرف من كان يفعل ذلك ويقارضه محبوه بسقي الجبر بالريق
وفي ذلك اقول :

جواب أتاني عن كتاب بعته فسكن مهتاجاً وهيج ساكناً
سقت بدمع العين لما كتبه فعال محب ليس في الود خائناً
فما زال ماء العين يمحو سطوره فيا ماء عيني قد محوت المحاسن
غدا بدموعي اول الخط يتنا واضحي بدمعي آخر الخط باثنا
(خبر) ولقد رأيت كتاب الحب الى محبوه وقد قطع في يده بسكين له
فسال الدم واستمدته وكتب به الكتاب اجمع ولقد رأيت الكتاب بعد جفوفه
فما شككت انه يصبغ الملك .

﴿ باب السفير ﴾

ويقع في الحب بعد هذا بعد حلول الثقة وتام الاستئناس ادخال السفير
ويمجب تحيزه وارتياذه واستجاده واستفراجه فهو دليل عقل المرء ويده حياته
وموته وستره وفضيخته بعد الله تعالى فينبغي ان يكون الرسول ذا هيئة حاذقة

يكتفي بالإشارة وقرطس عن الغائب ويحسن من ذات نفسه ويضع من عقله ما اعقله باعته ويؤدي الى الذي ارسله كل ما يشاهد على وجهه كاتماً للاسرار حافظاً للعهد وفياً قنوعاً ناصحاً ومن تعدى هذه الصفات كان ضرره على باعته بمقدار ما نقصه منها وفي ذلك اقول شعراً منه :

رسولك سيف في يمينك فاستجد حساماً ولا تضرب به قبل صقله
فمن يك ذا سيف ~~ك~~كهام فضره يعود على المعنى منه بحمله
واكثر ما يستعمل المحبون في ارسالهم الى من يحبونه اما حائلاً لا يؤبه
له ولا يهتدي للحفاظ منه لصياه او لهيأة رثة او بدادة في طلعتة واما جليلاً
لا تلحقه الظن لنسك يظهره او لسن عالية قد بلغها وما اكثر هذا في النساء
ولاسيما ذوات العكاكيز والتسايسج والثوبين الاخرين واني لاذكر بقرطبة
التحذير للنساء المحدثات من هذه الصفات حيث مارأيتها او ذوات صناعة يقرب
بها من الاشخاص فمن النساء كالطبية والحجامة والسراقاة والدلالة والماشطة
والنائحة والغنية والكاهنة والمعلمة والمستخفة والصناع في المغزل والنسج وما اشبه
ذلك او ذا قرابة من المرسل اليه لا يشح بها عليه فكم منيع سهل بهذه
الافوصاف وعير يسر وبعيد قرب وجوح انس وكم داهية دعت الحجب
المصونة والاستار الكثيفة والمقاصير المحروسة والسدد المضبوطة لارباب هذه
النعوت ولولا ان ابنه عليها لما ذكرتها ولكن لقطع النظر فيها وقلة الثقة
بكل واحد والسعيد من وعظ بغيره وبالضد اسبل الله علينا وعلى جميع المسلمين
ستره ولا ازال عن الجميع ظل العافية

(خبر) واني لاعرف من كانت الرسول بينهما حمامة مؤدبة ويعقد الكتاب

في جناحها وفي ذلك اقول قطعة منها

تخيرها نوح فما خاب ظنه لديها وجاءت نحوه بالبشار
سأودعها كتي اليك فما كها رسائل تهدي في قوادم طائر

(باب طي السر)

ومن بعض صفات الحب الكتمان باللسان وجحود الحب ان سئل والتصنع باظهار الصبر وان يرى انه عزهاته (١) خفي وبأبى السر الدقيق ونار الكلف المتأججة في الضلوع الاظهوراً في الحركات والعين وديباً كديب النار في الفحم والماء في بيس المدر وقد يمكن التموه في اول الامر على غير ذي الحس اللطيف واما بعد استحكامه فحال وربما يكون السبب في الكتمان تصاون الحب عن ان يسم نفسه بهذه السمة عند الناس لانه يزعمه من صفات اهل البطالة فيفر منه ويتفادى منه وما هذا وجه التصحيح فبحسب المرء المسلم ان يعف عن محارم الله عز وجل التي يأتيها باختياره ويحاسب عليها يوم القيامة واما استحسان الحسن وتمكن الحب قطيع لا يؤمر به ولا ينهى عنه اذ القلوب بيد مقلبيها ولا يلزمها غير المعرفة والنظر في فرق ما بين الخطاء والصواب وان يعتقد الصحيح باليقين واما المحبة فخلقها وانما يملك الانسان حركات جوارحه المكتسبة وفي ذلك اقول :

يؤمر رجال فيك لم يعرفوا الهوى	وسيان عندي فيك لاح وساكت
يقولون جانبك التصاون جملة	وانت عليهم بالشرعة قانت
فقلت لهم هذا الرياء بعينه	صراحاً وزكي المرائين ماقت
متى جاء تحريم الهوى عن محمد	وهل منعه في حكم الذكّر ثابت
اذا لم اوقع محرماً اتقي به	محيثي يوم البعث والوجه باهت
فلست ابالي في الهوى قول لأم	سواء لعمرى جاهر او مخافت
وهل يلزم الانسان الا اختياره	وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت

(١) قال في الاساس : هو عزهاته عن الله والنساء اذا لم يردهن ورغب عنهن . قال اذا كنت عزهاته عن الله والصبا فكن حجراً من يابس الصخر جليداً

(خبر) واني لأعرف بعض من امتحن بشيء من هذا فسكن الوجد بين جوانحه فرام ججده الى ان غلظ الامر وعرف ذلك في شمائله من تعرض للمعرفة ومن لم يتعرض وكان من عرض له بشيء نجبه (١) وقبحه الى ان كان من اراد الخطوة لديه من اخوانه يؤهمه تصديقه في انكاره وتكذيب من ظن به غير ذلك فسر بهذا ولعهدي به يوماً قاعداً ومعه بعض من كان يعرض له بما في ضميره وهو ينتهي غاية الانتفاء اذ اجتاز بهما الشخص الذي كان يتهم بعلاقته فما هو الا ان وقعت عينه على محبوبه حتى اضطرب وفارق هيأته الاولى واصفر لونه وتفاوتت معاني كلامه بعد حسن تثقيف فقطع كلامه المتكلم معه فلقد استدعى ما كان فيه من ذكره فقل له ما عدا عما بدا فقال هو ما تظنون عذر من عذر وعذر من عذر ففي ذلك اقول شعراً منه :

ماعاش الا لان الموت يرحمه مما يرى من تباريح الضنى فيه
وانا اقول :

دموع الصب تنسل وستر الصب ينهك
كأن القلب اذ يبدو قطرة ضمها شرك
فيا أصحابنا قولوا فان الرأي مشترك
الى كم ذا أكتمه وما لي عنه مترك

وهذا انما يعرض عند مقاومة طبع الكتمان والتعاون لطبع الحب وغلبته فيكون صاحبه متحيراً بين ندين محرقتين وربما كان سبب الكتمان ابقاء الحب على محبوبه وان هذا لمن دلائل الوفاء وكرم الطبع وفي ذلك اقول :

درى الناس أي فتى عاشق كتيب معنى ولكن بمن
اذا عاينوا حالتي ايقنوا وان فقتشوا رجوعا في الظن
كخبط يرى رسمه ظاهراً وان طلبوا شرحه لم ين

(١) نجمة الرجل رده اقبح رد

كصوت حمام على ايكاة يرجع بالصوت في كل فن
تلد بفجواه أسمعنا ومعناه مستعجم لم بين
يقولون بالله سم الذي نفى حبه عنك طيب الوسن
وهيئات دزن الذي حاولوا ذهاب العقول وخوض الفتن
فهم ابدأ في احتلاج الشكوك بظن كقطع وقطع كظن

وفي كتمان السر اقول قطعة منها :

السر عندي مكان لو يحل به حي اذا لا اهتدى ريب المنون له
امته وحياة السر ميتة كما سرور المعنى في الهوى الوله
وربما كان سبب الكتمان توقي المحب على نفسه من اظهار سره لجلالة
قدر المحبوب

(خبر) ولقد قال بعض الشعراء بقرطبة شعراً تغزل فيه بصبح ام المؤيد
رحمه الله فغنت به جارية ادخلت على المنصور محمد ابن ابي عامر ليتاعها
فامر بقتلها

(خبر) وعلى مثل هذا قتل احمد بن مغيث واستئصال آل مغيث والتسجيل
عليهم الا يستخدم بواحد منهم ابدأ حتى كان سبباً لهلاكهم واتقراض بيتهم فلم
يبق منهم الا الشريد فقال وكان سبب ذلك تغزله باحدى بنات الخلفاء ومثل
هذا كثير ويحكى عن الحسن بن هانيء انه كان مغرمًا بحب محمد بن هارون
المعروف بابن زبيدة واحس منه بعض ذلك فاتهره على ادامة النظر اليه فذكر
عنه انه قال انه كان لا يقدر ان يديم النظر اليه الا مع غلبة السكر على محمد
وربما كان سبب الكتمان الا ينفر المحبوب او ينفر به فاني أدري من كان
محبوبه له سكناً وجليساً ولو باق باقل سبب من انه يهواه لكان منه مناط
الزنا قد تلت نجومها وهذا ضرب من السياسة ولقد كان يبلغ من انبساط
هذا المذكور مع محبوبه الى فوق الغاية وابدع النهاية فما هو الا ان باق اليه

بما يجد صار لا يصل الى التافه اليسير مع التيه ودالة الحب وتمنع الثقة بملك
 الفؤاد وذهب ذلك الانبساط ووقع التصنع والتجني فكان اخاً فصار عبداً
 ونظيراً فعاد اسيراً ولو زاد في برحه شيئاً الى ان يعلم خاصة المحبوب ذلك لما
 رآه الا في الطيف ولا تقطع القليل والكثير ولعاد ذلك عليه بالضرر وربما كان
 من اسباب السكتمان الحياء الغالب على الانسان وربما كان من اسباب السكتمان
 ان يرى المحب من محبوبه انحرافاً وصداء ويكون ذا نفس اية فيستتر بها يجد لثلاً
 يشمت به عدو او يريهم ومن يحب هوان ذلك عليه

﴿ باب الاذاعة ﴾

وقد تعرض في الحب الاذاعة وهو من منكر ما يحدث من اعراضه ولها
 اسباب منها ان يريد صاحب هذا الفعل ان يتري بزي الحيين ويدخل في
 عدادهم وهذه خلافة لا ترضى وتخلج بغيض ودعوى في الحب زائفة وربما
 كان من اسباب الكشف غلبة الحب وتسور الجهر على الحياء فلا يملك الانسان
 حينئذ لنفسه صرفاً ولا عدلاً وهذا من ابعد غايات العشق واغوى تحكمه على
 العقل حتى يمثل الحسن في تمثال القبيح والقبيح في هيئة الحسن وهناك يرى
 الخير شراً والشر خيراً وكل من مصون الستر مسبل القناع مسدول الفطاء قد
 كشف الحب ستره واباح حرمة واحمل حماء فصار بعد الصيانة علماً وبعد
 السكون مثلاً وأحب شيء اليه الفضيحة فيما لو مثل له قبل اليوم لاعتراه النافض
 عن ذكره ولطالت استعاذته منه فسهل ما كان وعراً وهان ما كان عزيزاً
 ولان ما كان شديداً ولعهدي بفتى من سروات الرجال وعلية اخواني قد دهي
 بمحية جارية مقصورة فلم بها وقطعه حبها عن كثير من مصالحه وظهرت آيات
 هواه لكل ذي بصر الى ان كانت هي تغلله على ما ظهر منه مما يقوده
 اليه هوى .

(خبر) وحدثني موسى بن عاصم بن عمرو قال كنت بين يدي ابي الفتح
والذي رحمه الله وقد امرني بكتب اكتبه اذ لحت عيني جارية كنت اكلف
بها فلم املك نفسي ورميت الكتاب عن يدي وبادرت نحوها وبهت ابي وظن
انه عرض لي عارض ثم راجني عقلي فسحت وجهي ثم عدت واعتذرت بانه
غلبني الرعاف واعلم ان هذا داعية نفاق المحبوب وفساد في التدبير وضعف في
السياسة وما شئ من الاشياء الا ولما أخذ فيه سنة وطريقة متى تعداها الطالب
او خرق في سلوكها انعكس بعمله عليه وكان كده عناء وتعبه هباءً وبخسه
زيادة وكلما زاد عن وجه السيرة المحرفاً وفي تجنبها اغراقاً وفي غير الطريق
ايغالا ازداد عن بلوغ مراده بعداً وفي ذلك اقول قطعة منها :

ولاتسع في الامر الجسيم تهازئاً ولا تسع جهراً في السير تريده
وقابل افانين الزمان متى يرد عليك فان الدهر جم وروده
فاشككها من حسن سعيك يكفك السير بغير والثريد شريده
الم تبصر الصباح اول وقده واشعاله بالنفخ يطفأ وقوده
وان ينصرم لفحه ولهيه فتفخك يدك وببدو مدوده

(خبر) واني لاعرف من اهل قرطبة من ابناء الكتاب وجلة الخدمة من
اسمه احمد بن فتح كنت اعهد كثير التصاون من بغاة العلم وطلاب الادب يبرز
اصحابه في الانقباض ويفوت في الدعة لا يظهر الا في حلقة فضل ولا يرى الا في
محفل مرضي محمود المذاهب جميل الطريقة بائناً بنفسه ذاهباً بها ثم ابعدت الاقدار
داري من داره فأول خبر طراً علي بعد اطاعتني شاطبة انه خلع عذاره في
حب فتى من ابناء الفتانين يسمى ابراهيم بن احمد اعرفه لاتستاهل صفاه
محبة من بيته خير وتقدم واموال عريضة ووفر تالد وصح عندي انه كشف
رأسه وابدى وجهه ورمى رسته وحسر محياه وشر عن ذراعيه وصمد صمد
الشهوة فصار حديثاً للسمار ومدافعاً بين نقلة الاخبار وتهودي ذكره في

الاقطار وجرت نقلته في الارض راحلة بالتعجب ولم يحصل من ذلك الا على كشف الغطاء واذاغة السر وشنة الحديث وفتح الاحدوتة وشروء محبوه عنه جملة والتحضير عليه من رؤيته البتة وكان غنياً عن ذلك وبمندوحة واسعة ومعزل رجب عنه ولو طوى مكنون سره واخفى بليات ضميره لاستدام لباس العافية ولم ينهج (١) برد الصيانة ولكان له في لقاء من يلي به ومحادثته ومجالسته امل من الآمال وتعلل كاف وان جبل الغدر ليقطع به والحجة عليه قائمة الا ان يكون مختلطاً في تميزه او مصاباً في عقله بجليل مافدحه فربما آل ذلك للغدر صحيح واما ان كانت بقية او ثبتت مسكة فهو ظالم في تعرضه ما يعلم ان محبوه يكرهه ويتأذى به وهذا غير صفة اهل الحب وسيأتي هذا مفسراً في باب الطاعة ان شاء الله تعالى

﴿ ومن اسباب الكشف وجه ثالث ﴾

وهو عند اهل العقول وجه مرذول وفعل ساقط وذلك ان يرى المحب من محبوه غدرأ او مللاً او كراهة فلا يجد طريق الاتصاف منه الا بما ضرره عليه اعود منه على المقصود من الكشف والاشتهار وهذا اشد العار واقبح النار واكوى بشواهد عدم العقل ووجود السخف وربما كان الكشف من حديث ينتشر واقوايل تفسو وتوافق قلة مبالاة من المحب بذلك ورضى بظهور سره اما لا عجب واما لاستظهار على بعض ما يؤمله وقد رأيت هذا الفعل لبعض اخواني من ابناء القواد وقرأت في بعض اخبار الاعراب ان نساءهم لا يقنعن ولا يصدقن عشق عاشق لهن حتى يشتهر ويكشف حبه وبجاهر ويعلن وينوه بذكرهن ولا ادري ما معنى هذا على انه يذكر عنهن العفاف واي عفاف مع امرأة اذ اقصى منها وسرورها الشهرة في هذا المعنى

(١) نهج التوب اخلقه

(باب الطاعة)

ومن عجيب مايقع في الحب طاعة الحب لمحبوبه وصرفه طباعه قسراً الى طباع من يحبه ربما يكون المرء شرس الخلق صعب الشكيمة جموح القياد ماضي الغزيرة حيي الاف ابي الخسف فما هو الا ان يتنعم نعيم الحب وتورط غمره ويعوم في بحره عادت الشراسة لياً والصعوبة سهلة والمضاء كلاله والحمية استسلاماً وفي ذلك اقول قطعة منها :

فهل للوصل النسا معاد وهل لتصاريف ذا الدهر حد
فقد اصبح السيف عبد القضيبي واضحي الغزال الاسير أسد

واقول شعراً منه :

واني وان تسب لاهون هالك كذائب نقر ذل من يد جهنم
على ان قتلي في هواك لذادة فيا عجبا من هالك متلذذ

ومنها :

ولو ابصرت انوار وجهك فارس لاغناهم عن هرمزان وموبد
وربما كان المحبوب كارهاً لظهار الشكوى متبرماً بسباع الوجد فترى الحب حينئذ بكم حزنه ويكظم اسفه وينطوي على غلته وان الحبيب متجن فعندها يقع الاعتذار عند كل ذنب والاقرار بالجريمة والمرء منها بريء تسليماً لقوله وتركاً لمخالفته واني لاعرف من دهي بثل هذا فما كان ينفك من توجيه الذنوب نحوه ولا ذنب له وايقاع العتاب عليه والسخط وهو تقي الجسد واقول شعراً الى بعض اخواني ويقرب مما نحن فيه وان لم يكن منه :

وقد كنت تلقاني بوجه لقربه تدان وللهجران عن قربه سخط
وما تكره العتب اليسير سيجتي على انه قد عيب في الشعر الوخط

فقد يتعب الانسان في الفكر نفسه وقد يحسن الخيلان في الوجه والنقطة
ترين اذا قلت ويفحش امرها اذا افطت يوماً وهل يحمد الفرط
ومنه :

اعنه فقد اضحى لفرط همومه يبكي اذ القرطاس والخبر والحط
ولا يقولن قائل ان صبر الحب على ذلة المحبوب دناءة في النفس فقد اخطأ
وقد علمنا ان المحبوب ليس له كفواً ولا نظيراً فيقارض باذاه وليس سبه وجفاده
مما يعير به الانسان ولا يبقى ذكره على الاحتباب ولا يقع ذلك في مجالس الخلفاء
ولا في مقاعد الرؤساء فيكون الصبر مستجرة للمذلة وضراعة قائدة للاستهانة
فقد ترى الانسان يكلف بامته التي يملك رقبها ولا يحول حائل بينه وبين التعدي
عليها فكيف الانتصار منها وسبل الامتصاص من السبب غير هذه انما ذلك بين
علية الرجال الذين تحصل انفاسهم وتتبع معاني كلامهم فوجه لها الوجوه
البعيدة لانهم لا يوقعونها سدى ولا يلقونها هملاً واما المحبوب فصعدة ثابتة وقضيب
متأد يحنو ويرضى متى شاء لالمنى وفي ذلك اقول :

ليس التذلل في الهوى يستنكر فالحب فيه يخضع المستنكر
لا تعجبوا من ذاتي في حالة قد ذل فيها قبلي المستنصر
ليس الحبيب مائلاً ومكافياً فيكون صبرك ذلة اذ تصبر
تفاحة وقعت فألم وقوعها هل قطعها منك انتصاراً يذكر

(خبر) وحدثني ابو دلف الوراق عن ملهمة ابن احمد الفيلسوف المعروف
بالمرجطي انه قال في المسجد الذي بشرقى مقبرة قریش بقرطبة الموازي لدار
الوزير ابن عمرو احمد بن محمد بن جدير رحمه الله في هذا المسجد كانت
مقدم بن الاصغر مريضاً ايام حداته بمشق بعجب ففى الوزير ابى عمرو
المذكور وكان يترك الصلاة في مسجد مسرور وبها كان سكناه ويقصد في الليل
والنهار الى هذا المسجد بسبب عجب حتى اخذه الحرس غير ما مرة في الليل

في حين الصرافه عن صلاة العشاء الآخرة وكان يقعد وينظر منه الى ان
كان الفتي يغضب ويصجر ويقوم اليه فيوجهه ضرباً ويلطم خديه وعينه فيسر
بذاك ويقول هذا والله اقصى امنيتي والآن قرت عيني وكان على هذا زماناً
يماشيه قال ابو دلف ولقد حدثنا مسلم بهذا الحديث غير مرة بحضرة عجيب
عندما كان يرى من وجاهة مقدم بن الاصغر وعرض جاهه وعافيته فكانت
حال مقدم بن الاصغر هذا قد جات جداً واختص بالمظن ابن ابي عامر
اختصاصاً شديداً واتصل بوالدته واهله وجرى على يديه من بليان المساجد
والسقايات وتسهيل وجوه الخير غير قليل مع تصرفه في كل ما يتصرف فيه اتحاب
السلطان من العناية بالناس وغير ذلك

(خبر) واشنع من هذا انه كانت لسعيد بن منذر بن سعيد صاحب الصلاة
في جامع قرطبة ايام الحكم المستنصر بالله رحمه الله جارية يحبها حباً شديداً
فمرض عليها انه يعتقد ويتزوجها فقالت له بساخرة به وكان عظيم اللحية ان
لحيتك استبشع عظمها فان حذفت منها كان ما ترغبه فاعمل الجليلين فيها حتى
لطفت ثم دعا بجاعة شهود واشهدهم على عثها ثم خطبها الى نفسه فلم ترض به
وكان في جملة من حضر اخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر اعرض عليها اني
اخطبها انا ففعل فاجابت اليه فتزوجها في ذلك المجلس بعينه ورضي بهذا العار
القادح على ورعه ونسكه واجتهاده فانا ادركت سعيداً هذا وقتله البربر يوم
دخولهم قرطبة عنوة واتهابهم اياها وحكم المذكور اخوه هو رأس المرتلة
بالاندلس وكبيرهم واستاذهم ومكلمهم وناسكهم وهو مع ذلك شاعر طيب وفقه
وكان اخوه عبد الملك بن منذر متهماً بهذا المذهب ايضاً ولي خطبة الري ايام الحكم
رضي الله عنه وهو الذي صلبه النصور بن ابي عامر اذ اتهمه هو وجماعة من
النمهاء والقضاة بقرطبة اتهم بلبسهم سرّاً لعبد الرحمن بن عبيد الله بن امير المؤمنين الناصر
رضي الله عنهم فقتل عبد الرحمن وصاب عبد الملك بن منذر وبدد شمل جميع

من اتهم وكان ابوهم قاضي القضاة منذر ابن سعيد متهماً بمذهب الاعتزال ايضاً
وكان اخطب الناس واعلمهم بكل فن واورعهم واكثرهم هزلاً ودعابة وحكم
المذكور في الحياة في حين كتابتي اليك بهذه الرسالة قد كف بصره
وأسن جداً

(خبر) ومن عجيب طاعة الحب لمحجوبه اني اعرف من كان سهر الليالي
الكثيرة ولقي الجهد الجاهد فقطعت قلبه ضرورب الوجد ثم ظنر بمن يحب
وليس به امتناع ولا عنده دفع فحين رأى منه بعض الكراهة لما نواه تركه
وانصرف عنه لاتعفنأ ولا تخوفاً لكن توقفاً عند موافقة رضاه ولم يجد من نفسه
معينا على اتيان ما لم ير له اليه نشاطاً وهو يجد ما يجد واني لاعرف من فعل
هذا الفعل ثم تدم وتندم ما ظهر من المحبوب فقلت في ذلك :

غافض (١) الفرصة واعلم انها كمضي البرق تمضي الفرص
كم امور امكنت امهلها هي عندي اذ تولت غصص
بادر الكنز الذي الفيته واتهن صبراً كبحار يقنص

ولقد عرض مثل هذا بعينه لابي المظفر عبد الرحمن ابن احمد بن محمود
صديقنا وانشدته ابياتاً لي فطار بها كل مطار واخذها مني فكان هجيراً
(خبر) ولقد سألتني يوماً ابو عبد الله محمد بن كليب من اهل القبروان
ايام كوني بالمدية وكان طويل اللسان جداً مثقفاً للسؤال في كل فن فقال لي
وقد جرى بعض ذكر الحب ومعانيه اذا كره من احب لقائي وتجنب قربي
فما اصنع قلت ارى ان تسعى في ادخال الروح على نفسك بلقاءه وان كره
فقال لكنني لا ارى ذلك بل اؤثر هواه على هواي ومراده على مرادي واصبر
واصبر ولو كان في ذلك الحنف فقلت له اني انما احبته لنفسي ولالاتذازها بصورته

(١) غافضة غفاصاً ومنافضة : فاجأه واخذته على غرة منه

فأنا اتبع قياسي واقود اصلي واقفو طريقتي في الرغبة في سرورها فقال لي هذا ظلم من القياس اشد من الموت ما تمنى له الموت واعز من النفس ما بذلت له النفس فقلت له ان بذلك نفسك لم يكن اختياراً بل كان اضطراراً ولو أمكنك الا تبذلها لما بذلتها وتركك لقاءه اختياراً منك انت فيه ملوم لاضرارك بنفسك وإدخالك الحثف عليها فقال لي انت رجل جدلي ولا جدل في الحب يلتفت اليه فقات له اذا كان صاحبه مأوفاً (١) فقال واي آفة اعظم من الحب .

﴿ باب المخالفة ﴾

وربما اتبع الحب شهوته وركب رأسه فبلغ شقاءه من محبوه وتعهد مسرته منه على كل الوجوه سخط اورضي ومن ساعده على الوقت هذا وثبت جناحه واتيحت له الاقدار استوفى لذته جميعها وذهب غمه وانقطع همه ورأى امله وبلغ مرغوبه وقد رأيت من هذه صفة وفي ذلك اقول اياتاً منها :

}	اذا انا بلغت نفسي المنى	من رשא ما زال لي ممرضاً
	فما أبالي الكره من طاعة	ولا أبالي سخطاً من رضا
	اذا وجدت الماء لا بد أن	أطفي به مشعل جمر الفضا

﴿ باب العاذل ﴾

واللجب آفات فأولها العاذل والعدال اقسام فأصلهم صديق قد اسقطت مؤونة استحفظ بينك وبينه فعذله افضل من كثير المساعدات وهي من الحظ والنهي وفي ذلك زاجر للنفس عجيب وتقوية لطيفة لها عرض وعمل ودواء تشد عليه الشهوة ولا سيما ان كان رفيقاً من قوله حسن التواصل الى ما يرد من المعاني

(١) الآفة العاهة : وأصابته آفة فهو مشوف

بلفظه عالماً بالاوقات التي يؤكد فيها النبي وبلاحيات التي يزيد فيها الامر
والساعات التي يكون فيها وفقاً بين هذين على قدر ما يرى من تسهيل العاشق
وتوعره وقبوله وعصيانه ثم عاذل زاجر لايفيق ابداً من الملامة وذلك خطب
شديد وعند ثقيل ووقع لي مثل هذا وان لم يكن من جنس الكتاب ولكنه
يشبهه وذلك ان ابا السري عمار بن زياد صديقنا اكثر من عذلي على نحو
نحوته واعان على بعض من لامني في ذلك الوجه ايضاً وكنت اظن انه سيكون
معي مخطئاً كنت او مصيباً لو كيد صداقتي معه وصحيح اخوتي به ولقد رأيت
من اشد وجده وعظم كلفه حتى كان العذل احب شيء اليه ليري العاذل
عصيانه ويستلذ مخالفته ويحصل مقاومته اللائمة وغلبته اياه كالملك الهازم لعدوه
والمجادل الماهر المغالب لخصمه ويسر بما يقع منه في ذلك وربما كان هذا
المستجلب لعذل العاذل باشياء يوردها توجب ابتداء العذل وفي ذلك اقول
اياتاً منها :

احب شيء الى اللوم والعذل كي اسمع اسم الذي ذكره لي امل
كأني شارب بالعذل صافية وباسم مولاي بعد الشرب اتقل

﴿ باب المساعد من الاخوان ﴾

ومن الاسباب ائتمنة في الحب ان يهب الله عز وجل للانسان صديقاً
مخلصاً لطيف القول بسيط الطول حسن المأخذ دقيق المتفذ متمكن البيان
مرهف اللسان جليل الحلم واسع العلم قليل الخيانة عظيم المساعدة شديد الاحتمال
صابراً على الادلال جم الموافقة جميل الخاتمة مستوي المطابقة محمود الخلاق
مكثوف البوائق محتوم المساعدة كارهاً للمباعدة نبيل المداخل مصروف العوائل
غامض المعاني عارفاً بالاماني طيب الاخلاق سري الاعراق مكتوم السر كثير
البر صحيح الامانة مأمون الحيانة كريم النفس نافذ الحس صحيح الحدس مضمون

العون كامل الصون مشهور الوفاء ظاهر الغناء ثابت القريحة مبذول النصيحة مستيقن الوداد سهل الانقياد حسن الاعتماد صادق اللهجة خفيف المهجة غفيف الطباع رحب الذراع واسع الصدر متخلقاً بالصبر يألف الاحياء ولا يعرف الاعراض يستريح اليه بلابله ويشاركه في خلوة فقره ويفاضه في مكتوماته وان فيه للمحب لا عظم الراحات واين هذا فان ظفرت به يدك فشدتها عليه شد الضنين وامسك بهما إصبعك البخل وصنه بطارفك وتلك فمعه يكمل الانس وتنجلي الاحزان ويقصر الزمان وتطيب الاحوال ولن يفقد الانسان من صاحب هذه الصفة عوناً جيلاً ورأياً حسناً ولذلك اتخذ الملوك الوزراء ولدخلاء كي يخففوا عنهم بعض ما حملوه من شديد الامور وطوقوه من باهض الاحمال ولكي يستغنوا بأرائهم ويستمدوا بكفائتهم والا فليس في قوة الطبيعة ان تعاوم كل ما يرد عليها دون استعانة بما يشاكلها وهو من جنسها وانقد كان بعض الحيين لخدمة هذه الصفة من الاخوان وقلة ثقته منهم لما جربه من انفس وانه لم يعدم من باح اليه بشيء من سره احد وجهين اما ازراء على رأيه واما اذاعة لسره اقام الوحدة مقام الانس وكان يتفرد في المكان التارخ عن الانيس ويتاجي الهوى ويكلم الارض ويحمد في ذلك راحة كما يحمد المريض في التأوه والحزون في الزفير فان الهوم اذا ترادفت في القلب ضاقت بها فان لم ينض منها شيء باللسان ولم يسترح الى الشكوى لم يلبث ان يهلك غماً ويموت اسفاً وما رأيت الاسعاد اكثر منه في النساء فعندهن من المحافظة على هذا الشأن والتواصي بكتانه والتواطيء على طيه اذا اطلعن عليه ما ليس عند الرجال وما رأيت امرأة كشفت سر متحابين الا وهي عند النساء ممقوتة مستثناة مرمية عن قوس واحدة وانه ليوجد عند العجائز في هذا الشأن ما لا يوجد عند القتيات لان القتيات منهن ربما كشفتن ما علمن على سبيل التفسير وهذا

لا يكون الا في الندرة واما العجائز فقد يئسن من انفسهن فانصرفوا الى غيرهن

(خبر) واني لاعلم امرأة موسرة ذات جوار وخدم فشاع على احدى جواريتها انها تعشق فتى من اهلها ويعشقها وان بينهما معان مكروهة وقيل لها ان جارتك فلانة تعرف ذلك وعندها جلبت امرها فاخذتها وكانت غليظة العقوبة فاذاقها من انواع الضرب والاذاء مالا يصبر على مثله جلداء الرجال رجاء ان تبوح لها بشيء مما ذكر لها فلم تفعل البتة

(خبر) واني لاعلم امرأة جليلة حافظة لكتاب الله عز وجل ناسكة مقبلة على الخير وقد طفرت بكتاب لفتى الى جارية كان يكلف بها وكان في غير ملكها فعرفته الامر فرام الانكار فلم يتبأ له ذلك فقالت له مالك ومن ذا عصم فلا تبالي بهذا فوالله لا اطلعت على سر كما ابدأ ولو امكنتني ان اتباعها لك من مالي ولو احاط به كله لجعلتها لك في مكان تصل اليها فيه ولا يشعر بذلك احده وانك لترى المرأة الصالحة المسنة المنقطة الرجاء من الرجال واحب اعمالها اليها وارجاها للقبول عندها سعيها في ترويح يتيمة واعادة ثيابها وحلبها لعروس مقلدة وما اعلم علة تمكن هذا الطبع من النساء الا انهن متفرغات البال من كل شيء الا من الجماع ودواعيه والغزل واسبابه والتألف ووجوهه لا شغل لهن غيره ولا خلقن لسواه والرجال مقسمون في كسب المال وصحبة السلطان وطلب العلم وحياطة العيال ومكابدات الاسفار والصيد وضروب الصناعات ومباشرة الحروب وملاقات الفتن وتحمل المخاوف وعمارة الارض وهذا كله متحيف للفراغ صارف عن طريق البطل وقرأت في سير ملوك السودان ان الملك منهم يوكل ثقة له بنسائه يلقي عليهم ضريبة من غزل الصوف يشتغلن بها ابد الدهر لانهم يقولون ان المرأة اذا بقيت بغير شغل انما تشوق الى الرجال وتحن الى النكاح ولقد شاهدت النساء وعلمت من اسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري لاني

ربيت في حجرهم ونشأت بين ايديهم ولم اعرف غيرهم ولا جالست الرجال الا وانا في حد الشباب وحين يتقبل وجهي وهن علفني القرآن ورويني كثيراً من الاشعار ودرّبتني في الخط ولم يكن وكدي واعمال ذهني مذ اول فهمي وانا في سن الطفولة جداً الا تعرف اسبابهن والبحث عن اخبارهن وتحصيل ذلك وانا لالسي شيئاً مما اراه منهن واصل ذلك غيرة شديدة طبعت عليها وسؤ ظن في جهنن فطرت به فاشرفت من اسبابهن على غير قليل وسيأتي ذلك مفسراً في ابوابه ان شاء الله تعالى

﴿ باب الرقيب ﴾

ومن آفات الحب الرقيب وانه لحي باطنة وبرسام ملح وفكر مكب والرقباء اقسام فاولهم مقل بالجلوس غير متعمد في مكان اجتمع فيه المرء مع محبوبه وعزما على اظهار شيء من سرهما والبرح بوجودهما والانفراد بالحديث ولقد يعرض المحب من القلق بهذه الصفة ما لا يمرض له مما هو اشد منها وهذا وان كان يزول سريعاً فهو عائق حال دون المراد وقطع متوفر الرجاء (خبر) ولقد شاهدت يوماً محبين في مكان قد ظنا انهما انفردا فيه وتأهبا للشكوى فاستجلبا ما هما فيه من الخلوة ولم يكن الموضع حي فلم يلبثا ان طلع عليهما من كانهما يستقلانه فرأى فعدل الي واطال الجلوس معي فلو رأيت الفتي المحب وقد تمازج الاسف البادي على وجهه مع الغضب لرأيت عجياً وفي ذلك اقول قطعة منها :

يطيل جلوساً وهو اثقل جالس ويدي حديثاً لست ارضى فنونه
شمام ورضوى واللكام ويذبل ولبنان والضائف والحرب دونه
ثم رقيب قد احس من امرهما بطرف وتوجس من مذهبهما شيئاً فهو يريد
ان يستبري حقيقة ذلك فيدمن الجلوس ويطيل القعود ويتخفى بالحركات ويرمق

الوجوه ويحصل الانفاس وهذا اعدا من الحرب واني لاعرف من هم ان
بيادش رقيباً هذه صفته وفي ذلك اقول قطعة منها :

مواصل لا يغب (١) قصداً اعظم بهذا الوصال غماً

صار وصرنا لفرط ما لا يزول كالاسم والمسمى

ثم رقيب على المحبوب فذلك لاحيلة فيه الابتضية واذا أرضى فذلك غاية
اللذة وهذا الرقيب هو الذي ذكرته الشعراء في اشعارها ولقد شاهدت من تلطف في
استرضاء رقيب حتى صار الرقيب عليه رقيباً له ومتغافلاً في وقت التغافل ودافعاً
عنه وساعياً له ففي ذلك اقول :

ورب رقيب ارقبوه فلم يزل على سيدي عمداً ليعيدني عنه

فما زالت الالطاف تحكم أمره الى ان غدا خوفي له آمناً منه

وكان حساماً سل حتى يهديني فعاد محباً مالتعمته ككنه

واقول قطعة منها :

صار حياة وكان سهم ردى وكان سماً فصار درياقاً (٢)

واني لاعرف من رقب على بعض من كان يشفق عليه رقيباً وثق به عند
نفسه فكان اعظم الآفة عليه واصل البلاء فيه واما اذا لم يكن في الرقيب حيلة
ولا وجد الى ترضيه سبيل فلا طمع الا بالاشارة بالعين همساً وبال حاجب احياناً
والتعريض اللطيف بالقول وفي ذلك متعة وبلاغ الى حين يقنع به المشتاق وفي
ذلك اقول شعراً اوله :

على سيدي مني رقيب محافظ وفي لمن والاه ليس بنا كـ

ومنه :

ويقطع اسباب اللبابة في الهوى ويفعل فيها فعل بعض الحوارث

(١) يعني لا يقل في الزيارة (٢) الدرياق لغة في الترياق

كأن له في قلبه رية ترى وفي كل عين مخبر بالأحداث
ومنه :

على كل من حولي رقيان رتبا وقد خصني ذو العرش منهم بثالث
واشنع ما يكون الرقيب اذا كان ممن امتحن بالعشق قديماً ودهي به وطالت
مدته فيه ثم عري عنه بعد إحكامه لمعانيه فكان راغباً في صيانة من رقب عليه
فتبارك الله اي رقيب يأتي منه واي بلاء مصبوب يحل على اهل الهوى من
جهته وفي ذلك اقول :

رقب طالما عرف الغراما وقاسى الوجد وامتنع النداما
ولاقي في الهوى المأألماً وكاد الحب يورده الحماما
وأثقل حيلة الصب المعنى ولم يضع الاشارة والكلاما
واعقبه التسلي بعد هذا وصار يرى الهوى عاراً وذاماً (١)
وصيردون من اهوى رقيباً ليعبد عنه صبا مستهاما
فأي بلية صبت علينا واي مصيبة حلت لماما

ومن طريق معاني الرقباء اني اعرف محبين مذهبهما واحد في حب محبوب
واحد بعينه فلهدي بهما كل واحد منهما رقيب على صاحبه وفي ذلك اقول :
صبان هيئتان (٢) في واحد كلاهما عن خدنه منحرف
كالكلب في الأرى (٣) لا يختلف ولا يخفي الغير ان يختلف

(١) الدام العيب . ومنه المثل : لاتعلم الحسناء ذاما
(٢) رجل هيان يحب شديد الوجد
(٣) في المختار : مما يضعه الناس في غير موضعه قولهم للمعلف آرى وانما
الأرى محبس الدابة

﴿ باب الواشي ﴾

ومن آفات الحب الواشي وهو على ضربين أحدهما واش يريد القطع بين المتحابين فقط وإن هذا لأفترهما (١) سواء على أنه السم الذعاف والصاب الممقر (٢) والحنف القاصد والبلاء الوارد وربما لم ينجع ترقيشه (٣) وأكثر ما يكون الواشي فالى المحبوب وأما المحب فبهات : حال الجريض دون القريض . ومنع الحرب من الطرب شغله بما هو مانع له من استماع الواشي وقد علم الوشاة ذلك وإنما يقصدون الى الحلي البال الصائل بحوزة الملك المتعب عند أقل سبب وإن للوشاة ضرراً من التثيل فمنها أن يذكر للمحبوب عن محب أنه غير كاتم للسر وهذا مكان صعب المعاناة بطيء البرء إلا أن يوافق معارضاً للمحب في محبته وهذا امر يوجب التفار فلا فرج للمحبوب إلا بأن تساعد الاقدار بالاطلاع على بعض اسرار من يحب بعد أن يكون المحبوب ذا عقل وله حظ من تمييز ثم يدعه والمطاوله فاذا تكذب عنده نقل الواشي مع ما أظهر من الجفاء والتحفظ ولم يسمع لسره اذاعة علم أنه إنما زور له الباطل واضمحل مقام في نفسه ولقد شاهدت هذا بعينه لبعض الحيين مع بعض من كان يحب وكان المحبوب شديد المراقبة عظيم الكتان وكثر الوشاة بينهما حتى ظهرت اعلام ذلك في وجهه وحدث في حب لم يكن وركبته رحمة وأظلمت فكمرة ودهمت حيرة الى أن ضاق صدره وباح بما نقل اليه فلو شاهدت مقام المحب في اعتذاره لعلمت أن الهوى سلطان مطاع وبناء مشدود الاواخي (٤) وسنان نافذ وكان اعتذاره بين الاستسلام والاعتراف والانكار والتوبة والرمي بالمقاييد فبعد لأي ماصليح

(١) يريد اقلهما اساءة واخفهما شراً (٢) أمقر صار مرأ (٣) رقص كلامه رقصاً زوقه وزخرفه (٤) كناية عن قوته ومثانة اساسه

الامر بينهما وربما ذكر الواشي ان ما يظهر الحب من المحبة ليست بصحيحة وان مذهبه في ذلك شفاء نفسه وبلوغ وطره وهذا فصل وان كان شديداً في النقل فهو ايسر معاناة مما قبله فحالة الحب غير حالة التلذذ وشواهد الوجد متفرقة بينهما وقد وقع من هذا نبد كافية في باب الطاعة وربما نقل الواشي ان هوى العاشق مشترك وهذه النار المحرقة والوجع الفاشي في الاعضاء واذا وافق الناقل لهذه المقالة ان يكون الحب فتي حسن الوجه حلو الحركات مرغوباً فيه مائلاً الى اللذات دنيوي الطبع والمحبوب امرأة جليلة القدر سرية المنصب فاقرب الاشياء سميها في اهلاكه وتصديها لحقه فكم صريع على هذا السبب وكم من سقى السم فقطع أمعاء لهذا الوجه وهذه كانت ميثمة مروان بن احمد ابن حدير والد احمد المنتسك وموسى وعبد الرحمن المعروفين بابني لبني من قبل قطر الندى جاريته وفي ذلك اقول محذراً لبعض اخواني قطعة منها :

وهل يأمن النسوان غير مغفل جهول لاسباب الردى متأرض
وكم وارد حوضاً من الموت اسود ترشفه من طيب الطعم ايض
والثاني واش يسعى للقطع بين المحبين لينفرد بالمحجوب ويستأثر به وهذا اشد
شيء واقطعه واجزم لاجتهاد الواشي واستفادة جهده ومن الوشاة جنس
ثالث وهو واش يسعى بهما جميعاً ويكشف سرهما وهذا لا ياتفت اليه اذا كان
الحب مساعداً

وفي ذلك اقول :

عجبت لو اش ظل يكشف امرنا وما يسوى اخبارنا يتنفس
وماذا عليه من عنائي ولوعتي أنا آكل الرمان والولديضرس
ولا بد أن اورد ما يشبه ما نحن فيه وان كان خارجاً منه وهو شيء في بيان
التنكيل والتألم فالسلام يدعو بعضه بعضاً كما شرطنا في اول الرسالة وما في جميع
الناس شر من الوشاة وهم التهامون وان التهمة لطبع يدل على نقي الاصل

ورداء الفرع وفساد الطبع وخبث النشأة ولا بد لصاحبه من الكذب . والنميمة فرع من فروع الكذب ونوع من انواعه وكل تمام كذاب وما احببت كذاباً قط وإني لاساح في اخاء كل ذي عيب وان كان عظيماً واكل امره الى خالقه عز وجل وأخذ ما ظهر من اخلاقه حاشي من اعلمه يكذب فهو عندي ماح لكل محاسنه ومعف على جميع خصاله ومذهب كل مافيه فما ارجو عنده خيراً اصلاً وذلك لان كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه وكل ذام (١) فقد يمكن الاستتار به والتوبة منه حاشا الكذب فلا سبيل الى الرجعة عنه ولا الى كتمانته حيث كان وما رأيت قط ولا اخبرني من رأى كذاباً وترك الكذب ولم يعد اليه ولا بدأت قط بقطيعة ذي معرفة الا ان اطلع له على الكذب فيحذرك أكون انا القاعد الى مجانبته والمتعرض لمناكرته وهي سمة ما رأيتها قط في احد الا وهو مزنون (٢) في نفسه اليه بشق مغموز عليه لعاهة سوء في ذاته نفوذ بالله من الخذلان وقد قال بعض الحكماء آخ من شئت واجتنب ثلاثة . الاحق فانه يريد ان ينفعك فضرك . والمملول فانه اوثق ماتكون به لطول الصعبة وتأكدها خذلك . والكذاب فانه يحني عليك آمن ما كنت فيه من حيث لا تشعر . وحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (حسن العهد من الايمان) وعنه عليه السلام (لا يؤمن الرجل بالايمان كله حتى يدع الكذب في المزاج) حدثنا بهما ابو عمر احمد بن محمد عن محمد بن علي بن رفاعة عن علي بن عبد العزيز عن ابي عبيد القاسم ابن سلام عن شيوخه والآخر منهما مسند الى عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما والله عز وجل يقول (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل (هل يكون المؤمن بخيلاً فقال نعم قيل فهل يكون

(١) الذام العيب (٢) مزنون متهم

المؤمن جباناً فقال نعم قيل فهل يكون المؤمن كذاباً قال لا (حدثناه أحمد ابن محمد بن أحمد عن أحمد بن سعيد عن عبيد الله بن يحيى عن أبيه عن مالك بن انس عن صفوان بن سليم وبهذا الاستناد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا خير في الكذب) في حديث سئل فيه . وبهذا الاستناد عن مالك انه بلغه عن ابن مسعود انه كان يقول (لا يزال العبد يكذب وينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب فيكتب عند الله من الكذابين) وبهذا الاستناد عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال (عليكم بالصدق فانه يهدي الى الخير والبر يهدي الى الجنة واياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار) وروى انه آتاه صلى الله عليه وسلم فقال (يا رسول الله اني استر بثلاث الحر والزنا والكذب فرني ايهما اترك قال اترك الكذب فذهب عنه ثم اراد الزنا ففكر فقال آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألني اذنيت فان قلت نعم حذني وان قلت لا نقضت العهد فتركته ثم كذلك في الحر فعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني تركت الجميع فالكذب اصل كل قاحشة وجامع كل سوء وجالب لمقت الله عز وجل . وعن ابى بكر الصديق رضي الله عنه انه قال (لا يمان لمن لا امانة له) وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال (كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الحيانة والكذب) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (ثلاث من كن فيه كان منافقاً من اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا اؤتمن خان) وهل الكفر الا كذب على الله عز وجل والله الحق وهو يحب الحق وبالحق قامت السموات والارض وما رأيت اخزى من كذاب وما هلكت الدول ولا هلك الممالك ولا سفكت الدماء ظلماً ولا هتكت الاستار بغير التأمم والكذب ولا أكدت البغضاء والاحن المردية الا بتأمم لا يحظى صاحبها الا بالقتل والحزى والذل وان ينظر منه الذي ينقل اليه فضلاً عن غيره بالعين التي ينظر بها من الكلب

والله عز وجل يقول (ويل لكل همزة لمزة) ويقول جل من قائل (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فسمى المنقل باسم الفسوق ويقول (ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم) والرسول عليه السلام يقول (لا يدخل الجنة قتات) (١) ويقول (واياكم وقاتل الثلاثة) يعني المنقل والمنقول اليه والمنقول عنه والاحنف يقول (الثقة لا يبلغ وحق لذي الوجهين الا يكون عند الله وجيهاً) وهو ما يجعله من اخس الطبائع وارذلها ولي الى ابي اسحق ابراهيم بن عيسى الثقفى الشاعر رحمه الله وقد نقل اليه رجل من اخواني عني كذباً على جهة الهزل وكان هذا الشاعر كثير الوهم فاغضبه وصدقه وكلاهما كان لي صديقاً وما كان الناقل اليه من اهل هذه الصفة ولكنه كان المزاح جم الرعاية فكتبت الى ابي اسحاق وكان يقول بالحبر شعراً منه :

ولا تبديل قالة قد سمعتها تقال ولا تدري الصحيح بما تدري
كمن قد اراق الماء للال ان بدا فلاق الردى في الافيح المهمة القفر
وكتبت الى الذي نقل عني شعراً منه :

ولا ترعما في الجد مزحاً كمولج فساد علاج النفس طي صلاحها
ومن كان نقل الزور امضى سلاحه كمثل الجبارى (٢) تقي بسلاحها

وكان لي صديق مرة وكثر التدخيل بيني وبينه حتى كدح ذلك فيه واستبان في وجهه وفي لحظه وطبعت على التأنى والتربص والمسألة ما امكنت ووجدت بالانخفاض سيلاً الى معاودة المدة فكتبت اليه شعراً منه :

ولي في الذي أبدي مرام لو انها بدت ما ادعى حسن الرماية وهرز
واقول مخاطباً لعبيد الله بن يحيى الجزيري الذي يحفظ لعمه الرسائل البليغة

(١) اقلت نم الحديث (٢) الجبارى طائر اكبر من الدجاج الاهلي

وكان طبع الكذب قد استولى عليه واستحوذ على عقله وألفه إلفة النفس الأمل
ويؤكد نقله وكذبه بالإيمان المؤكدة المغلفة مجاهراً بها الكذب من السراب
مستهتراً بالكذب مشغولاً به لا يزال يحدث من قد صح عنده أنه لا يصدق فلا
يزجره ذلك عن أن يحدث بالكذب

بدا كل ما كتمته بين مخبر وحال ارتقي قبج عقدك بينا
وكم حالة صارت بياناً بحالة كما ثبت الأحكام بالجل الزنا
وفيه أقول قطعة منها :

أنم من المرأة في كل مادي واقطع بين الناس من قصب الهند
أظن النايا والزمان تعلم تحيله بالقطع بين ذوي الود
وفيه أيضاً أقول من قصيدة طويلة :

واكذب من حسن الظنون حديثه واقبح من دين وفقر ملازم
أوامر رب العرش اضيع عنده وأهون من شكوى إلى غير راحم
تجمع فيه كل خزي وفضحة فلم يبق شتا في المقال لساتم
وأثقل من عدل على غير قابل وأبرد برداً من مدينة سالم
وأخض من بين وهجر ورقبة جعن على حيران هامم

وليس من به غافلاً أو نصيح صديقاً أو حفظ مسلماً أو حكى عن فاسق
أو حدث عن عدو ما لم يكن يكذب ولا يكذب ولا تعتمد الضمائم ناقلاً وهل
هلك الضعفاء وسقط من لا عقل له إلا في قلة المعرفة بالناصح من التام وهما
صفتان متقاربتان في الظاهر متفاوتتان في الباطن أحدهما داء والآخرى دواء
والثاقب القريحة لا يخفى عليه أمرهما لكن الناقل من كان تنقيه غير مرضي في
الديانة ونوى به التشبث بين الأولياء والتضريب بين الإخوان والتحرش والتوبيش
والترقيش فمن خاف أن سلك طريق النصيحة أن يقع في طريق النسيمة ولم يثق
لنفاذ تمييزه ومضاء تقديره فيما يرد من أمور دنياه ومعاملة أهل زمانه فليجعل

دينه دليلاً له وسراجاً يستضيء به فحينئذ سلك به سلكاً وحيداً أوقفه وقف (كفلاً) له بالنظر رغمًا بالأصابة ضمان الفلج والخلاص (كذا) فصارع الشريعة وباعث الرسول عليه السلام ومرتب الأوامر والنواهي اعلم بطريق الحق وأدرى بعواقب السلامة ومغيبات النجاة من كل ناظر لنفسه بزعمه وباحث بقياسه في ظنه

(باب الوصل)

ومن وجوه العشق الوصل وهو حظ رفيع ومرتبة سرية ودرجة عالية وسعد طالع بل هو الحياة المجددة والعيش السني والسرور الدائم ورحمة من الله عظمة ولولا أن الدنيا دار ممر ومحنة وكدر والجنة دار جزاء وأمان من المكافأة لقلنا أن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه والفرح الذي لا شائبة فيه ولا حزن معه وكل الأماني ومنتهى الأراجي ولقد جربت المذات على تصرفها وأدرت الحظوظ على اختلافها فما للذنو من السلطان ولا المال المستفاد ولا الوجود بعد العدم ولا الآفة بعد طول الغيبة ولا الأمن بعد الخوف ولا الترهح على المال من الموقع في النفس ما للوصل لاسيما بعد طول الامتناع وحلول الهجر حتى يتأجج عليه الجوى ويتوقد لهيب الشوق وتصرم نار الرجاء وما أصناف النبات بعد غيب القطر ولا اشراق الأزهار بعد اقلاع السحاب الساريات في الزمان السجسج ولا خرب المياه المتخللة لأفانين النوار ولا تأثق القصور البيض قد احدثت بها الرياض الحضر بأحسن من وصل حبيب قد رضيت أخلاقه وحمدت غرائزه وتقايلت في الحسن أوصافه وأنه لم يجز السنة البلغاء ومقصر فيه بيان الفضحاء وغندة تطيش الالباب وتقرب الأفهام وفي ذلك أقول :

وسائل لي عما لي من العمر وقد رأى الشيب في القودين والعذر
اجتبه ساعة لا شيء احسبه عمراً سواها يحكم العقل والنظر
فقال لي كيف ذا بينه لي فلقد اخبرني اشنع الانباء والخبر

فقلت ان التي قلبي بها علق قبلتها قبلة يوماً على خطر
فما اعد ولو طالت سني سوى تلك السويعة بالتحقيق من عمري
ومن لذيذ معاني الوصل المواعيد وان للوعد المنتظر مكاناً لطيفاً من شغاف
القلب وهو ينقسم قسمين احدهما الوعد بزيارة الحب لمحجوبه وفيه اقول
قطعة منها :

اسامر البدر لما ابطأت واري في نوره من سنا اشراقها عرضاً
فبت مشرطاً والود مختلطاً والوصل منبسطاً والهجر منقبضاً
والثاني تنظار الوعد من الحب ان يزور محجوبه وان لمبادي الوصل وأوائل
الاسعاف لتولجاً على الفؤاد ليس لشيء من الاشياء واني لاعرف من كان
ممتحناً بهوى في بعض المنازل المصاحبه فكان يصل متى شاء بلا مانع ولا سبيل
الى غير النظر والمحادثة زماناً طويلاً ليلاً متى احب ونهاراً الى ان ساعدته
الافكار باجابه ومكنته باسعاد بعد يأسه لطول السدة ولعمري به قد كاد ان
يختلط عقله فرحاً وما كاد يتلاحق كلامه سروراً فقلت في ذلك :

برغبة لو الى ربي دعوت بها لكان ذنبي عند الله مغفورا
ولو دعوت بها اسد الفلا لعدا اخراها عن جميع الناس مقصورا
فجاء بالأم لي من بعد منعه فاهتاج من أوعتي ما كان مغفورا
كشارب الماء كي يظفي الغليل به فغص فانصاع (١) في الاجداث مقبورا
وقلت :

جري الحب متى مجرى النفس واعطيت عيني عسان الفرس
ولي سيد لم يزل نافرأ وريتا جباد لي في المجلس
فقبته طلياً راحة فراد أليلاً (٢) بقلبي اليأس

(١) انصاع رجع (٢) أليلاً : أقيتاً

وكان فؤادي ككسبت هشيم بيس رمى فيه رام قيس
ومنها :

وياجوهر الصين سحقا فقد غنيت يساقوتة الاندلس
(خبر) واني لاعرف جارية اشتد وجدها بفتى من ابناء الرؤساء وهو
لاعلم عنده وكثر غمها وطال أسفها الى ان ضنيت بحبه وهو بفرارة الصبي
لايشعر ويمنعها من ابداء امرها اليه الحياء منه لانها كانت بكرا بخاتمها مع
الاجلال له عن الهجوم عليه بما لاتدري لعله توافقه فلما تهادى الامر وكان
اليقين في النشأة شكت ذلك الى امرأة جزلة الرأي كانت تثق بها لتوليها
تربيتها فقالت لها عرضي له بالشعر ففعلت المرة بعد المرة وهو لايبأه في كل
هذا ولقد كان لفتا ذكيا لم يظن ذلك فيميل الى تنيش الكلام بوجهه الى
أن عيل صبرها وضاق صدرها ولم تمسك نفسها في قعدة كانت لها معه في
بعض الليالي منفردين ولقد كان يعلم الله عفيفا متصاونا بعيدا عن المعاصي فلما
حان قيامها عنه بددت اليه فقبلته في فمه ثم ولت في ذلك الحين ولم تكلمه
بكلمة وهي تهادى في مشيها كما اقول في ايات لي :

كانها حين تخطو في تأودها قضيب ترجسة في الروض مياس
كأنما خلدها في قلب عاشقها ففيه من وقعها حفر ووسواس
كأنما مشيها مشي الحمامة لا ككدياب ولابطؤ به باس
فبهت وسقط في يده وفث في عضده ووجد في كبده وعلته وجة فما هو
الا ان غابت عنه ووقع في شرك الردى واشتعلت في قلبه النار وتصدعت
انفاسه وترادفت اوجاله وكثر قلقه وطال أرقه فما غمض تلك الليلة عينا وكان
هذا بدء الحب بينهما دهرأ الى ان جذت جملتها يد النوى وان هذا لمن
مصادد ابليس ودواعي الهوى التي لايقف لها احد الا من عصمه الله عز وجل
ومن الناس من يقول ان دوام الوصل يودي بالحب وهذا محين من القمل

انما ذلك لأهل الملل بل كلما زاد وصلاً زاد اتصالاً . وعني اخبرك اني مارويت
قط من ماء الوصل ولازادني الاظماً وهذا حكم من تداوى برأيه وان رقه
عنه سريعاً ولقد بلغت من التمكن بمن احب ابعد الغايات التي لا يجد الانسان
وراءها مرمى فما وجدتي الاستزداً ولقد طال بي ذلك فما احسست بسآمة
ولا رهقتي فترة ولقد ضمني مجلس مع بعض من كنت احب فلم اجل خاطري
في فن من فنون الوصل الا وجدته مقصراً عن مرادي وغير شاف وجدي
ولا قاض اقل لبانة من لبانتي ووجدتي كلما ازددت دنواً ازددت تلوداً وقدحت
زناد الشوق نار الوجد بين ضلوعي فقلت في ذلك المجلس :

وددت بأن القلب شق بمدية وأدخلت فيه ثم اطبق في صدري

فاصبحت فيه لا تحلين غيره الى منقضى يوم القيامة والحشر

تعيشين فيه ما حيت فان أمت سكنت شغاف القلب في ظلم القبر

وما في الدنيا حالة تعدل محبين اذا عدما الرقاء وأما الوشاة وسلمها من
البين ورغبا عن الهجر وبعدا عن الملل وفقد العذال وتوافقا في الاخلاق
وتكافيا في المحبة واتاح الله لهما رزقاً داراً وعيشاً قاراً وزماناً هادياً وكان
اجتماعهما على ما يرضي الرب من الحال وطالت صحبتهما واتصلت الى وقت
حلول الحام الذي لا مرد له ولا بد منه هذا عطاء لم يحصل عليه احد وحاجة
لم تقض لكل طالب ولولا ان مع هذه الحال الاشفاق من بغات المقادير
الحكمة في غيب الله عز وجل من حلول فراق لم يكتسب واخترام منية في
حال الشباب او ما اشبه ذلك لثقت انها حال بعيدة من كل آفة وسليمة من
كل داخلة ولقد رأيت من اجتمع له هذا كله الا انه كان دهي فيمن كان
يحب بشراسة الاخلاق ودالة على المحبة فكانا لا يتنيان العيش ولا تطلع الشمس
في يوم الا وكان بينهما خلاف فيه وكلاهما كان مطبوعاً بهذا الخلق لثقة كل

واحد منهما بمحبة صاحبه الى ان دنت النوى بينهما ففترقا بالموت المرتب لهذا العالم وفي ذلك اقول :

ككيف أذم النوى واطلمها وكل اخلاق من احب نوى

قد كان يكنى هوى اضيق به فكيف اذجل بي نوى وهوى

وروي عن زياد ابن ابي سفيان رحمه الله انه قال جلسائه من انعم الناس عيشة قالوا امير المؤمنين فقال (واين مايلقي من قريش قيل فانت قال اين ما التي من الخوارج والتغور قيل فمن ايها الامير) قال رجل مسلم له زوجة مسلمة لها كفاف من العيش قد رضيت به ورضى بها لا يعرفنا ولا نعرفه . وهل فيما وافق اعجاب الخلقين وجلا القلوب واستمال الحواس واسهوى النفوس واستولى على الاهواء واقطع الالباب واختلس العقول مستحسن يعدل استفاق محب على محبوب ولقد شاهدت من هذا المعنى كثيراً وانه لمن المناظر العجيبة الباعثة على الرقة الرائقة المعنى لاسيما ان كان هوى يتكلم به فلو رأيت المحبوب حين يعرض بالسؤال عن سبب تفضيه بمحبه وخجلته في الخروج مما وقع فيه بالاعتذار وتوجيهه الى غير وجهه وتحيله في استنباط معنى يقيمه عند جلسائه لرأيت عجباً ولذة مخفية لاتقاومها لذة وما رأيت اجلب للقلوب ولا اغوص على حباتها ولا أنفذ للمقاتل من هذا الفعل وان للمحبين في الوصل من الاعتذار ما اعجز اهل الاذهان الذكية والافكار القوية ولقد رأيت في بعض المرات هذا فقلت :

اذا مزجت الحق بالباطل جوزت ماشئت على الغافل

وفيهما فرق صحيح له علامة تبدو الى العاقل

كأنك ان تخرج به فضة جازت على كل فتى جاهل

وان تصادف صائغاً ماهراً ميز بين الخض والحائل

واني لاعلم فتى وجارية كان يكلف كل واحد منهما بصاحبه فكانا يضطجعان

إذا حضرهما احد وبينهما المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش ويلتقي رأساهما وراء المسند ويقبل كل واحد منهما صاحبه ولا يريان وكأنهما انما يتمددان من الكلال ولقد كان باغ من تكافيهما في المودة امرأ عظيما الى ان كان القتي المحب ربما استطال عليها وفي ذلك اقول :

ومن اعاجيب الزمان التي طمت على السامع والمقاتل
رغبة مركوب الى راكب وذلة المسؤول للسائل
وطول مأسور الى آسر وصيلة المقتول للقاتل
ما إن سمعنا في الوري قبلها خضوع مأمول الى آمل
هل هاهنا وجه تراد سوى تواضع المفعول للفاعل

ولقد حدثني امرأة اتق بها انها شاعرت قتي وجارية كان يحبد كل واحد منهما بصاحبه فضل وجد قد اجتمعا في مكان على طرب وفي يد التي سكين يقطع بها بعض الفواكه فجراها جرأ زائداً فقطع ابهامه قطعاً لطيفاً ظهر فيه دم وكان على الجارية غلالة قصب خزائنية لها قيمة فصرفت يدها وخرقتها واخرجت منها فضلة شد بها ابهامه واما هذا الفعل للمحب فقليل فيما يجب عليه وفرض لازم وشريعة مؤداة وكيف لا وقد بذل نفسه ووهب روحه فما يمنع بعدها

(خبر) وأنا ادركت بنت زكريا بن يحيى التميمي المعروف بابن برطال وعما كان قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن يحيى واخوه الوزير القائد الذي كان قتله غالب وقائدين له في الوقعة المشهورة بالثغور وهما مروان بن احمد ابن شهيد ويوسف بن سعيد العكي وكانت متزوجة بيحيى بن محمد ابن الوزير يحيى ابن اسحق فعاجلته المنايا وهما في اغص عيشهما وانضر سرورهما فبلغ من اسفها عليه ان باتت معه في دثار واحد ليلة مات وجعلته آخر العهد به وبوصله ثم لم يفارقها الاسف بعده الى حين موتها وان للوصل المختلس

الذي يخاتل به الرقباء ويتحفظ به من الحضر مثل الضحك المستور والتحنج
وجولان الايدي والضغط بالاجناس والقرص باليد والرجل لموقفاً من النفس
شهاً وفي ذلك اقول :

ان للوصل الحفي محلاً ليس للوصل المكين الجلي
لذة تمزجها بارتقاب كسير في خلال النقي

(خبر) ولقد حدثني ثقة من اخواني جليل من اهل البيوتات انه كان
علق في صباه جارية كانت في بعض دور آله وكان ممنوعاً منها فهم علقه بها
قال لي فتزنها يوماً الى بعض ضياعنا بالسهلة غربي قرطبة مع بعض اعمامي
فتمشينا في البساتين وابعدنا عن المنازل وانبسطنا على الانهار الى ان غيمت
السما واقبل الغيث فلم يكن بالحضرة من الفطاء ما يكفي الجميع قال فامر عمي
ببعض الاغطية فالتقى علي وامرها بالاكتنان معي فظن بما شئت من التمكن
على اعين الملاء وهم لايشعرون وبالك من جمع كخلاء واحتفال كانوا قال
لي فوالله لانسيت ذلك اليوم ابداً ولعهدي به وهو يحدثني بهذا الحديث
واعضاؤه كلها تضحك وهو يهتز فرحاً على بعد العهد وامتداد الزمان في
ذلك اقول شعراً منه :

يضحك الروض والسحاب تبكي كحبيب رآه صب معنى

(خبر) ومن بديع الوصل ما حدثني به بعض اخواني انه كان في بعض
المنازل المصاحبة له هوى وكان في المنزلين موضع مطلع من احدهما على الآخر
فكانت تقف له في ذلك الموضع وكان فيه بعض البعد فتسلم عليه ويدها
ملفوفة في قميصها فخاطبها مستخبراً لها عن ذلك فاجابته انه ربما أحس من
امرنا شيء فوقف لك غيري فسلم عليك فرددت عليه فصيح الظن فهذه علامة
بيني وبينك فاذا رأيت يداً مكشوفة تشير نحوك بالسلام فليست يدي فلا تجاوب .
وربما استحلي الوصال واتفقت القلوب حتى يقع التخلج في الوصال فلا يلتفت

الى لائم ولا يستر من حافظ ولا ينال بناقل بل العذل حينئذ يغري وفي صفة
الوصل اقول شعراً منه :

كم درت حول الحب حتى لقد حصلت فيه كصول الفراش
ومنه :

تعتو الى الوصل دواعي الهوى كما سرى نحو سنا النار عاش
ومنه :

علاني بالوصل من سيدي كمثل تعليل الظماء العطاش
ومنه :

لأنوقف العين على غاية فالحسن فيه مستزيد وباش
واقول من قصيدة لي :

هل لقتيل الحب من وادي ام هل لعاني الحب من فادي
ام هل لدهري عودة نحوها كمثل يوم مر في الوادي
ظلت فيه ساجحاً صادقاً يا عجباً للساجح الصادي
ضنيت يا مولاي وجداً فما تبصرني الحاظ عوادي
كيف اهتدى الوجد الى غائب عن عين الحاضر والبادي
مل مداواتي طيبي فقد يرحمني للسقم حسادي

(باب الهجر)

ومن آفات الحب ايضاً الهجر وهو على ضروب فأولها هجر بوجه تحفظ
من رقيب حاضر وانه لاحل من كل وصل ولولا ان ظاهر اللفظ وحكم
التسمية يوجب ادخاله في هذا الباب لرجيت به عنه ولا أجلته عن تسطيره
فيه حينئذ ترى الحبيب منحرفاً عن محبة مقللاً بالحديث على غيره معرضاً بمعرض
لئلا تلحق ظنته او تسبق استراجه وترى الحب ايضاً كذلك ولكن طبعه له

جاذب ونفسه له صارفة بالرغم فتراه حينئذ منحرفاً كقبل وساكتاً كناطق
ونظراً الى جهة نفسه في غيرها والحاذق الفطن اذا كشف بوجهه عن باطن
حديثهما علم ان الحافي غير البادي وما جهر به غير نفس الخبر وانه لمن
اشاهد الجالبة للفن والتناظر الحركة للسواكن الباعثة للخواطر المبهجة للضائر
الجاذبة للفتوة. ولي ابيات في شيء من هذا اوردها وان كان فيها غير هذا
المعنى على ما شرطنا منها :

يلوم ابر العباس جهلاً بطبعه كما غير الحوت النعامة بالصدى

ومنها :

وكم صاحب اكرمه غير طائع ولا مكره الا لامر تعمد
وما كان ذاك البر الا لغيره كما نصبوا للطير بالحلب مصيداً
واقول من قصيدة محتوية على ضروب من الحكم وفنون من الآداب الطبيعية
وسراء احشائي لمن انا مؤثر وسراء ابنائي لمن اتجيب
فقد يشرب الصاب الكريه لعله ويترك صفو الشهد وهو محجب
واعدل في اجهاد نفسي في الذي أريد واني فيه اشقى واتعب
هل اللؤلؤ المكنون والدركله رأيت بغير الغوص في البحر يطلب
واصرف نفسي عن وجوه طباعها اذا في سواها صح ما انا ارغب
كما نسخ الله الشرائع قبلنا بما هو ادنى للصلاح واقرب
والقي سجايا كل خلق بثلها ونعت سجايي الصحيح المذهب
كما صار لون الماء لون انائه وفي الاصل لون الماء ابيض معجب

ومنها :

اقت دوى ودي مقام طباعي حياتي بها والموت منهن يرهب

ومنها :

وما انا ممن تطيبه بشاشة ولا يقتضي مافي ضميري التجنب

أزید نفاراً عند ذلك باطناً
فاني رأيت الحرب يعلو اشتعالها
وللهجة الرقشاء وشى ولونها
وإن فرند السيف اعجب منظرأ
وأجعل ذل النفس عزة اهلها
فقد يضع الانسان في الترب وجهه
فذل يسوق العز اجود للفتى
وكم مأكل اربت عواقب غيه
وماذاق عز النفس من لا يذلها
ورودك بعد الماء من بعد ظمأة

ومنها :

وفي كل مخلوق تراه تفاضل
ولا ترض ورد الريق الاضرورة
ولا تقربن ملح المياء فانها
شجى والصدى بالحر اولى واوجب

ومنها :

فيخذ من جراها ما تيسر واقتنع
فما لك شرط عندها لا ولا يد
ولا تك مشغولا بمن هو يغلب
ولا هي ان حصلت ام ولا اب

ومنها :

ولا تأسن مما ينال
ولا تأمن الاطلام فالفجر طالع
وان بدت فالامر ينأى ويصعب
ولا تلبس بالضوء فالشمس تغرب

ومنها :

ألح فان الماء يكدح في الصفا
وكثر ولا تفشل وقلل كثير ما
اذا طال ما يأتي عليه ويذهب
فعلت فناء المزن جم وينصب

م : « ٥ »

فلو يتغذى المرء بالسقم قاته وقام له منه غذاء مجرب
ثم هجر يوجه التذلل وهو ألد من كثير الوصال ولذلك لا يكون الا عن
ثقة كل واحد من المتحابين بصاحبه واستحكام البصيرة في صحة عقده فحينئذ
يظهر المحبوب هجراناً ليرى صبر محبه وذلك لئلا يصفو الدهر البتة وليأسف المحب
ان كان مفراط الشوق عند ذلك لالما حل لكن مخافة ان يترقى الامر الى
ما هو اجل يكون ذلك الهجر سبباً الى غيره او خوفاً من آفة حادت ملل
ولقد عرض لي في الصبي هجر مع بعض من كنت آلف على هذه الصفة
وهو لا يلبث ان يضمحل ثم يعود فلما كثر ذلك قلت على سبيل المزاح شعراً
بديهاً ختمت كل بيت منه بقسم من اول قصيدة طرفة بن العبد المعلقة وهي
التي قرأتها مشروحة على ابي سعيد التقي الجعفري عن ابي بكر المقرئ عن
ابي جعفر النحاس رحمهم الله في المسجد الجامع بقرطبة وهي :

تذكرت ودّاً للحبيب ككائه	لحولة اطلال بركة ثمهد
وعهدي بهد كان لي منه ثابت	يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقفت به لاموقناً برجوعه	ولا آيساً ابكي وابكي الى الغد
الى ان اطل الناس عذلي واكثروا	يقولون لاتهلك اسي وتجلد
كأن فنون السخط ممن احبه	خلايا سفين بالنواصف من دد
كأن انقلاب الهجر والوصل مركب	يجود به الملاح طوراً ويهتدي
فوقت رضى يلموه وقت تسخط	كما قسم التراب المنائل (١) باليد
ويبسم نحوي وهو غضبان معرض	مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

(١) فقال ككتاب لعبة للصبيان يحبون الشيء في التراب ثم يقتسمونه ويقولون
في ايهما هو واللاعب بها منائل

ثم هجر يوجهه العتاب لذنب يقع من المحب وهذا فيه بعض الشدة لكن فرحة الرجعة وسرور الرضى يعدل ما مضى فان لرضى المحبوب بعد سخطه لذة في القلب لاتعد لها لذة وموقفاً من الروح لايفوقه شيء من اسباب الدنيا وهل شاهد مشاهد او رأيت عين او قام في فكر الذواشي من مقام قد قام عنه كل رقيب وبعد عنه كل بغض وغاب عنه كل واش واجتمع فيه محبان قد تصارما لذنب وقع من المحب منهما وطال ذلك قليلاً وبدأ بعض الهجر ولم يكن ثم مانع من الاطالة للحديث فابتدأ المحب في الاعتذار والخضوع والتذلل والادلة بحجته الواضحة من الادلال والاذلال والتذم بما سلف فطوراً يدلى ببراءته وطوراً يرد بالعفو ويستدعي المغفرة ويقر بالذنب ولاذنب له والمحبوب في كل ذلك ناظر الى الارض يسارقه للحظ الخفي وربما ادامة فيه ثم ييسم مخفياً لتبسمه وذلك علامة الرضى ثم يتجلى مجلسهما عن قبول العذر ويقبل القول وامتحت ذنوب النقل وذهب آثار السخط ووقع الجواب بنعم وذنك مفعور ولو كان فكيف ولاذنب وحتما امرهما بالوصل الممكن وسقوط العتاب والاسعاد وتفرقا على هذا. هذا مكان تتناصر دونه الصفات وتلكن بتحديد الالسة ولقد وطئت بساط الخلفاء وشاهدت محاضر الملوك فما رأيت هية تعدل هية محب محبوبه ورأيت تمكن المتقلين على الرؤساء وتحكم الوزراء وانبساط مدبري الدول فما رأيت اشد تبججاً ولاعظم سروراً بما هو فيه من محب ايقن ان قلب محبوبه عنده ووثق بيله اليه وصحة مودته له وحضرت مقام المتعذرين بين ايدي السلاطين ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين فما رأيت اذل من موقف محب هيان بين ايدي محبوب غضبان قد غمره السخط وغلب عليه الجفاء ولقد امتحت الامرين وكنت في الحالة الاولى اشد من الحديد وانفذ من السيف لاجيب الى الدنية ولا اساعد على الخضوع وفي الثانية اذل من الرداء والين من القطن ابادر الى اقصى غايات التذلل لوتفع واغتم

فرصة الخضوع لو نجمع وتحلل بلساني واغوص على دقائق المعاني ببياني وافن القول فتوناً واتصدى لكل ما يوجب الترضي

والتيجي بعض عوارض الهجران وهو يقع في اول الحب وآخره فهو في اوله علامة لصحة الحبة وفي آخره علامة لفتورها وباب للسو

(خبر) واذكر في مثل هذا اني كنت مجتازاً في بعض الايام بقرطبة في مقبرة باب عامر في لمة (١) من الطلاب واصحاب الحديث ونحن زيد مجلس الشيخ ابي القاسم عبد الرحمن بن ابي يزيد المصري بالرصافة استاذي رضي الله عنه ومعنا ابو بكر عبد الرحمن بن سليمان البلوي من اهل سبتة وكان شاعراً مفلحاً وهو ينشد لنفسه في صفة متجن معهود اياتاً له منها :

سريع الى ظهر الطريق وانه الى نقض اسباب المودة يسرع (٢)

يطول علينا ان نزع وده اذا كان في رقيقه يتقطع

فوافق انشاد البيت الاول من هاذين البيتين خطور ابي الحسين بن علي القاسي رحمه الله وهو يوم ايضاً مجلس بن ابي يزيد فسمعه فتبسم رحمه الله نحونا وطوانا ماشياً وهو يقول بل الى عقد المودة ان شاء الله فهو اولى هذا على جد ابي الحسين رحمه الله وفضله وتقريبه وبراءته ونسكه وزهده وعلمه فقلت في ذلك :

دع عنك نقض مودتي متممداً واعقد جبال وصالنا يا ظالم

ولترجعن أردته او لم ترد كرهاً لما قال الفقيه العالم

ويقع فيه الهجر والعتاب ولعمري ان فيه اذا كان قليلاً للذة واما اذا تفاقم فهو فال غير محمود وأما ردة وبشة المصدر وعلامة سوء وهي بحملة الامر مطية الهجران ورائد الصريمة ونتيجة التيجي وعنوان الثقل ورسول الانفصال

(١) اللمة بالضم : الاصحاب (٢) لعل الاصل أسرع

وداعية القلى ومقدمة الصد وانما يستحسن اذا لطف وكان اصله الاشفاق وفي ذلك اقول :

اعلك بعد عتبك ان تجودا - بما منه عتب وان تريد
فكم يوم رأينا فيه صحواً وأسمنا بآخره الرعودا
وعاد الصحو بعد كما علمنا وانت كذلك ترجوان تعودا

وكان سبب قولي هذه الايات عتاب وقع في يوم هذه صقته من ايام الربيع
فقتلها في ذلك الوقت وكان لي في بعض الزمن صديقان وكانا اخوين فغابا في
سفر ثم قدما وقد أصابني رمد فتأخرا عن عيادتي فكتبت اليهما والخطابة
للا كبير منهما شعراً منه :

وكنت اعدد ايضاً على أخيك بمؤلة السامع
ولكن اذا الدجن غطي ذكا فما الظن بالقمر الطالع

ثم حجر بوجه الوشاة وقد تقدم القول فيهم وفيما يتولد من ديب عقاربهم
وربما كان سبباً للمقاطعة البتة

ثم حجر الملل والملل من الاخلاق المطبوعة في الانسان واحرى لمن دهي
به الا يصفو له صديق ولا يصح له اخاء ولا يثبت على عهد ولا يصبر على الف
ولا تطول مساعدته لمح ولا يعتد منه ود ولا يفض وأولى الامور بالناس
ان لا يغروه منهم وان يفروا عن صحبته ولقائه فلن يظفروا (١)
منه بطائل ولذلك ابعدا هذه الصفة عن المحبين وجعلناها في المحبوبين فهم بالجملة
اهل التجني والتظني والتعرض للمقاطعة واما من تريا باسم الحب وهو ملول
فليس منهم وحقه ان يهرج مذاقه وينفى عن اهل هذه الصفة ولا يدخل في
جلتهم وما رأيت قط هذه الصفة اشد تغلباً منها على ابى عامر محمد بن عامر

رحمه الله فلو وصف لي واصف بعض ما علمته منه لما صدقته واهل هذا الطبع اسرع الخلق حجة واقلمهم صبرا على المحبوب وعلى المكروه وبالضد (١) وانقلابهم على الود على قدر تسرعهم اليه فلا تثق بملول ولا تشغل به نفسك ولا تنها بالرجاء في وفائه فان دفعت الى محبته ضرورة فعده ابن ساعته واستأنفه كل حين من احيائه بحسب ما تراه من تلونه وقابله بما يشاكله ولقد كان ابو عامر المحدث عنه يرى الجارية فلا يصبر عنها ويحقيق به من الاغتمام والهم ما يكاد ان يأتي عليه حتى يملكها ولو حال دون ذلك شوك القتاد فاذا ايقن بتصيرها (٢) اليه عادت المحبة نفاراً وذلك الانس شروداً والقلق اليها قلقاً منها ونزاعه نحوها نزاعاً عنها فيبديها بأوكس الاثمان هذا كان دأبه حتى اتلف فيها ذكرنا من عشرات الوف الدنانير عدداً عظيماً وكان رحمه الله مع هذا من اهل الادب والخلق والذكاء والنبل والخلوة والتوقد مع الشرف العظيم والمنصب النخم والجاه العريض واما حسن وجهه وكمال صورته فشيء تقف الحدود عنه وتكل الاوهام عن وصف اقله ولا يتعاطى احد وصفه ولقد كانت الشوارع تخلو من السيارة ويعتمدون الخطور على باب داره في الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب دارنا في الجانب الشرقي بقرطبة الى الدرب المتصل بقصر الزاهرة وفي هذا الدرب كانت داره رحمه الله ملاصقة لنا لاشيء الا للنظر منه . ولقد مات من محبته جوار كن علقن اوها من به ورثين له فخانهم مما املته منه فصرن رهاًن البلى وقتلتهن الوحدة . وانا اعرف جارية منهن كانت تسمى عفراء عهدي بها لا تنستر بمحبته حيث ما جلست ولا تحجف دموعها وكانت قد نصيرت من داره الى البركات الحيال صاحب الفتيان . ولقد كان رحمه الله يخبرني عن

(١) لعل الصواب : وعلى المكروه والصد (٢) لم تر في اللغة تصير مشدداً

فعلل الاصل بمصيرها

نفسه انه يمل اسمه فضلاً عن غير ذلك واما اخوانه فانه تبديل بهم في عمره
على قصره مراراً وكان لا يثبت على ذي واحد كأبى براقش حيناً يكون في
ملابس الملوك وحيناً في ملابس الفسك فيجب على من امتحن بمخالطة من
هذه صفته على اي وجه كان ألا يستفرغ عامة جهده في محبته وان يقيم اليأس
من دوامه خصماً لنفسه فاذا لاح له مخايل الملل قاطعه اياماً حتى ينشط باله
ويعمد به عنه ثم يعاوده فربما دامت المودة مع هذا وفي ذلك اقول :

لا ترجون ملولاً ليس الملول بعده

ود الملول فدعه عارية مسترده

ومن الهجر ضرب يكون متوليه الحب وذلك عندما يرى من جفاء محبوبة
والميل عنه الى غيره او لتقيل يلازمه فيرى الموت ويتجرع غصص الأسى والاض
على نقيف (١) الحنظل أهون من رؤية ما يكره فينقطع وكبدته تنقطع وفي
ذلك اقول :

هجرت من أهواء لاعن قلى	يا عجباً للعاشق الهاجر
لكن عيني لم تطق نظرة	الى محيا الرشا الفاسد
فالموت احلى مطمعا من هوى	يساح للوارد والصادر
وفي القواد النار مذكية	فالعجب لصب جزع صابر
وقد اباح الله في دينه	تقية المأسور للأسر
وقد احل الكفر خوف الردى	حتى ترى المؤمن كالكافر

(خبر) ومن عجيب ما يكون فيها وشنيعه اني اعرف من هام قلبه بمتناء عنه
نافر منه. فقاسى الوجد زمناً طويلاً ثم سحت له الايام بسانحة عجيبة من الوصل

(١) في الاصل ثقيف ، ولعل الاصح ثقيف بمعنى منقوف من نقف الحنظل

اذا شقه عن حبه كما في القاموس

أشرف بها على بلوغ أمله فحين لم يكن بينه وبين غاية رجائه إلا كهؤلاء
عاد الهجر والبعد الى أكثر ما كان قبل فقلت في ذلك :

كانت الى دهري لي حاجة مقرونة في البعد بالمشتري
فاساقها باللطف حتى اذا كانت من القرب على محجر
أبعدها عني فعادت كأن لم تبسد للعين ولم تظهر

وقلت :

دنا أمني حتى مددت لأخذه يداً فاشتى نحو الحجرة راحلا
فاصبحت لارجو وقد كنت موقناً وأضحى مع الشعري وقد كان حاصل
وقد كنت محسوداً فاصبحت حاسداً وقد كنت مأمولاً فاصبحت آملا
كذا الدهر في كراته وانتقاله فلا يأمن الدهر من كان عاقلا

ثم هجر القلى وهنا ضلت الاساطير ونفدت الحيل وعظم البلاء وهو الذي
خلى العقول ذواهل فمن دهي بهذه الداهية فليتصد لمحبوب محبوبه وليتعهد
مايعرف انه يستحسنه ويجب ان يجتنب مايدري انه يكرهه فرما عطفه ذلك
عليه ان كان المحبوب ممن يدري قدر الموافقة والرغبة فيه واما من لم يعلم قدر
هذا فلا طمع في استصرافه بل حسناتك عنده ذنوب فان لم يقدر المراء
على استصرافه فليتعهد السلوان وليحاسب نفسه بما هو فيه من البلاء والحرمان
ويسعى في نيل رغبته على اي وجه أمكنه ولقد رأيت من هذه صنته وفي
ذلك اقول قطعة اولها :

دهيت بمن لو اذفع الموت دونه لقال اذا ياليتني في المقابر

ومنها :

ولا ذنب لي اذصرت احدى ركائبي الى الورد والدنيا تسبي مصادري
وماذا على الشمس النيرة بالضحي اذا قصرت عنها ضعاف البصائر

واقول :

ما أفصح الهجر بعد وصل واحسن الوصل بعد هجر
كالوفر تحويه بعد فطر والفقر يأتيك بعد وفر

واقول :

معهود اخلاقك، قسان والدهر فيك اليوم صنان
فانك التعمان فيما مضى وكان للنعمان يومان
يوم نعيم فيه سعد الورى ويوم بأساء وعدوان
فيوم نمالك لغيري ويو مي منك ذو بؤس وهجران
اليس حي لك مستأهلاً لان تجازيه باحسان

واقول قطعة منها :

يامن جميع الحسن منتظم فيه كنظم الدر في العقد
مبال حتي منك . يطرقني قصداً ووجهك طالع السعد

واقول قصيدة اولها :

أساعة نوديعك ام ساعة الحشر وليلة بيني منك ام ليلة النسر
وهجرك تعذيب الموحّد ينقضي ويرجو التلاقي ام عذاب ذوي الكفر

ومنها :

سقى الله اياماً مضت وليالها تحاكي لنا ليلوفر الغض في النسر
فاوراقه الايام حسناً وبهجة واوسطه الليل المقصر للعمر
لهونا بها في غمرة وتألف تمر فلا تدري وتأتي فلا تدري
فاعقبنا منه زمان كأنه ولاشك حسن العقد اعقب بالقدر

ومنها :

فلا تيايى ياناس على زماننا يعود بوجه مقبل غير مدبر
كما صرف الرحمن ملك امية اليهم ولوذي بالتجمل والصبر

وفي هذه القصيدة امدح ابا بكر هشام بن محمد اخا امير المؤمنين عبد الرحمن
المرتضى رحمه الله :
فأقول :

اليس يحيط الروح فينا بكل ما دنا وتناهى وهو في حجب الصدر
كذا الدهر جسم وهو في الدهر روحه محيط بما فيه وان شئت فاستقر (١)
ومنها :

إتوتها تهدي اليه ومنة تقبلها منهم يقاوم بالشكر
كذا كل نهر في البلاد وان طمت غزارته ينصب في لجج البحر

(باب الوفاء)

ومن حميد الغرائز وكرم الشيم وفاخل الاخلاق في الحب وغيره الوفاء
وانه لمن اقوى الدلائل واوضح البراهين على طيب الاصل وشرف العنصر وهو
يتفاضل بالتفاضل اللانتم للمخلوقات وفي ذلك اقول قطعة منها :

أفعال كل امرء تنبئ بعنصره والعين تفنيك عن ان تطاب الاثرا
ومنها :

وهل ترى قط دفلى انبتت عنباً اوتدخر النحل في اوكارها الصبرا
واول مراتب الوفاء ان يفي الانسان لمن يفي له وهذا فرض لازم وحق
واجب على الحب والمحبوب لا يحول عنه الا خيث المحتد لاختلافه ولا
خير عنده ولو لا ان رسالتنا هذه لم نقصد بها الكلام في اخلاق الانسان (٢)
وصفاته المطبوعة والتطبع بها وما يزيد من المطبوع بالتطبع وما يضمحل من

(١) في الاصل : فاستبرى ولا منى له فاعل انصواب : فاستتر امر من
الاستقراء (٢) في الاصل : النساء

التطبع بعدم التطبع لزدت في هذا المكان مايجب ان يوضع في مثله ولكننا
انما قصدنا التكلم فيما رغبته من امر الحب فقط وهذا امر كان يطول جداً
اذ الكلام فيه يتقن كثيراً

(خبر) ومن ارفع (١) ماشاهدته من الوفاء في هذا المعنى واهوله شأناً
قصة رأيها عياناً وهو اني اعرف من رضي بقطيعة محبوه واعز الناس عليه
ومن كان الموت عنده احلى من هجر ساعة في جنب طيه لسر اودعه والتزم
محبوه ميمناً غليظة الا يكلمه ابداً ولا يكون بينهما خبر او يفضح اليه ذلك السر
على ان صاحب ذلك السر كان غائباً فابي من ذلك وتمادى هو على كتمانته
والثاني على هجرانه الى ان فرقت بينهما الايام

ثم مرتبة ثانية وهو الوفاء لمن غدر وهي المحب دون المحبوب وليس المحبوب
هاهنا طريق ولا يلزمه ذلك وهي خطة لا يطيقها الا جلد قوي واسع الصدر
حر النفس عظيم الحلم جليل الصبر خفيف العقل (٢) ماجد الخلق سالم التبعة
ومن قابل الغدر بمثله فليس بمستأهل للملامة ولكن الحال التي قدمنا تفوقها
جداً وتفوقتها بعداً . وغاية الوفاء في هذه الحال ترك مكافاة الاذى بمثله
والكف عن سيئ المعارضة بالفعل والقول والتبأني في جر جبل الصخرة ما
امكن ورجيت الالفة وطمع في الرجعة ولاحت للعودة ادنى تخيلة وشيئت منها (٣)
اقل بارقة او توجس منها ايسر علامة فاذا وقع اليأس واستحكم الغيظ حينئذ
والسلامة من غرك والامن من ضرك والنجاة من اذاك وان يكون ذكر
ماسلف مانعاً من شفاء الغيظ فيما وقع فرعي الازمة حق وكيد على اهل العقول
والحين الى ماضى والاينسى ماقد فرغ منه وفيت مدته اثبت الدلائل على

(١) في الاصل : اشنع ، وماصحناه اكثر تلاوفاً مع قوله سابقاً « واول

مراتب الوفاء » (٢) في الاصل : خفيف العقدة (٣) في الاصل : بها

صحة الوفاء وهذه الصفة حسنة جداً وواجب استعمالها في كل وجه من وجوه معاملات الناس فيما بينهم على أي حال كانت (خبر) ولمهدي رجل من صفوة اخواني قد علق بحارية فتأكد الود بينهما ثم غدرت بهده ونقضت وده وشاع خبرهما فوجد لذلك وجداً شديداً .

(خبر) وكان لي مرة صديق ففسدت نيته بعد وكيد مودة لا يكفر بمثلها وكان (١) علم كل واحد منا سر صاحبه وسقطت المؤونة فلما تغير علي افتي كل ما اطلع لي عليه مما (٢) كنت اطلعت منه على اضعافه ثم اتصل به ان قوله في قد بلغني فخرج لذلك وخشي ان اقارضه على قبيح فعله وبلغني ذلك فكتبت اليه شعراً أؤنس فيه وأعلمه اني لا اقارضه

(خبر) وما يدخل في هذا الدرج وان كان ليس منه ولا هذا الفصل المتقدم من جنس الرسالة والباب ولكنه شبه له على ما قد ذكرنا وشرطنا وذلك ان محمد بن وليد بن مكسير الكاتب كان متصلاً بي ومنقطعاً الي ايام وزارة ابي رحمة الله عليه فلما وقع بقرطبة ما وقع وتغيرت أحوال خرج الى بعض النواحي فاتصل بصاحبها فعرض جاعه وحدث له وجاهة وحال حسنة فخلت انا تلك الناحية في بعض رحلتي فلم يوفني حتي بل ثقل عليه مكاني وأساء معاملتي وصحبتني وكلفته في خلال ذلك حاجة لم يقم فيها ولا قدم واشتغل عنها بما ليس في مثله شغل فكتبت اليه شعراً اعاتبه فيه فجاوبني مستعجباً وعلى ذلك فما كلفته حاجة بعدها وما لي في هذا المعنى وليس من جنس الباب ولكنه يشبهه اياتاً قتها منها :

وليس يحمد كتمان لمكتم لكن كتمك ما افشاء مفشي

(١) في الاصل : وان علم (٢) في الاصل : ما

كالجود بالوفر اسنى مايكون اذا قل الوجود له او ضمن معطيه
ثم مرتبة ثالثة وهي الوفاء مع اليأس البات وبعد حلول المناسيا وخجاءات
النون وان الوفاء في هذه الحالة لاجل واحسن منه في الحياة ومع رجاء اللقاء
(خبر) ولقد جدتني امرأة اتق بها انها رأت في دار محمد بن احمد بن
وهب المعروف بابن الركية من ولد بدر الداخل مع الامام عبد الرحمن بن
معاوية رضي الله عنه جارية رائحة جميلة كان لها مولى فجاءته المنية فبيعت في
تركته فأبى ان ترضى بالرجال بعده وما جامعا رجل الى ان لقيت الله عز
وجل وكانت تحسن الغناء فانكرت عليها به ورضيت بالخدمة والخروج عن جملة
المتخذات للنسل واللذة والحال الحسنة وفاء منها لمن قد دثر ووارثه الارض
والتأمت عليه الصفايح ولقد راما سيدها المذكور ان يضمها الى فراشه مع
سائر جواريه ويخرجها مما هي فيه فأبى فضرها غير مرة وأوقع بها الادب
فصبرت على ذلك كله فاقامت على امتناعها وان هذا من الوفاء غريب جداً
واعلم ان الوفاء على الحب اوجب منه على المحبوب وشرطه له ان لم يترك المحب
هو البادي باللصوق والتعرض لمقد الأذمة (١) والقاصد لتأكيد المودة والمستدعي
صححة العشرة والاول في عدد طلاب (٢) الاصفياء والسابق في ابتغاء المدة
باكتساب الحلة والمقيد نفسه بزمام المحبة قد عقلها بأوثق عقال وخطمها بأشد
خطام فمن قسره على هذا كله ان لم يرد إتمامه؟ ومن اجبره على استجلاب
المقة ان لم ينو ختمها بالوفاء لمن اراده عليها؟ والمحبوب انما هو مجلوب اليه
ومقصود نحوه وخير في القبول او الترك فان قبل فقاية الرجاء وان ابى
فغير مستحق للذم وليس التعرض للوصل واللاحاح فيه والتأني لكل مايستجلب
به من الموافقة وتصفية الحضرة والغيب من الوفاء في شيء فحظ نفسه اراد

(١) الذمام : الحق . الحرمة والجمع أذمه (٢) في الاصل : طالب

الطالب ، وفي سروره سعي ، وله اختط ، والحب يدعو ويحدوه على ذلك شاء
او ابى وانما يحمى الوفاء ممن يقدر على تركه

وللوفاء شروط على المحبين لازمة . فأولها ان يحفظ عهد محبوبه ويرعى
غيبته ويستوي علانيته وسريته ويطوي شره ويشتر خيره ويغطي على عيوبه
ويحسن افعاله ويتغافل عما يقع منه على سبيل الهفوة ويرضى بما حمله ولا يكثر
عليه بما ينفر منه وألا يكون طلبة نؤوباً ولا ملة طروقاً وعلى المحبوب (١) ان
ساواه في المحبة مثل ذلك وان كان دونه فيها فليس للمحب ان يكلفه الصعود
الى مرتبة ولاله الاستساقطة عليه بان يسومه الاستواء معه في درجته وبحسبه
منه حينئذ كتمان خبره والا يقابله بما يكره ولا يخفيه به وان كانت الثالثة وهي
السلامة بما يلقى بالجملة فليقتنع بما وجد وليأخذ من الامر ما استدف (٢) ولا يطلب
شرطاً ولا يقترح حقداً وانما له ماسنح بحده او ما حان بكده واعلم انه
لا يستبين قبح الفعل لاهله ولذلك يتضاعف قبحه عند من ليس من ذويه .
ولا اقول قولى هذا ممتدحاً ولكن آخذاً بادب الله عز وجل ﴿ واما بنعمة
ربك فحدث ﴾ لقد منحني الله عز وجل من الوفاء لكل من يمت الى بلقية
واحدة ووهبني من المحافظة لمن يتذمم مني ولو بمحادثة ساعة حظاً (٣) ؟ انا له
شاكر وحامد ومنه مستمد ومستزيد وما شئ اثقل علي من القدر ولعمري
ما سمحت نفسي قط في النكرة في اضرار من بيني وبينه اقل ذمام وان
عظمت جريرته وكثرت الي ذنوبه ولقد دهمني من هذا غير قليل فما جزيت
على السوءى الا بالحسنى والحمد لله على ذلك كثيراً وبالوفاء افتخر في كلمة
طويلة ذكرت فيها مامضنا من النكبات ودهمنا من الحل والترحال والتحول
في الآفاق اولها :

(١) في الاصل : المحب (٢) وخذ ما استدف لك اي ما امكن وتسهل .

(٣) في الاصل خطأ

ولي فولي جميل الصبر يتبعه وصرح الدمع ما تخفيه أضلعه
جسم ملول وقلب آلف فاذا حل الفراق عليه فهو موجه
لم تستقر به دار ولا وطن ولا تدفأ منه قط مضجعه
كأنما صيغ من رهو السحاب فما تزال ريح الى الآفاق تدفعه
كأنما هو توحيد تضيق به نفس الكفور فتأبى حين تودعه
او كوكب قاطع في الافق منتقل فالسير يغربه حيناً ويطلعه
أظنه لو جزته او تساعده ألقت عليه انهمال الدمع يتبعه

وبالوفاء أيضاً افتخر في قصيدة لي طويلة اوردها وان كان اكثرها ليس
من جنس الكتاب فكان سبب قلبي لها ان قوماً من مخالي شرعوا بي
فأساءوا القرب في وجهي وقذفوني بأني اعضد الباطل بحجتي عجزاً منهم عن
مقاومة ما اورده من نصر الحق واهله وحسداً لي فقلت وخاطبت بقصيدتي
بعض اخواني وكان ذا فهم منها :

وخذني عصا موسى وهات جميعهم ولو انهم حيات ضال نضاض
ومنها :

يريقون في عيني عجائب حجة وقد يمعن الليث والليث رابض
ومنها :

ويرجون ما لا يبلغون كمثل ما يرجي محالا في الامام الروافض
ومنها :

ولو جلدي في كل قلب ومهجة لما أثرت فيها العيون المرائض
أبت عن دنيء الوصف ضربة لازم كما ابت الفعل الحروف الخوافض
ومنها :

ورأيت له في كل ما غاب مسلك كما تسلك الجسم العروق التوابض
يبين مدب التمل في غير مشكل ويستر عنهم لفيول المرائب

(باب الغدر)

وكما ان الوفاء من سري النعوت ونبل الصفات فكذلك الغدر من ذمها ومكروها وانما يسمى غدرأ من البادي به واما المقارض بالغدر على مثله وان استوى معه في حقيقة الفعل فليس بغدر ولا هو معياً بذلك والله عز وجل يقول ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ وقد علمنا ان الثانية ليست بسيئة ولكن لما جانست الاولى في الشبه اوقع عليها مثل اسمها وسيأتي هذا مفسراً في باب السلو ان شاء الله ولكثرة وجود الغدر في المحبوب استغرب الوفاء منه فصار قليله الواقع منهم يقاوم الكثير الموجود في سواهم وفي ذلك اقول :

قليل وفاء من يهوى يحل وعظم وفاء من يهوى يقل

فنادرة الجبان اجل مما يحجى به الشجاع المستقل

ومن قبيح الغدر ان يكون المحب سفير الى محبوبه يستريح اليه باسراة فيسعى حتى يلقه (١) الى نفسه ويستأثر به دونه وفيه اقول :

اقت سفيراً قاصداً في مطالي وثقت به جهلاً فضرب بيننا

وحل عرى ودي واثبت وده وابعد عني كل ما كان ممكنا

فصرت شهيداً بعدما كنت مشهداً واصبحت ضيفاً بعدما كان ضيفنا

(خبر) ولقد حدثني القاضي يونس بن عبد الله قال أذكر في الصبي جارية في بعض السدد يهواها فتى من اهل الادب من ابناء الملوك وتهواه ويتراسلان وكان السفير بينهما والرسول بكتبتهما فتى من اترابه كان يصل اليها فلما عرضت الجارية للبيع اراد الذي كان يحبها ابتاعها فبدر الذي كان رسولا فاشترها فدخل عليها يوماً فوجدها قد فتحت درجاً لها تطلب فيه بعض حوائجها فأنى

(١) في الاصل : يقبله

اليها وجعل يفتش الدرج فخرج اليه كتاب من ذلك الفقي الذي كان يهواها
مضمخاً بالغالية مصوناً مكرماً ففضب وقال من اين هذا يا فاسقة قالت انت
سقته الي فقال لعله محدث بعد ذاك الحين فقالت ماهو الا من قديم تلك التي
تعرف قال فكأنما القمته حجراً فسقط في يديه وسكت

(باب البين)

وقد علمنا انه لا بد لكل مجتمع من افتراق ولكل دان من تناء وتلك
عادة الله في العباد والبلاد حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين
وما شيء من دواهي الدنيا يعدل الافتراق ، ولو سالت الارواح به فضلاً عن الدموع
كان قليلاً . وبعض الحكماء سمع قائلاً يقول : افتراق اخو الموت ، فقال : بل
الموت اخو الفراق (١) والبين ينقسم اقساماً :

فأولها مدة يوقن بانصرامها وبالعودة عن قريب وانه لشجى في القلب ،
وغصة في الحلق لا تبرا إلا بالرجمة ، وانا اعلم من كان يغيب من يحب عن
بصره يوماً واحداً فيعتريه من الهلع والجزع وشغل البال وترادف الكرب
ما يكاد يأتي عليه

ثم بين منع من اللقاء وتحضير على المحبوب من ان يراه محبه فهذا ولو كان
من تحبه معك في دار واحدة فهو بين لأنه بائن عنك وان هذا ليولد من الحزن
والاسف غير قليل ، ولقد جربناه فكان مرأ وفي ذلك اقول :

أرى دارها في كل حين وساعة ولكن من في الدار عني مغيب

(١) هذا الاسلوب يشبه ما يروى عن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها
انها قالت : لولا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : السفر قطعة من
العذاب ، لقلت : العذاب قطعة من السفر

وهل نفعي قرب الديار واهلها على وصالهم مني رقيب مرقب
فيا لك جار الجنب اسمع حسه واعلم ان الصين أدنى واقرب (١)
كصاد يرى ماء الطوي بعينه وليس اليه من سبيل يسبب
كذلك من في اللحد عنك مغيب وما دونه الا الصنيح المنصب
واقول من قصيدة مطولة :

متى تشفى نفس اضربها الوجيد وتضرب دار قد طوى اهلها البعد
وعهدي بهند وهي جارة بيتنا واقرب من هند لطالها الهند
بلى ان في قرب الديار لراحة كما يمسك الظمان ان يدنو الورد
ثم بين يعتمد الحب بدءاً عن قول الوشاة وخوفاً ان يكون بقاؤه سبباً
الى منع اللقاء وذريعة الى ان يفشو الكلام فيقع الحجاب الغليظ
ثم بين يولده الحب لبعض ما يدعوه الى ذلك من آفات الزمان وعذره
مقبول او مطرح على قدر الحافز له الى الرحيل

(خبر) ولعدي بصديق لي داره المربة فنت له حوائج الى شاطبة فقصدها
وكان نازلاً بها في منزلي مدة اقامته بها وكان له بالمرية علاقة هي اكبر همه وادعى
غمه وكان يؤمل تتيته (٢) وفراغ اسبابه وان يوشك الرجعة ويسرع الاوبة
فلم يكن الا حين لطيف بعد احتلاله عندي حتى جيش الموفق ابو الحسن مجاهد
صاحب الجزائر الجيوش وقرب العساكر وناشد خيران صاحب المرية وعزم على
استنصاله فانقطعت الطرق بسبب هذه الحرب وتحوميت السبل واحترس البحر
بالاساطيل فتضاعف كربه اذ لم يجد الى الانصراف سبيلاً البتة وكاد يطفأ أسفاً

(١) هذا المعنى يرمي الى قول المعري :

فيا دارها بالحيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك احوال
(٢) التبتيت : التزويد والتجهيز مأخوذ من التبات كسحاب وهو الزاد ومتاع البيت

وصار لا يأنس بغير الوحدة ولا يلجأ الا الى الزفير والوجوم ولعمري لقد كان ممن لم اقدر قط فيه ان قلبه يذعن للود ولا شراسة طبعه تجيب الى الهوى واذا كراني دخلت قرطبة بعد رحيلي عنها ثم خرجت منصرفاً عنها فضمني الطريق مع رجل من الكتاب قد رحل لامر مهم وتخلف سكن (١) له فكان يرتض لذلك واني لاعلم من علق بهوى له وكان في حال شطف وكانت له في الارض مذاهب واسعة ومنايح رجة ووجوه متصرف كثيرة فهان عليه ذلك وآثر الإقامة مع من يحب وفي ذلك اقول شعراً منه :

لك في البلاد منادح معلومة والسيف قفل (٢) او يبين قرابه

ثم بين رحيل وتباعد ديار ولا يكون من الاوبة فيه على يقين خبر ولا يحدث تلاق وهو الخطب الموجه والهم المفظع والحادث الاشنع والداء الدوى واكثر ما يكون الهلع فيه اذا كان الثأني هو المحبوب وهو الذي قالت فيه الشعراء كثيراً وفي ذلك اقول قصيدة منها :

وذي علة اعني (٣) الطبيب علاجها ستوردني لاشك منهل مصرعي
رضيت بان اضحي قتل وداده كجارع سم في رحيق مشعشع
فما لي بالي ما اقل حياءها واولعها بالنفس من كل مولع
كان زمانني عبشمي يخالي أعنت على عثمان اهل التشيع

واقول من قصيدة :

أظنك تمثال الجنان اباحه لمجتهد النساء من اوليائه

واقول من قصيدة :

لا برد باللقيا علياً من الهوى توقع نيران الغضى هيامه

واقول شعراً منه :

(١) السكن بفتح فسكون اهل الدار (٢) كذا في الاصل (٣) في الاصل : اعني

خفيت عن الابصار والوجد ظاهر فاعجب باعراض تين ولاشخص
غدا الفلك الدوار حلقة خاتم محيط بما فيه وانت له فص
واقول من قصيدة :

غنيت عن التشبيه حسناً وبهجة كما غنيت شمس السماء عن الحلي
عجيت لنفسي بعده كيف لم تمت وهجرانه دفني وفقدانه نعي
وللجسد الغض المنعم كيف لم تذبه يد خشتاء (١)

وان للآوبة من الين الذي تشفق منه النفس لطول مسافته وتكاد تأس من
العودة فيه لروعة تبلغ مالا حد وراءه وربما قتلت (٢) وفي ذلك أقول :

للتلاقي بعد الفراق سرور كسرور المفيق حانت وفاته
فرحة تهج (٣) النفوس وتحبي من دنا منه بالفراق مماته
ربما قد تكون داهية الموت وتودي باهله هجاته
كم رأينا من عب في الماء عطشا وفزار الحمام وهو حياته
واني لأعلم من نأت دار محبوبه زمناً ثم تيسرت له آوبة فلم يكن الا بقدر
التسليم واستيفائه حتى دعت نوى ثانية فكاد ان يهلك وفي ذلك أقول :
أطلت زمان البعد حتى اذا انقضى زمان الذي بالقرب عدت الى البعد
فلم يك الا كرة الطرف قربكم وعادكم بعدي وعادني وجدي

(١) نقص في الاصل (٢) من ذلك ما يروى ان جدة ابى الطيب المتنبي
لما اتاها كتاب منه فيه خبر قدومه بعد طول غيبته عنها وكانت تحبه حباً جاً
حمت من شدة سرورها فماتت وفي ذلك يقول ابو الطيب :
اتاها كتابي بعد بأس وترحة فماتت سروراً بي فمت بها غماً
حرام على قلبي السرور فاني اعد الذي ماتت به بعدها سما
(٣) في الاصل تبهم

كذا حائر في الليل ضاقت وجوهه رأى البرق في داج من الليل مسود
فأخلفه منه رجاء دوامه وبض الأراجي لا تقيد ولا تجدي
وفي الآية بعد الفراق أقول قطعة منها :

لقد قرت العينان بالقرب منكم كما سحنت أيام يطويكم البعد
فلمه فيما قدمضى الصبر والرضى والله فيما قد قضى الشكر والحمد
(خبر) ولقد نعي الي بعض من كنت احب من بلدة نازحة ففقت فاراً
بنفسي نحو المنقار وجعلت امشي بينها واقول :

وددت بان ظهر الارض بطن وان البطن منها صار ظهرا
واني مت قبل ورود خطب أتي فأثار في الأكباد جبرا
وان دمي لمن قد بان غسل وان ضلوع صدري كن أبراً
ثم اتصل بعد حين تكذيب ذلك الخبر فقلت :

بشرى انت والياس مستحکم والقلب في سبع طباق شداد
كست فؤادي خضرة بعدما كان فؤادي لابساً للحداد
جى سواد الغم عني كما يحلى بلون الشمس لون السواد
هذا وما امل وصلاً سوى صدق وفاء بقديم الوداد
فالمرن قد تطلب لا للحيا لكن لظل بارد ذي امتداد

ويقع في هذين الصنفين من الين الوداع اغني رحيل المحب أو رحيل
المحبيب وانه من المناظر الهائلة والمواقف الصعبة التي تفتضح فيها عزيمة كل
ماضي الغرائم وتذهب قوة كل ذي بصيرة وتسكب كل عين جود ويظهر
مكنون الجوى وهو فصل من فصول الين يجب التكم في كالمكتاب في باب
الهجر والعمري لو ان ظريفاً يموت في ساعة الوداع لكان معذوراً اذا تفكر
فيما يحل به بعد ساعة من انقطاع الآمال وحلول الاوجال وتبدل السرور بالحزن
وانها ساعة ترق القلوب القاسية وتلين الافئدة الغلاظ وان حركة الرأس

وإدمان النظر والزفرة بعد الوداع لها تكة حجاب القلب وموصلة اليه من
الجزع بمقدار ما تنقل حركة الوجه في ضد هذا والإشارة بالعين والتبسم
ومواطن الموافقة والوداع ينقسم قسمين أحدهما لا يتمكن فيه إلا بالنظر والإشارة
والثاني يتمكن فيه بالعناق والملازمة وربما لعله كان لا يمكن قبل ذلك البتة مع
تجاوز الحال وإمكان التلاقي ولهذا تمنى بعض الشعراء البين ومدحوا يوم النوى
وما ذاك بحسن ولا بصواب من الرأي ولا بالأصيل من الرأي فما ينبغي سرور
ساعة يحزن ساعات فكيف إذا كان البين أياماً وشهوراً وربما أعواماً وهذا
سوء من النظر ومعوج من القياس وإنما اثبت على النوى في شعري تمناً
لرجوع يومها فيكون في كل يوم لقاء ووداع (على أن تحتل مضض هذا
الاسم الكريه وذلك عندما يمضي من الأيام التي لا التقاء فيها فحينئذ يرغب
الحب من يوم الفراق لو كان أمكنه في كل) يوم وفي الصنف الأول من الوداع
أقول شعراً منه :

تنوب عن بهجة الأنوار بهجته كما تنوب عن التيران أنفاسي
وفي الصنف الثاني من الوداع أقول شعراً منه :

وجه تخر له الأنوار ساجدة والوجه ثم فلم ينقص ولم يزد
دفء شمس الضحى بالجدي نازلة وبارد ناعم والشمس في الأسد
ومنه :

يوم الفراق لعمرى لست أكرهه أصلاً وإن شئت شمل الروح عن جسدي
ففيه عانقت من أهوى بلا جزع وكان من قبله أن سبل لم يجد
أليس من عجب (١) وعبرتها يوم الوصال ليوم البين ذو حسد
وهل محبس في الأفكار أو قام في الظنون أشنع وأوجع من هجر عتاب

(١) نقص في الأصل ولعل الكلمة الساقطة : دعي وعبرتها

وقع بين محبين ثم فجأتها النوى قبل حلول الصلح والخلال عقدة الهجران
فناما الى الوداع وقد نسي القتاب وجاء ماظم على القوى واطار الكرى وفيه
اقول شعراً منه :

وقد سقط القتب المقدم واحيى وجاءت جيوش اليبين تجري وتسرع
وقد ذعر اليبين الصدود فراعته فولى فما يدري له اليوم موضع
كذب خلا بالصيد حتى اضله هزبر له من جانب الغيل مطلع
لئن سرتني في طرده الهجراني لابعاده عني الحبيب لموجع
ولا بد عند الموت من بعض راحة وفي غمها الموت الوحي المصرع
واعرف من اتى ليودع محبوبه يوم الفراق فوجده قد فات فوقف على
آثاره ساعة وتردد في الموضع الذي كان فيه ثم انصرف كثيراً متغير اللون
كاسف البال فما كان بعد ايام قلائل حتى اعتل ومات رحمه الله وان للبين في
اظهار السرائر المطوية عملاً عجياً ولقد رأيت من كان حبه مكتوماً وبما يجد
مستتراً فيه حتى وقع حادث الفراق فباح المكنون وظهر الحقي وفي ذلك اقول
قطعة منها :

بذات من الود ما كان قبل منعت واعطيتيه جزافاً
ومالي به حاجة عند ذاك ولو جدت قبل بلغت الشغافا
وما ينفع الطب عند الحمام وينفع قبل الردى من تلافيا
واقول :

الآن اذ حل الفراق جدت لي بخفي حب كنت تبدي بخاه
فزدتني في حسرتي اضعافها ويحيى فهلا كان هذا قبله
ولقد اذكرني هذا اني حظيت في بعض الازمان بمودة رجل من وزراء
السلطان ايام جاهه فاطهر بعض الامتسك فتركته حتى ذهب ايامه وانقضت
دولته فأبدي لي من المودة والاخوة غير قليل فقلت :

بذلت لي الاعراض والدهر مقبل وتبذل لي الاقبال والدهر معرض
وتبسطني اذ ليس ينفع بسطكم فهلا أبحت البسط اذ كنت تقبض
ثم بين الموت وهو الفوت وهو الذي لا يرجى له إياب وهو الضيعة الخالة
وهو قاصمة الظهر وذاهية الدهر وهو الويل وهو المغطى على ظلمة الليل وهو
قاطع كل رجاء ومأحي كل طمع والمؤيس من اللقاء وهنا حازت اللسان
وانجذمت حبل العلاج فلا حياة الا الصبر طوعاً او كرهاً . وهو اجل ما يبذل
به المحبون فما لمن دهي به الا التوحي والبكاء الى ان يتلف او يمل فهي القرحة
التي لا تكي والوجع الذي لا يفي وهو الغم الذي يتجدد على قدر بلاء من
اعتمدته في الثرى وفيه اقول :

كل بين واقع فرجى لم يفت
لا تعجل قنطاً لم يفت من لم يمت
والذي قد مات فال يأس عنه قد ثبت

وقد رأينا من عرض له هذا كثير . وعني اخبرك اني احد من دهي بهذه
الفادحة وتعجلت له هذه المصيبة وذلك اني كنت اشد الناس كلفاً واعظمهم
حجاً بحارية لي كانت فيما خلا اسمها نعم (بالضم) وكانت امنية التمني وغاية الحسن
خلقاً وخلقاً وموافقة لي وكنت انا عذرها وكننا قد تكافأنا المودة فنجعتني
بها الاقدار واختيرتها الليالي ومر النهار وصارت نائمة التراب والاحجار وسنى
حين وفاتها دون العشرين سنة وكانت هي دوني في السن فلقد اقيت بعدها
سبعة اشهر لا تجرد عن ثيابي ولا تنفتر لي دمة على جمود عيني وقلة اسماعها
وعلى ذلك فوالله ماسلوت حتى الآن ولو قبل فداء لغديتها بكى ما املك من تائد
وطارف وبعض اعضاء جسمي الغريزة علي مسارعاً طائعاً وما طاب لي عيش
بعدها ولا نسيت ذكرها ولا أنست بسواها ولقد عفى حي لها على كل ما قبله
وحرم ما كان بعده . ومما قلت فيها :

مهذبة يضاء كالشمس ان بدت وسائر ربات الحجل نجوم
أطار هواها القاب عن مستقره فبعد وقوع ظل وهو يحوم
ومن مرائي فيها قصيدة منها :
كأنني لم آنس بالفاظك التي على عقد الالباب هن نوافث
ولم اتحكم في الاماني كأنني لافراط ما حكمت فيهن عابث
ومنها :

ويدين اعراضاً وهن أوالف ويقسمن في هجري وهن حوانث
واقول أيضاً في قصيدة اخاطب فيها ابن عمي ابا المغيرة عبد الوهاب احد
ابن عبد الرحمن بن حزم بن غالب واقرضه فاقول :

قفا فاسألا الاطلال اين قطبها أمرت عليها بالبلبي الملوأف
على دارسات مقفلات عواطل كأن الغاني في الحفاء معاني

واختلف الناس في اي الأمرين اشد البين ام الهجر وكلاهما مرتقى صعب
وموت احمر وبلية سوداء وستة شهباء (١) وكل يستبشع من هذين ما ضاد طبعه
فاما ذو النفس الابية الاوف لاوف الحانة الثابتة على العهد فلا شيء يعدل
عنده مصيبة البين لانه أثنى قصداً وتعمدته النوائ عمداً فلا يجد شيئاً يسلي
نفسه ولا يصرف فكرته في معنى من المعاني الا وجد باعثاً على صبايته ومحركاً
لأشجانته وعليه لاله وحجة لوجده وحاضاً على البكاء على إلفه واما الهجر
فهو داعية السوء ورائد الاقلاع واما ذو النفس التواقفة الكثيرة التزوع . والتطلع
اقلوق الغرور فلهجر دائره وجالب حنقه والبين له مسلاة ومنساة واما انا فالموت
عندي اسهل من الفراق واما الهجر الا جالب للكمد فقط ويوشك ان دام
ان يحدثه ايقاراً (٢) وفي ذلك اقول :

(١) ستة شهباء : مجبة (٢) في الاصل : ايضاراً

وقالوا ارتحل فلعل السلو يكون وترغب ان ترغبه
فقلت الردى لي قبل السلو ومن يشرب السم عن تجربه

واقول :

سبي مهجتي هواه واودت بها نواه
كان الغرام ضيف وروحي غدا قراه

ولقد رأيت من يستعمل حجر محبوه ويعتمده خوفاً من مرارة يوم الدين
وما يحدث به من لوعة الاسف عند التفرق وهذا وان لم يكن عندي من المذاهب
المرضية فهو حجة قاطعة على ان الدين اصعب من الهجر وكيف لا وفي الناس
من يلوذ بالهجر خوفاً من الدين ولم اجد احداً في الدنيا يلوذ بالدين خوفاً من
الهجر وانما يأخذ الناس ابداً الاسهل ويتكلفون الابهون وانما قلنا انه ليس
من المذاهب المحموده لان اصحابه قد استعجلوا البلاء قبل نزوله وتجرعوا غصة
الصبر قبل وقها واعلم ماتخوفوه الا يكون ليس من يتعجل المكروه وهو على
غير يقين مما لم يتعجل بحكيم وفيه اقول شراً منه :

لبس الصب للصبابة يننا ليس من جانب الاحبة منا
كفني يعيش عيش فقير خوف فقر وفقره قد أبنا

واذكر لابن عمي ابى المغيرة هذا المعنى من ان الدين اصعب من الصد اياتاً
من قصيدة خاطبني بها وهو ابن سبعة عشر عاماً او نحوها وهي :

أجزعت ان ازف الرحيل وولت ان نص الذميل
كلما مصابك فادح وأجل فراقهم جليل
كذب الاولى زعموا بان الصد مرتبه وبين
لم يعرفوا كنه الغليل ل وقد تحملت المحول
اما الفراق فانه الموت ان اهوى دليل

ولي في هذا المعنى قصيدة مطولة اولها :

لامثل يرمك ضحوة التنعيم في منظر حسن وفي تنعيم
قد كان ذلك اليوم ندرة عاقر وصواب خاطئة وولد عقيم
ايام برق الوصل ليس بخلب عندي ولاروض الهوى بهشيم
من كل غانية يقول نديها سيري امامك والازار أقيمي
كل يجاذبها خمرة خرها خجل من التأخير والتقديم
ما بي سوى تلك العيون وليس في برءي سواها في الورى بزعم
مثل الافاعي ليس في شيء سوى أجسادها ابراء لدغ سليم

والين ابكى الشعراء على المعاهد فأدروا على الرسوم الدموع وسقوا الديار
ماء الشوق وتذكروا ما قد سلف لهم فيها فاعولوا وانتحيوا واجت الانار دفين
شوقهم فتاحوا وبكوا ولقد اخبرني بعض الورد من قرطبة وقد استخبرته عنها
انه رأى دورنا ببلاط ميث في الجانب الغربي منها وقد احدث رسومها وطمست
اعلامها وخفيت معاهدها وغيرها البلى وصارت صحاري مجذبة بعد العمران
وفيافي موحشة بعد الانس وخرائب منقطعة بعد الحسن وشعاباً مفزعة بعد الامن
وماوى للذئاب ومعازف للغيلان وملاعب للجان ومكامن للوحوش بعد رجال
كالليوت وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الفاشية . تبدد شملهم فصاروا في
البلاد ايادي سبا فكان تلك المحارب المنمقة والمقاصير المزينة التي كانت تشرق
اشراق الشمس ويجلو الهموم حسن منظرها حين شملها الحراب وعمها الهدم
كافواه السباع فاعرة تؤذن بفناء الدنيا وتريك عواقب اهلها وتخبرك عما يصير
اليه كل من تراه قائماً فيها وترهد في طلبها بعد ان طال ما زهدت في تركها
وتذكرت ايامي بها ولذا في فيها وشهور صباي لديها مع كواعب الى مثاهن صبا
الحليم ومثلت لنفسى كونهن تحت النرى وفي الآثار النائية والنواحي البعيدة

وقد فرقهن يد الجلاء ومزقهن أكف النوى وخيل الى بصري بقاء تلك
النصبة بعد ماعلمته من حسننها وغضارتها والمراتب المحكمة التي نشأت فيها
لديها وخلاء تلك الألفية بعد تضايقها باهلها واوهمت سمعي صوت الصدى والهام (١)
عليها بعد حركة تلك الجماعات التي ربيت بينهم فيها وكان ليلها تبعاً لنهارها
في انتشار ساكنها والتقاء عمارها فماد نهارها تبعاً لليلها في الهدوء والاستيحاش
فابكى عيني واوجع قلبي وقرع صفاة ككبي وزاد في بلاء لي فقلت
شمرأ منه :

لئن كان أظفانا فقد طال ماسقي وان ساءنا فيها فقد طال ماسرا
والين يولد الحين والاهتياج والتذكر وفي ذلك اقول :

ليت الغراب يعيد اليوم لي فعسى بين بينهم غني فقد وقفنا
أقول والليل قد أرخى اجلته وقد تألى بأن لا ينقضي فوفا
والنجم قد حار في افق السماء فما يمضي ولا هو للتخير (٢) منصرفا
تخاله مخطئا او خائفا وجلا اوراقاً (٣) موعداً او عاشاً تأذنا

(١) الصدى : اليوم الذكر والهام جمع هامة وهي طائر من طيور الليل
(٢) لعل الصواب : للتخجير بجاء مهمة . اي من اجل حيرته ووعو المناسب
لقوله : قد حار . والمعنى انه لا يمضي في سيره ولا ينصرف راجعاً على اعقابه
وهو مقتبس من قول امرئ القيس :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت يذبل
(٣) في الاصل راثياً



﴿ باب المتنوع ﴾

ولا بد للمحب اذا حرم الوصل من المتنوع بما يجد وان في ذلك لتعللاً
لنفس وشغلاً للرجاء وتجديداً للحنى وبعض الراحة وهو مراتب على قدر الاصابة
والتمكن فاولها الزيادة وانها لامل من الآمال ومن سري ما يستريح في الدهر مع ما
تبدى من الحزن والحياء لنا يعلمه كل واحد منهما مما في نفس صاحبه وهي
على وجهين احدهما ان يزور المحب محبوبه وهذا الوجه واسع والوجه الثاني
ان يزور المحبوب محبه ولكن لاسبيل الى غير النظر والحديث الظاهر وفي
ذلك أقول :

فان تبأ عني بالوصل فأنتي سأرضى بلحظ العين ان لم يكن وصل
خسبي ان القاك في اليوم مرة وما كنت ارضى ضعف ذا منك لي قبل
كذا همة الوالي تكون رفيعة ويرضى خلاص النفس ان وقع العزل
واما رجع السلام والمحاطبة فامل من الآمال وان كنت انا اقول في قصيدة لي
فها انا اذا أخني واقنع راضياً يرجع سلام ان تسر في الحين

فانما هذا لمن يتنقل من مرتبة الى ما هو ادنى منها وانما يتفاضل المخلوقات
في جميع الاوصاف على قدر اضافتها الى ما هو فوقها او دونها واني لاعلم من
كان يقول لمحبه عدني واكذب قنوعاً بان يسلي نفسه في وعده وان كان
غير صادق فقلت في ذلك :

ان كان وصلك ليس فيه مطمع والقرب ممنوع فعدي واكذب
فمسي اتعال بالتفانك ممسك لحياة قلب بالصدود معذب
فلقد يسلي المجددين اذا رأوا في الافق يلمع ضوء برق خلب
ومما يدخل في هذا الباب شيء رأته ورآه غيري معي ان رجلاً من

اخواني جرحه من كان يحبه بمدية فلتد رأيه وهو يقبل مكان الجرح ويندبه
مرة بعد مرة فقلت في ذلك :

يقولون شجك من همت فيه فقلت لعمرى ما شجني
ولكن احس دمي قربه فطار اليه ولم ينثن
فيا قاتلي ظالماً محسناً فديتك من ظالم يحسن

ومن القنوع ان يسر الانسان ويرضى بعض آلات محبوه وان له من
النفس لموقعاً حسناً وان لم يكن فيه الامانص الله تعالى علينا من ارتداد يعقوب
بصيراً حين شم قيص يوسف عليهما السلام وفي ذلك اقول :

لما نعت القرب من سيدي ولى في هجري ولم ينصف
صرت بانصاري اثوابه او بعض ما قدمه اكتفى
كذلك يعقوب نبي الهدى إذ شفه الحزن على يوسف
شم قيصاً جاء من عنده وكان مكثوفاً فنه بشفي

وما رأيت قط متعاشقين الا وهما يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالعبير مرشوشة
بناء الورد وقد جمعت في اصلها بالمصطكي وبالشمع الابيض المصفى ولفت في
تطاريف الوشى والحز وما شبه ذلك لتكون تذكرة عند اليين واما تهادي
المساويك بعد مضغها والمصطكي اثر استعمالها فكثير بين كل متحابين قد حظرو
عليهما اللقاء وفي ذلك اقول قطعة منها :

أرى ريقها ماء الحياة يتقناً على انها لم تقولي في الهوى حشا

(خبر) واخبرني بعض اخواني عن سليمان بن احمد الشاعر انه رأى بن سهل
الحاجب بحزيرة صقليه وذكر انه كان غايه في الجمال فشاهده يوماً في بعض
المنتزهات ماشياً وامراً خلفه تنظر اليه فلما ابعد اتت الى المكان الذي قد
أثر فيه مشيه فجعلت تقبله وتلم الأرض التي فيها اثر رجله وفي ذلك اقول
قطعة اولها :

يلوموني في موطني خنه جنأ
فيا اهل ارض لا تجرد سحابها
خذوا بوصاتي تستقلوا وتحمدوا
خذوا من تراب فيه موضع وطئه
وأضمن ان المحل عنكم يبعد
فذاك صعيد طيب ليس يحجد
لعينه من جيريل اثر ممجد
كذلك فمل السامري وقد بدا
فصير جوف العجل من ذلك الثرى
فقام له منه خوار ممد

واقول :

لقد بوركت ارضها انت قاطن
وبورك من فيها وحل بها السعد
فاحجارها در وسعدانها ورد
وامواها شهد وترتها ند

ومن القنوع الرضى بزار الطيف وتسليم الخيال وهذا انما يحدث عن ذكر
لا يفارق وعهد لا يحول وفكر لا ينقضي فاذا نامت العيون وهذات الحركات
سرى الطيف وفي ذلك اقول :

زار الخيال فتى طالت صباه
على احتفاظ من الحراس والحفظة
قبت في ليلتي جدلان مبهجاً
ولذة الطيف تنسى لذة اليقظة

واقول :

أتى طيف نعم (١) مضجعي بدهدأة
ولليل سلطان وظل ممد
وعهدي بها تحت التراب مقيمة
وجاءت كما قد كنت قبله اهد (٢)
فعدنا كما كنا وعاد زماننا
كما قد عهدنا قبل والعود احمد

ولشعراء في علة مزار الطيف اقاويل بديعة بعيدة الرمي مختصرة كل سبق
الى معنى من المعاني فابو اسحق ابن سيار النظام رأين المعتلة جعل علة مزار

(١) انظر ما تقدم من خبرها في الصفحة ٨٨ (٢) يجب اختلاس مد الهاء
في « قبله » ليستقيم الوزن ولو قيل « من قبل » لاستقام بلا تكلف

الطيب خوف الارواح من الرقيب المرقب على بهاء الابدان وابو تمام حبيب
ابن اوس الطائي جعل علته ان نكاح الطيف لا يفسد الحب ونكاح الحقيقة
يفسده والبحري جعل علة اقباله استضاءته بنار وجوده وعلة زواله خوف الغرق
في دموعه وانا اقول من غير ان امثل شعري باشعارهم فلهم فضل التقدم
والسابقة وانما نحن لاقطون وهم الحاصدون ولكن اقتداء بهم وجرياً في ميدانهم
وتبعاً لطريقهم التي نهجوا ووضحوا : اياتاً بينت فيها مزار الطيف مقطعة :

أغار عليك من ادراك طرفي وأشفق ان يذيك لمس كفي
فأمتنع اللقاء حذار هذا وأعتمد التلاقي حين اغفي
فروحي ان اتم بك ذوا فتراد من الاعضاء مستر ومخفي
ووصل الروح الطيف فيك وقماً من الجسم الموصل الف ضعيف

وحال المزود في المنام ينقسم اقساماً اربعة احدهما محب مهجور قد تطاول
غمه ثم رأى في هجته ان حبيبه وصله فسر بذلك وابتهج ثم استيقظ فأسف
وتلف حيث علم ان ما كان فيه اماني النفس وحديثها وفي ذلك اقول :

انت في مشرق النهار بخيل واذا الليل جن كنت كريماً
تجعل الشمس منك لي عوضاً هيهات ماذا الفعال منك قوياً
زارني طيفك البعيد فيأتي واصلاً لي وعائداً ونديماً
غير اني منعني من تمام العيش لكن ابحت لي التشميس
فكأنني من اهل الاعراف لا الفر دوس داري ولا اخاف الجحيم

والثاني محب موصل مشفق من تغير يقع قد رأى في وسنه ان حبيبه
يهجره فاهتم لذلك همّاً شديداً ثم هب من نومه فعلم ان ذلك باطل وبعض
وساوس الاشفاق . والثالث محب داني الديار يرى ان التناهي قد فدحه .
فيكثرث ويوجد ، ثم يتبه فيذهب ما به ويعود فرحاً . وفي ذلك اقول
قطعة منها :

رأيتك في نومي كأنك راحل وقنا الى التوديع والدمع هامل
وزال السكرى عني وانت معانقي وغمي اذ عاينت ذلك زائل
فجددت تعيقاً وضماً كأنني عليك من البين المفرق واجل (١)

والرابع محب نأى المزار يرى ان المزار قد دنا والمنازل قد تصابقت فيرتاح
ويأنس الى فقد الاسبى ثم يقوم من سنته فيرى ان ذلك غير صحيح فيعود الى
اشد ما كان فيه من الغم وقد جملت في بعض قولي علة النوم الطمع في طيف
الخيال فقلت :

طاف الخيال على مستهتر كلف لولا ارتقاب مزار الطيف لم ينم
لا تهجوا اذ سرى والليل معتكر فنوره مرهب في الارض للظلم

ومن القنوع ان يقنع المحب بالنظر الى الجدران ورؤية الحيطان التي تحتوي
على من يحب وقد رأينا من هذه صفته ولقد حدثني ابو الوليد احمد بن محمد
ابن اسحق الخازن رحمه الله عن رجل جليل انه حدث عن نفسه بمثل هذا
ومن القنوع ان يرتاح المحب الى ان يرى من رأى محبوبه ويأنس به ومن اتى
من بلاده وهذا كثير وفي ذلك اقول :

توحش من مكانه فكأنهم مساكن عاد اعقبته ثمود

ومما يدخل في هذا الباب ابيات لي موجهة الى تنزهت انا وجماعة من
اخواني من اهل الادب والشرف الى بستان لرجل من اصحابنا فجئنا ساعة ثم
افضى بنا القعود الى مكان دونه يتمنى فتمددنا في رياض اريضة (٢) وارض عريضة
للبصر فيها منفسح ولتنفس لديها مسرح بين جداول تطرد كأباريق اللجين
واطياف تغرد بالخان تزدى بما ابدعه معبد وابن الغريض وثمار مهدلة قد ذلت
للايدي وذلت للمتناول وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها فتصور بين

(١) في الاصل قابل ولا معنى له (٢) الارض الاريضة : المعجبة للعين

أيدينا كرقاع الشطرنج والثياب المدبجة وماء عذب يوجودك حقيقة طعم الحياة
وانهار متدفقة تنساب كبطون الحيات لها خيرير يقوم ويهدأ (١) ونواوير مؤننة
مختلفة الالوان تصنفها الرياح الطيبة النسيم وهواء سيج (٢) واخلاق جلاس تفوق
كل هذا في يوم ربيعي ذي شمس ذليلة تارة يغطيها الغيم الرقيق والمزف
اللطيف وتارة تنجلي فهي كالغبراء الحنرة والخريفة الحجلة تترامى لعاشقها من
بين الاستار ثم تغيب فيها حذر عين مراقبة وكان بهضنا مطرقاً كأنه يحدث (٣)
اخرى وذلك لسر كان له فمرض لي بذلك وتداعبنا حيناً فكلفت ان
اقول على لسانه شيئاً في ذلك فقلت بديهة وما كتبوها الا من تذكرها بعد
انصرافنا وهي :

وما تروحن بأكناف روضة	مهلة الافنان في ترها الشدي
وقد ضحكت انوارها وتضوعت	أساورها في ظل فيء محمد
وأهدت لنا الاطيار حسن صريفها	فن بين شاك شجوه ومفرد
ولمساء فيما بيننا متصرف	ولابن مرتاد هناك ولابد
وما شئت من الخلاق ازوع ما جد	كريم السجاي للفخار مشيد
تغص عندي كل ما قد وصنته	ولم يهنني اذ غاب عني سيدي
فبالي في السجن وهو معانقي	وانتم ممأ في قصر دار المجدد
فن رام منا ان يبدل حاله	بحال اخيه او بملك مخلد
فلا عاش الا في شقاء ونكبة	ولا زال في بؤسى وخزي مردد

فقال هو ومن حضر آمين آمين وهذه الوجوه التي عدت واوردت في
حقائق القناعه الموجودة في اهل المودة بلا تزييد ولا اعياء .

(١) في الاصل : يهدى (٢) الهواء السيج : المعتدل بين الحر والبرد

(٣) لعل الصواب : الالة

وللشمراء فن من القنوع ارادوا فيه اظهار غرضهم وابانة اقتدارهم على المعاني الغامضة والمرامي البعيدة وكل قال على قدر قوة طبعه الا انه تحكم باللسان وتشدق في الكلام واستطالة بالبيان وهو غير صحيح في الاصل ففهم من قنع بان السماء تظله هو ومحبوبه والارض تقلهما ومنهم من قنع باستواءهما في احاطة الليل والنهار بهما ومن اشبه هذا وكل مبادر الى احتواء الغاية في الاستقصاء واحراز قصب السبق في التدقيق ولي في هذا المعنى قول لا يمكن المتعقب الى (١) ان يجد بعده متاويلا ولا وراءه مكاناً مع تبيني علة قرب المسافة البعيدة وهو :

وقالوا بعيد قلت حسبي بانه معي في زمان لا يطيق محيداً
تمر على الشمس مثل مرورها به كل يوم يستنير جديداً
فمن ليس ينبغي في السير وبينه سوى قطع يوم هل يكون بعيداً
وعلم اليه الخلق يجمعنا معاً كفى ذا التداني ما اريد مزبداً

فبينت كما ترى اني قانع بالاجتماع مع من احب في علم الله الذي السموات والافلاك والعوالم كلها وجميع الموجودات لا تتسب منه ولا تتجزأ فيه ولا يشذ عنه شيء ثم اقتصررت من علم الله تعالى على انه في زمان وهذا اعم مما قاله غيري في احاطة الليل والنهار وان كان الظاهر واحداً في البادي الى السامع لان كل الخلق واقعة تحت الزمان وانما الزمان اسم موضع لمرور الساعات وقطع الفلك وحركاته واجرامه والليل والنهار متولدان عن طلوع الشمس وغروبها وهما متناهيان في بعض العالم الاعلى وليس هكذا الزمان فانهما بعض الزمان وان كان لبعض الفلاسفة قول ان الظل متماد فهذا يخطئه العيان وعلل الرد عليه بانه ليس هذا موضعها ثم بينت انه وان كان في اقصى المأمور من المشرق وانا في اقصى

المعمور من المغرب وهذا طول السكنى فليس بيني وبينه الامساقه يوم اذ الشمس
تبدو في اول النهار في اول المشارق وتغرب في آخر النهار في آخر المغارب ومن
القنوع فصل أوردته واستعذ بالله منه ومن اهله واحمده على ما عرف نفوسنا من منافرته
وهو ان يضل العقل حيلة وتفسد القريحة ويتلف التميز ويهون الصعب وتذهب
الغيرة وتعدم الانفة فيرضى الانسان بالمشاركة في من يحب وقد عرض هذا لقرم
اعاذنا الله من البلاء وهذا لا يصح الامع كلبية في الطبع وسقوط من العقد
الذي هو عيار (١) على ماتحته وضمت حسن ويؤيد هذا كله حب شديد مع
فاذا اجتمعت هذه الاشياء وتلاقحت بمزاج الطباع ودخول بعضها في بعض نتج
بينهما هذا الطبع الحسيس وتولدت هذه الصفة الرذلة وقام منها هذا الفعل
المقذور والقيح واما رجل معه اقل همة وايسر مرؤة فهذا منه ابعد من الثريا
ولو مات وجداً وتقطع حباً وفي ذلك اقول زاريا على بعض المساحين في
هذا الفصل :

وأفضل شيء ان تلين وتسمحا	رأيتك رجب الصدر ترضى بما أتى
على ان يحوز الملك من اصلها الرحا	فخطك من بعض السواني (١) مفضل
تقدرة في الجدي فاعص الذي لحا	وعضو يعير فيه في الوزن ضعف ما
فكن ناحياً في نحوه كيف مانحا	ولعب الذي تهوى بسيفين معجب



(١) لعل الصواب : معيار
(١) السانية كالناعورة تسقى بها الارض

(باب الضنى)

ولا بد لكل محب صادق المودة ممنوع الوصل اما بين واما بهجر واما
بكتمان واقع لمعنى من ان يؤول الى حد السقام والضنى والتحول وربما اضجعه
ذلك وهذا الامر كثير جداً موجود ابداً والاعراض الواقعة من المحبة غير
العلل الواقعة من هجات العلل ويميزها الطيب الخاذق والمتفرد الناقد وفي
ذلك اقول :

يقول لي الطيب بغير علم	تداو فانت يا هذا عليل
ودائي ليس يدريه سوائي	ورب قادر ملك جليل
أأكتمه ويكشفه شهيق	يلازمني واطراق طويل
ووجه شاهدات الحزن فيه	وجسم كالخيال ضن نحيل
واثبت ما يكون الامر يوماً	بلا شك اذا صح الدليل
فقلت له ابن عني قليلاً	فلا والله تعرف ماتقول
فقال ارى نحولاً زاد جداً	وعلتك التي تشكو ذبول
فقلت له الذبول تعل منه الج	وارح وهي حى تستحيل
وما اشكو لعمر الله حى	وان الحر في جسمي قليل
فقال ارى التفاتاً وارتقاباً	وافكاراً وصمتاً لا يزول
واحسب انها الموداء فانظر	لنفسك انها عرض ثقيل
فقلت له كلامك ذا محال	فما الدمع من عيني يسيل
فاطرق باهتاً مما رآه	ألا في مثل ذا بهت النيل
فقلت له دوائي منه دائي	ألا في مثل ذا ضلت عقول
وشاهد ما اقول يرى غياناً	فروع الثبت ان عكست اصول
وترياق الافاعي ليس شيء	سواه بيرة ما لدغت كفيل

وحدثني ابو بكر محمد بن بقی الحجري وكان حكيم الطبع عاقلاً فهِماً عن رجل من شیوخنا لا يمكن ذكره انه كان ببغداد في خان من خاناتها فرأى ابنة لوكيلة الخان فاجبها وتزوجها فلما خلا بها نظرت اليه وكانت بكراً وهو قد تكشف لبعض حاجته فراعها **كبر**..... ففرت الى امها وتفاذت منه فرام بها كل من حوالها ان ترد اليه فأبت وكادت ان تموت ففارقها ثم ندم ورام ان يراجها فلم يمكنه واستعان بالابهرى وغيره فلم يقدر احد منهم على حيلة في امره فاختلط عقله واقام في المارستان يعاني مدة طويلة حتى نقه وسلا وما كاد ولقد كان اذا ذكرها يتنفس الصعداء وقد تقدم في اشعاري المذكورة في هذه الرسالة من صفة التحول مفرقاً ما استغنيت به عن ان اذكر هنا من سواها شيئاً خوف الاطالة والله المعين والمستعان وربما ترقى الى ان يغلب المرء على عقله ويحال بينه وبين ذهنه فيوسوس

(خبر) واني لاعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات القواد وقد بلغ بها حب في من اخواني جداً من ابناء الكتاب مبلغ هيجان المرار الاسود وكادت تختلط واشتهر الامر وشاع جداً حتى علمناه وعلمه الاباعد الى ان تدوركت بالعلاج وهذا انما يتولد عن ادمان الفكر فاذا غلبت الفكرة وتمكن الخلط السوداوي خرج الامر عن حد الحب الى حد الوله والجنون واذا اغفل التداوي في الاول الى المعاناة قوى جداً ولم يوجد له دواء سوى الوصال ومن بعض ما كتبت اليه قطعة منها :

قد سلبت القواد منها (١) اختلاساً	اي خلق يعيش دون فؤاد
فاغتها بالوصل تحي شريفاً	وتفز بالشواب يوم المعاد
واراها تقاض ان دام هذا	من خلا خيلها حلى الاقياد

انت حتماً متم الشمس حتى عشقها بين ذا الوري للبادي

(خبر) وحدني جعفر مولى احمد بن محمد بن جدير المعروف بالبيبي ان سبب اختلاط مروان بن يحيى بن احمد بن جدير وزهاب عقله اعتقاله بحارية لاختيه فتمنعها منه واباعها (١) بغيره وما كان في اخوته مثله ولا اتم ادباً منه واخبرني ابو العافية مولى محمد بن عباس بن ابي عبدة ان سبب جنون يحيى بن احمد ابن عباس بن ابي عبدة بيع جاريت له كان يجد بها وجداً شديداً كانت امه اباعها وزهبت الى انكاحه من بعض الامريات فهاذان رجلان جليلان مشهوران فقدما عقولهما واختلطا وصارا في القيود والاعلال فاما مروان فاصابته ضربة مخطئة يوم دخول البربر قرطبة واتهامهم اليها فتوفي رحمه الله واما يحيى ابن محمد فهو حي على حالته المذكورة في حين كتابتي لرسالتي هذه وقد رأيته انا مراراً وجالسته في القصر قبل ان يتجن بهذه المحنة وكان استاذي واستاذ الفقيه ابو الحيار اللغوي وكان يحيى لعمري حلواً من التبان نبلاً . واما من دون هذه الطبقة فقد رأينا منهم كثيراً ولكن لم نسهم لحقائهم وهذه درجة اذا بلغ المشغوف اليها فقد انبت الرجاء وانصرم الطمع فلا دواء له بالوصل ولا بغيره اذ قد استحكم الفساد في الدماغ وتلفت المعرفة وتغلبت الآفة اعادنا الله من البلاء بطوله وكفانا النقم بمنه .

(١) اراد من الاباعة هنا البيع نفسه ، والذي في اقاموس : اباعه عرضه للبيع

﴿ باب السلو ﴾

وقد علمنا ان كل ماله اول فلا بدله من آخر حاشى نعيم الله عز وجل الجنة لا وليائه وعذابه بالنار لاعدائه واما اعراض الدنيا فنافذة فانية وزائلة مضمحلة وعاقبة كل حب الى احد امرين اما اخزام منية واما سلو حادث وقد نجد النفس تغلب عليها بعض القوى المصرفة معها في الجسد فكما نجد نفساً ترفض الراحة والملاذ للعقل في طاعة الله تعالى وللرباء في الدنيا حتى تشهر بالزهد فكذلك نجد نفساً تنصرف عن الرغبة في لقاء مشكلها للآلئة المستحكمة المنافرة للعذر او استمرار سرور المكافأة في الضمير وهذا اصح السلو وما كان من غير هذين الشيئين فليس الامدموماً والسلو المتولد عن الهجر وطوله انما هو كالبأس يدخل على النفس من بلوغها الى املها فيفتقر تراعا ولا يقوي رغبته ولي في ذم السلو قصيدة منها :

اذا مارنت فالحي ميت بلحظها وان نظفت قلت السلام رطاب
كان الهوى ضيف ألم بهجتي فاحمي طعام والتجبيع شراب

ومنها :

صبور على الازم الذي العز خلته ولو اطهرته بالخرق سحاب
جزوعاً من الراحة ان اتجتلته خمولا وفي بعض النعيم عذاب

والسلو في التجربة الجملة ينقسم قسمين سلو طبيعي وهو المسمى بالنسيان يخلو به القلب ويفرغ به البال ويكون الانسان كأنه لم يحب قط وهذا القسم ربما لحق صاحبه الذم لانه حادث عن اخلاق مذمومة وعن اسباب غير موجبة استحقاق النسيان وستأتي مبينة ان شاء الله تعالى وربما لم تنحط الآلة اعذر صحيح والثاني سلو تطبعي قهر النفس وهو المسمى بالتصبر فترى المرء يظفر التجديد

وفي قلبه اشد لدغاً من وخز الاشني (١) ولكنه يرى بعض الشر أهون من بعض او يحاسب نفسه بحجة لاتصرف ولا تكسر وهذا قسم لا ينم آتبه ولا يلام فاعله لانه لا يحدث الا عن عزيمة ولا يقع الا عن فادحة. اما لسبب لا يصير على مثله الاحرار واما الحطب الامر له تجري به الاقدار وكفاك من الموصوف به انه ليس بناس لكنه ذاكرو ذو حنين واقف على العهد ومتجرع مرارات الصبر والفرق العامي بين المتصبر والناسي انك ترى المتصبر وان ابدى غاية الجلد وانظر سب محبوه والتحمل عليه لا يحتمل ذلك من غيره وفي ذلك اقول قطعة منها :

دعوني وسي للحبيب فاتني وان كنت ابدي الهجر لست معادياً
ولكن سي للحبيب كملوهم أجاد فلقاء الاله الدواهي

والناسي ضد هذا وكل هذا فعلى قدر طبيعة الانسان واجابتها وامتناعها وقوة تمكن الحُب من القاب او ضعفه وفي ذلك اقول وسميت السالي فيه انتصير قطعة منها :

نابي الاحبة غير من يسلوهم حكم المقصر غير حكم المقصر
ما قاصر لنفس غير مجيها ما الصابر المطبوع كالتصير

والاسباب الموجبة للسلو انقسم هذين القسمين كثيرة وعلى حسبها ويتمتدز الواقع منها يعذر السالي وينم

فإنها الملل وقد قدمنا الكلام عليه وان من كان سلوه عن ملل وليس حجة حتمية والمنوسم به صاحب دعوى زائفة وانما هو طالب لذة ومبادر شهرة والسالي من هذا الوجه ناس مذموم (٢)

(١) الاشني : المتعب والسراد يختر به ويؤنت « قاموس »

(٢) انظر ما قدمه في الصفحة ٦٩ — ٧٠ عن ابى عامر محمد بن عامر

ومنها الاستبدال وهو وان كان يشبه الملل فيه معنى زائد وهو بذلك المعنى
اقبح من الاول وصاحبه احق بالذم

ومنها حياء مركب يكون في الحب يحول بينه وبين التعريض بما يجد فيتطاول
الامر وتتراخي المدة ويبلى جذيد المودة ويحدث السلو وهذا وجه ان كان
السالي عنه ناسياً فليس يتمصف اذ منه جاء سبب الحرمان وان كان متصبراً
فليس يملوم اذ أثر الحياء على لذة نفسه وقد ورد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال : (الحياء من الايمان واليذاء من النفاق) وحدثننا احمد
ابن محمد عن احمد بن مطرف عن عبد الله بن يحيى عن ابيه عن ملك عن
سلة بن صفوان الرزقي عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال : (لكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء)
فهذه الاسباب الثلاثة اصلها من الحب وابتدؤها من قبله والذم لاصق به في
نسيانه لمن يحب

ثم منها اسباب اربعة هن من قبل المحبوب واصلها عنده : فمنها الهجر وقد
مر تفسير وجوهه ولا بد لنا ان نورد منه شيئاً في هذا الباب يوافقه والهجر
اذا تطاول وكثر القتاب واتصلت المنارقة يكون باباً الى السلو وليس من وصلك
ثم قطعك لغيرك من باب الهجر في شيء لانه القدر الصحيح . ولا من مال
الى غيرك دون ان يتقدم لك معه صلة من الهجر ايضاً في شيء انما ذلك
هو التفار وسيقع الكلام في هذين النصلين بعد هذا ان شاء الله تعالى لكن
الهجر ممن وصلك ثم قطعك لتثقل واش او لذنب واقع او شيء قام في النفس
ولم يمل الى سواك ولا اقام احداً غيرك متماك . والناسي في هذا الفصل من
الحسين ملوم دون سائر الاسباب الواقعة من المحبوب لانه لا يقع حالة تقيم العذر
في نسيانه وانما هو راغب عن وصلك وهو شيء لا يلزمه وقد تقدم من اذمة
الوصال وحق ايامه ما يلزم التذكر ويوجب عهد الائمة ولكن السالي على

جهة التصبر والتجلد هاهنا معذور اذا رأى الهجر متادياً ولم ير للوصال علامة ولا للمراجعة دلالة ، وقد استجاز كثير من الناس ان يسموا هذا المعنى غدرآ اذ ظاهرهما واحد ولكن عليهما مختلفتان فلذلك فرقنا بينهما في الحقيقة واقول في ذلك شعراً منه :

فكونوا كمن لم أدر قط فاني كآخر لم تدروا ولم تصلوه
انا كالصدا ما قال كل أجييه فما شئموه اليوم فاعتمدوه
واقول ايضاً قطعة ثلاثة ايات قلتها وانا تأم واستيقظت فاضفت اليها
البيت الرابع :

الا لله دهر كنت فيه أعز على من روحي وأهلي
فما برحت يد الهجران حتى طواك بناتها طي السجل
سقاني الصبر هجر كم كما قد سقاني الحب وصلكم بسجل
وجدت الوصل اصل الوجد حقاً وطول الهجر اصلاً للتلي
واقول ايضاً منها :

لو قيل لي من قبل ذا ان سوف تسلو من تود
خلفت الف قسامة لا كان ذا ابد الابد
واذا طویل الهجر ما معه من السلوان بد
لله هجر كانه ساع لبره مجتهد
فالآن اعجب للسد و وكنت اعجب للجلد
وأرى هواك كجمره تحت الرماد لها مدد

واقول :

كانت جهنم في الحشى من حبكم فلفقد أراها نار ابراهيم
ثم الاسباب الثلاث الباقية التي هي من قبل المحبوب فالصبر من الناس
فيها غير مذموم لما سنورده ان شاء الله في كل فصل منها

فما نفاذ يكون في المحبوب وانزواء قاطع للاطعام

(خبر) واني لاخبرك عني اني الفت في ايام صباي الفة المحبة جارية نشأت في دارنا وكانت في ذلك الوقت بنت ستة عشر عاماً وكانت غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخبرها ودمايتها عديمة الهزل منعة البذل بديمة البشر مسيلة السر فقيده الذام قليلة الكلام مفضضة البصر شديدة الحذر نذية من العيوب دائمة القطوب حلوة الاعراض مطبوعة الانقياض مليحة الصدود رزينة القعود كثيرة الوقار مستلذة النفاذ لا توجه الاراجي نحوها ولا تقف المطامع عليها ولا معرض للامل لديها فوجهها جالب كل القلوب وحالها طارد من أمها، تزدان في المنع والبخل ما لا يزدان غيرها بالسباحة والبذل موقوفة على الجد في أمرها غير راغبة في اللهو على أنها كانت تحسن العود احساناً جيداً خشيت اليها واحبتها حباً مفرطاً شديداً قسمت عامين او نحوهما ان تجني بكلمة واسع من فيها لفظة — غير مايقع في الحديث الظاهر الى كل سامع — بألف السعي فما وصلت من ذلك الى شيء البتة ، فلم يدي بمصطنع كان في دارنا لبعض ما يصطنع له في دور الرؤساء تجمت فيه دخلتنا ودخله اخي رحمه الله من النساء ونساء قياتنا ومن لاث بنا من خدمنا ممن يحف موضعه ويلطاف محله فلبث صدراً من النهار ثم تنقلن الى قصة سكنت في دارنا مشرفة على استان الدار ويطلع منها على جميع قرطبة وفخريتها (١) مفتحة الابواب فصرن ينظرن من خلال الشراحيب وانا يشهن فاني لا اذكر اني كنت اقصد نحو الباب الذي هي فيه النساء بقربها متعرضاً للدنو منها فما هو الا ان تراني في جوارها فترك ذلك الباب وتقصد غيره في لطف الحركة فاتعمدا ان النصر الى الباب الذي صارت اليه فتعود الى مثل ذلك الفعل من الزوال الى غيره ، وكانت قد

(١) المنحصر جمع شخص وهو كل موضع يسكن

علمت كلفي بها ولم يشعر سائر النسوان بما نحن فيه لأنهن كن عدداً كثيراً واذ
كلهن يتنقلن من باب الى باب لسبب الاطلاع من بعض الابواب على جهات
لا يطلع من غيرها عليها ، واعلم ان قيافة النساء في من عيل اليهن انفذ من
قيافة مدج في الآثار ثم نزلن الى البستان فرغب عجايزنا وكرامتنا الى سيدتها
في سماع غنائها فامرتها فاخذت العود وسوته بخمر وخجل لاعهد لي بشئ وان
الشيء يتضاعف حسنه في عين مستحسنة ثم اندفعت تغني بابيات العباس ابن
الاحنف حيث يقول :

اني طربت الى شمس اذا غربت	كانت مغاربها جوف المقاصير
شمس ممثلة في خلق جارية	كأن اعطافها طي الطوامير
ليست من الانس الا في مناسبة	ولا من الجن الا في اتصاوير
فالوجه جوهره والجسم عهده	والريح غنيرة والكل من نوره
كأنها حين تخطو في مجاسدها (١)	تخطو على البيض اوحده القوارير

فلمعري لكأن المضرب انما يقع على قلبي وما نسيت ذلك اليوم ولا النساء
الى يوم مفارقتي الدنيا وهذا اكثر ما وصات اليه من التمكن من رؤيتها وسماع
كلامها وفي ذلك اقول :

لأنها على الثنار ومنع النوص	ل كم ماذا لها ينصير
هل يكون الهلال غير بعيد	او يكون الغزال غير نفور

واقول :

منعت جمال وجهك مقتباً	ولفظك قد ضننت به علياً
أراك نذرت للرحمن صوماً	فأست تكلمين اليوم حياً
وقد غنيت للعباس شعراً	هنيئاً ذا لعباس هنيئاً

(١) المجسد : كمبرد ثوب يلي الجسد « قاموس »

فلو بلمالك عباس لاضحى لغوز قالياً وبكم شجيا

ثم انتقل ابي رحمه الله من دورنا المحدث (١) بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة الى دورنا القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث في اليوم الثالث من قيام امير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة وانتقلت انا بانتقاله وذلك في جمادي الاخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ولم تنتقل هي بانتقالنا لامور ارجبت ذلك ثم شغلنا بعد قيام امير المؤمنين هشام المؤيد بالكسبات وابعثنا ارباب دولته وامتحنا بالاعتقال والترقيب والاعرام الفادح والاستتار وارزمت الفتنة وألقت باعها وعمت الناس وخصتنا الى ان توفي ابي الوزير رحمه الله ونحن في هذه الاحوال بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة عام اثنتين واربعائة واتصلت بنا تلك الحال بعده الى ان كانت عندنا جنازه لبعض اهلنا فرأيتها — وقد ارتفعت الواعية (٢) — قائمة في المأتم وسط النساء في جملة النبواكي والنوادب فليقد اثارت وجداً دفيناً وحركت ساكناً وذكرتي عهداً قديماً وجباً تليداً ودهراً ماضياً وزمناً عافياً وشهوراً خوالي واخباراً بوالي ودهوراً فواني واياماً قد ذهبت وآثاراً قد دثرت ، وجددت احزاني وهيجت بلايلي على اني كنت في ذلك النهار مرزءاً مصاباً من وجوه وما كنت نسيب ولكن زاد الشجي وتوقدت اللوعة وتأكد الحزن وتضاعف الاسف واستجلب الوجد ما كان منه كامنأ فلباه مجيباً فقلت قطعة منها :

بيكي ليت مات وهو مكرم وللمحي أولى بالدموع الذوارف
فيا عجيباً من آسف لامرء نوى وما هو للمنتول ظمأ بآسف

ثم ضرب الدهر ضربانه واجلينا عن منازلنا وتغلب علينا جند البربر فخرجت عن قرطبة اول المحرم سنة اربع واربعائة وغابت عن بصرى بعد تلك الرؤية

(١) لعل الصواب : المحدثه (١) الواعية : الصراخ والصوت « قاموس »

الواحدة سبعة اعرام واكثر ثم دخلت قرطبة في شوال سنة تسع واربعماية
 فزلت على بعض نساءنا فرأيتها هنالك وما كدت ان اميزها حتى قيل لي هذه
 فلاة وقد تغير اكثر محاسنها وذهبت نضارتها وفيت تلك البهجة وغاض
 ذلك الماء الذي كان يرى كالسيف الصقيل والمرأة الهندية وذبل ذلك الزوار (١)
 الذي كان البصر يقصد نحوه متبوراً (٢) ورتاد فيه متخيراً وينصرف عنه متحيراً فلم
 يبق الا البعض النبيء عن السكل والخبر المخبر عن الجميع وذلك لقله احتياها
 بنفسها وعدمها الصيانة التي كانت غذيت بها ايام دولتنا وامتداد ظلتها ولتبدلها
 في الخروج فيما لا بد لها منه مما كانت تصان وترفع عنه قبل ذلك وانما النساء
 رياحين متى لم تتعاهد نقصت وبنة متى لم يهتبل بها استهدمت ولذلك قال من
 قال ان حسن الرجال اصدق صدقاً واثبت اصلاً واعتق جودة لصبه على ما
 لو اتي بهضه وجوه النساء لتغيرت اشد التغير مثل الهجير والسوم والرياح
 واختلاف الهواء وعدم الكن واني لو نلت منها اقل وصل وأنست لي بعض
 الانس لحراطت طرباً اولت فرحاً ولكن هذا النفار الذي صبرني وأسلاني
 وهذا الرجة من اسباب السلو صاحبه في كلا الوجهين معذور وغير ملوم اذ
 لم يقع ثبت يوجب الوفاء ولا عهد يقتضي المحافظة ولا سلف ذمام ولا فرط
 تصادق يلام على تضييعه ونسيانه

ومنها جناء يكون من المحبوب فاذا أفرط فيه وأسرف وصادف من المحب
 نفساً لها بعض الانفة والعزة تسلى واذا كان الجفاء يسيراً منقطعاً او دائماً او
 كبيراً منقطعاً احتمل وأغضى عليه حتى اذا كثر ودام فلا بقاء عليه ولا يلام
 الناس لمن يحب في مثل هذا

ومنها الغدر وهو الذي لا يحتمله احد ولا يفضي عليه كريم وهو المسلاة

(١) الوار كرم الزهر (٢) كذا في الاصل ولعل الصواب مبتاراً اي مختبراً

حقاً ولا يلام السالي عنه على اي وجه كان ناسياً او متصبراً بل اللأمة لاحتة
لمن صبر عليه ولولا ان القلوب بيد مقلبيها لا اله الا هو ولا يكلف المرء صرف
قلبه وزا احالة استحسانه ولولا ذاك لقلت ان انتصبر في سلوه مع الغدر يكاد
ان يستحق الملامة والتمنيف ولادعى الى السلو عند الحر النفس وذوي الحفيظة
والسري السجاي من الغدر فما يصبر عليه الا ذني المرؤة خسيس النفس نذل
الهمة ساقط الافقة وفي ذلك اقول قطعة منها :

هواك فلست اقربه غرور وانت لكل من يأتي سرير
وما ان تصبرين على حبيب فحولك منهم عدد كثير
فلو كنت الامير لما تعاطى لقاءك خوف جمعهم الامير
رأيتك كالاماني ماعلى من بلم بها ولو كثروا غرور
ولاعنها لمن يأتي دفاع ولو حشد الانام لهم نكير

ثم سبب ثامن وهو لا من الحب ولا من المحبوب ولكنه من الله تعالى
وهو اليأس وفروعه ثلاثة إما موت وإما بين لا يرجع معه أوبة وإما مرض يدخل
على المتحابين بعة الحب التي من اجلها وثق المحبوب فيغيرها وكل هذه الوجوه
من أسباب السلو والتصبر وعلى الحب الناسي في هذا الوجه المقسم الى هذه
الاقسام الثلاثة من الغضاظة والذم واستحقاق اسم اللوم والغدر غير قليل وان
ليأس لعملاً في النفوس عجباً وثليجاً لحر الاكباد كبيراً وكل هذه الوجوه
المذكورة اولا وآخراً فالتأني فيها واجب والتربص على أهلها حسن فيما يمكن
فيه التأني ويصح لديه التربص فاذا انقطعت الاطعام وانحسمت الآمال فحينئذ
يقوم الغدر وللشعراء فن من الشعر يذمون فيه الباكي على الدمن ويثنون على
الناظر على النذات وهذا يدخل في باب الساو ولقد اكثر الحسن بن هانيء
في هذا الباب وافتخر به وهو كثيراً ما يصف نفسه بالغدر الصريح في اشعاره
تحكماً بلسانه واقتداراً على القول وفي مثل هذا اقول شعراً منه :

خل هذا وبادر الدهر وارحل في رياض الربى مطي القفار (١)
واحدھا بالبدیع من نغات الـ عود ككيا تحت بالزمار
ان خيراً من الوقوف على الدار وقوف البنات بالآوتار
وبدا النرجس البديع كصب حائر الطرف مائلاً كالمدار
لونه لون عاشق مستهام وهو لاشك هائم بالبهار
ومعاذ الله ان يكون نسيان مدارس لنا طبعاً ومعصية الله بشرب الراح لنا
خلقاً وكساد الهمة لنا صفة ولكن حسبنا قول الله تعالى ومن اصدق من الله
قيلاً في الشعراء (ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون)
فهذه شهادة الله العزيز الجبار لهم ولكن شذوذ القائل للشعر عن مرتبة الشعر
خطأ وكان سبب هذه الايات ان ضنا العامرية احدى كرائم المظفر عبد الملك
ابن ابي عامر كلقتني صنعتها فاجبتها وكنت اجلها ولها فيها صنعة في طريقة
التشيد والبسيط رائقة جداً ولقد انشدتها بعض اخواني من اهل الادب فقال
سروراً بها «يجب ان توضع هذه في جملة عجائب الدنيا»
فجميع فصول هذا الباب كما ترى ثمانية : منها ثلاثة هي من الحب «اثنان
منها» يذم السالي فيهما على كل وجه وهما الملل والاستبدال «وواحد منها» يذم
السالي فيه ولا يذم المتصبر وهو الحياء كما قدمنا . واربعة من المحبوب منها واحد
يذم الناسي فيه ولا يذم المتصبر وهو الهجر الدائم . وثلاثة لا يذم السالي فيها
على اي وجه كان ناسياً او متصبراً وهي النفار والجفاء والغدر ووجه ثامن وهو
من قبل الله عز وجل وهو اليأس اما يموت او يين او آفة ترمي والمتصبر في
هذه معذور

(١) لعل الصواب «العقار» بمعنى الحُر كما يدل عليه اعتذاره بعد بقوله :
«ومعصية الله بشرب الراح» الخ ...

وعني اخبرك اني جبلت على طبيعتين لايتهني معهما عيش ابداً واني لا برم
بحياتي باجتماعهما واود التثبت من نفسي احياناً لاقد ما أنا بسبيه من التكد
من اجلهما وهما : وفاء لايشوبه تلون قد استوت فيه الحضرة والمغيب والباطن
والظاهر تولده الاافة التي لم تعزف بها نفسي عما دريته ولا تتطلع الى عدم من
صحبه . وعزة نفس لاتقر على الضيم مهمة لاقول مايرد عليها من تغير المعارف
مؤثرة للمرت عليه فكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو الى نفسها واني
لاجفي فاحتمل واستعمل الناة الطويلة والتلوم الذي لا يكاد يطيقه احد فاذا
افرط الامر وحيت نفسي تصبرت وفي القلب مافيه وفي ذلك اقول قطعة منها :

لي خلتان اذا قاني الاسى جرعاً ونفصا عيشتي واستهلكا جلدي
ككلتا عما تطبيني نحو جياتها كالصيد ينشب بين الذئب والاسد
وفاء صدق فما فارقت ذا مقعة فزال حزني عليه آخر الابد
وعزة لا يحل الضيم ساحتها صرامة فيه بالاموال والولد

ومما يشبه مانحن فيه وان كان ليس منه ان رجلاً من اخواني كنت خللته
من نفسي محلها واسقطت المؤونة بيني وبينه واعدته ذخراً وكثراً وكان كثير
السمع من كل قائل فذب ذو النعمة بيني وبينه فحاكوا فيه وانجح سعيهم عنده
فانقبض عما كنت اعهد فتربصت عليه مدة في مثلها أوب الغائب ورضى الغائب
فلم يزد الا انقباضاً فتركته وحاله



﴿ باب الموت ﴾

وربما ترايد الامر ورق الطبع وعظم الاشفاق فكان سبباً للموت ومفارقة الدنيا وقد جاء في الآثار (من عشق فعف فمات فهو شهيد) وفي ذلك اقول قطعة منها :

فان أهلك هوى أهلك شهيداً وان تمنى بقيت قرير عين

روى لنا هذا قوم ثقات نووا بالصدق عن جرح ومين

ولقد حدثني ابو السرى عمار بن زياد صاحبنا عن يثق به ان الكاتب ابن قزمان امتحن بمحنة أسلم بن عبد العزيز اخي الحاجب هاشم بن عبد العزيز وكان اسلم غاية في الجمال حتى اضجعه لما به ووقعه في اسباب المنية وكان اسلم كثير الامام به والزيارة له ولاعلم له بانه اصل دائه الى ان توفي اسفاً ودنفاً قال الخبر فاخبرت اسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسف وقال هلا اعلمتني فقلت ولم قال كنت والله ازيد في صلته وما اكاد افارقه فما علي في ذلك ضرر وكان أسلم هذا من اهل الادب البارع والتمنن مع حظ من الفقه وافر وذا بصارة في الشعر وله شعر جيد وله معرفة بالاغاني وتصرفها وهو صاحب تأليف في طرائق غناء زرياب واخباره وهو ديوان عجيب جداً وكان احسن الناس خلقاً وخلقا وهو والد ابي الجعد الذي كان ساكناً بالجانب الغربي من قرطبة

وانا اعلم جارية كانت لبعض الرؤساء فعزف عنها شيء باغته في جهتها لم يكن يوجب السخط فباعها فخرعت لذلك جزعاً شديداً وما فارقتها التحول والاسف ولابان عن عينها الدمع الى ان سلت وكان ذلك سبب موتها ولم تعش بعد خروجها عنه الا اشهرأ ليست بالكثيرة . ولقد اخبرتي عنها امرأة اتق بها أنها لقيتها وهي قد صارت كالخيال نحو لا ورقة فقالت لها احسب هذا الذي

بك من محبتك لفلان فتفتست الصعداء وقالت والله لانسيتيه ابداً وان كان جفاني
بلا سبب وما عاشت بعد هذا القول الايسيراً

وانا اخبرك عن ابي بكر اخي رحمه الله وكان متزوجاً بعاتكة بنت قند صاحب
الثغر الاعلى ايام المنصور ابي عامر محمد بن عامر وكانت التي لا مرمي وراءها
في جاهها وكريم خلاها ولاتأتي الدنيا بمثلها في فضائلها وكانا في حدد الصبي
وتمكن سلطانه . يفضب كل واحد منهما الكلمة التي لا قدر لها فكانا لم يزا
في تفاضب وتعاتب مدة ثمانية اعوام وكانت قد شها حبه واضناها الوجد فيه
وأخلها شدة كلفها به حتى صارت كالخيال المتوسم دنفاً لايلبها من الدنيا شيء
ولانس من اموالها على عرضها وتكاثرها بقليل ولا كثير اذ فاتها اتفاقه معها
وسلامته لها الى ان توفي اخي رحمه الله في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر
ذي القعدة سنة احدى واربعائة وهو ابن اثنين وعشرين سنة فما انتفكت منذ
بان عنها من السقم الدخيل والمرض والذبول الى ان ماتت بعده بعام في اليوم
الذي اكمل هو فيه تحت الارض عاماً . رائقد اخبرتي عنها امها وجميع جواربها
انها كانت تقول بعده مايقوي صبري ويمسك رمقي في الدنيا ساعة واحدة بعد
وفاته الاسروري وتبقي انه لا يرضه وامرأة مضجع ابداً فقد امنت هذا الذي
ما كنت اتخوف غيره واعظم آمالي اليوم التالحاق به . ولم يكن له قبلها ولا
معا اسرأة غيرها وهي كذلك م يكن لها غيره فكان كما قدرت غفر الله لها
ورضي عنها

واما خبر صاحبنا ابي عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمي
المعروف بابن الطنبى فانه كان رحمه الله كأنه قد خلق الحسن على مثله اوخلق
من نفس كل من رآه (١) لم له مثلاً حسناً وجالاً وخلقاً وعنه وتساوياً

(١) فيه اشارة الى قول الشاعر :

كأنك من كل النفوس مأون فانت الى كل النفوس حبيب

وإدباً وفهماً وحلماً ووفاءً وسؤدداً وطهارةً وكرماً ودمانةً وحلاوةً ولباقةً وأعضاء
وعقلاً ومرؤةً ودينياً ودرايةً وحفظاً للقرآن والحديث والنحو واللغة وشاعراً مقلعاً
وحسن الخط وبلغاً مقنناً مع حظ صالح من الكلام والجدل وكان من غلمان
أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي استاذي في هذا الشأن وكان بينه
وبين أبيه اثنا عشر عاماً في السن وكنت أنا وهو متقاربين في الاسنان وكنا
ألفين لانتفرق، وخدين لايجري الماء بيننا صفاء الى ان القت الفتنة جراتها
وارخت عز اليها ووقع اتها ب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة وتزولهم
فيها وكان مسكن أبي عبد الله في الجانب الشرقي ببلاط مغيت وتقلب بي الامور
الى الخروج عن قرطبة وسكني مدينة المرية فكنا تهادي النظم والنثر كثيراً
وأخر ما خاطبني به رسالة في درجتها هذه الايات :

ليت شعري عن جبل ودك هل يـ	سي جديداً لدي غير رثيث
وأراني أرى حبياك يوماً	وأناجيك في بلاط مغيت
فلو ان الديار ينهضها الشو	ق أذاك البلاط كالمستغيت
ولو ان القلوب تسطيع سيراً	سار قلبي اليك سير الحيت
كن كما شئت لي فاني محب	ليس لي غير ذكركم من حديث
لك عندي وان تناسيت عهداً	في صميم الفؤاد غير نكيت

فكنا على ذلك الى ان انقطعت دولة بني مروان وقتل سليمان الظافر امير
المؤمنين وظهرت دولة الطالبية وبويع علي بن حود الحسني المسمى بالناصر
بالخلافة وتغلب على قرطبة وتملكها واستمر في قتاله اياها بجيوش المتغلبين والثوار
في اقطار الاندلس وفي اثر ذلك نكبني خيران صاحب المرية اذ نقل اليه من لم
يتق الله عز وجل من البايعين — وقد انتقم الله منهم عني وعن محمد ابن اسحق
صاحبي — انا نسعى في القيام بدعوة الدولة الاموية فاعتقلنا عند نفسه اشهرأ ثم
اخرجنا على جهة التغريب فصرنا الى حصن القصر ولقينا صاحبه ابو القاسم

عبد الله بن هذيل النجبي المعروف بابن المقل فاقنا عنده شهوراً في خير دار
اقامة وبين خير اهل وجيران وعند اجل الناس همة واكملهم معروفاً واتمهم
سيادة ثم ركبنا البحر قاصدين بطنسية عند ظهور امير المؤمنين المرتضى عبد
الرحمن بن محمد وسكناه بها فوجدت بطنسية ابا شاكر عبد الرحمن بن محمد ابن
موهب العنبري صديقنا فعنى الي ابا عبد الله بن الطنبى واخبرني بموته رحمه الله
ثم اخبرني بعد ذلك بمديدة القاضي ابو الوليد يونس بن محمد المرادي وابو عمرو
احمد بن محرز ان ابا بكر المصعب بن عبد الله الازدي المعروف بابن الفرصى
حدثهما وكان والد المصعب هذا قاضي بطنسية ايام امير المؤمنين المهدي وكان
المصعب لنا صديقاً وأخاً واليفاً ايام طلبنا الحديث على والده وسأر شيوخ الحديثين
بقرطبة ، قالوا : قال لنا المصعب سألت ابا عبد الله بن الطنبى عن سبب علته
وهو قد نحل وخفيت محاسن وجهه بالضى فلم يبق الا عين جوهرها الخبير عن
صفاتهما السالفة وصار يكاد ان يطيره النفس وقرب من الانحاء والشجا باد على
وجهه ونحن منفردان فقال لي نعم اخبرك اني كنت على باب داري بقديد الشامس
في حين دخول علي بن حمود قرطبة والجيوش واردة عليها من الجهات تتسارب
فرأيت في جلهم فتى لم أقدر ان للحسن صورة قائمة حتى رأيته فغلب على عقلي
وهام به لبي فسألت عنه فقبل لي هذا فلان ابن فلان من سكان جهة كذا
ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة المأخذ فيئت عن (١) رؤيته بعد ذلك ولعمري
يا أبا بكر لافارقي جبه او يوردني رمسي فكان كذلك وانا اعرف ذلك التى
وادريه وقد رأيته لكني اضربت عن اسمه لانه قد مات والتقى كلاهما عند الله
عز وجل عفا الله عن الجميع هذا على ان ابا عبد الله اكرم الله نزله عن لم
يكن له وله قط ولا فارق الطريقة التلى ولاوطيء حراماً قط ولا قارف مسكراً
ولا اتى منهاً عنه يخل بدينه ومرؤته ولا قارض من جفا عليه وما كان في طبقتنا

مثله ثم دخلت انا قرطبة في خلافة القاسم بن حمود المأمون فلم اقدم شيئاً على
 قصد ابي عمرو القاسم بن يحيى التميمي اخي عبد الله رحمه الله فسألته عن حاله
 وعزيمته عن اخيه وما كان اولى بالتعزية عنه مني ثم سألته عن اشعاره ورسائله
 اذ كان الذي عندي منه قد ذهب بالنهب في السبب الذي ذكرته في صدر هذه
 الحكاية فاخبرني عنه انه لما قربت وفاته وايقن بحضور المنية ولم يشك في الموت
 دعا بجميع شعره وبكتي التي كنت خاطبته انا بها فقطعتها كلها ثم امر بدفنها
 قال ابو عمرو فقلت له يا اخي دعها تبقى فقال اني اقطعها وانا ادري اني اقطع
 فيها ادباً كثيراً ولكن لو كان ابو محمد بعيني حاضراً لدفعها اليه تكون
 عنده تذكرة لمودتي ولكني لا اعلم اي البلاد اضمرت ولا أخي هو ام ميت
 وكانت نكتي اتصلت به ولم يعلم مستقري ولا الى ما آل امري فن مراني له
 قصيدة منها :

لئن سترتك بطون اللجود فوجدي بعدك لا يستتر
 قصدت ديارك قصد المشوق وللدهر فينا كرور وممر
 فألفيتها منك قفراً خلاء فاسكبت عيني عليك العبر

وحدثني ابو القاسم الهمداني رحمه الله قال كان معنا ببغداد (١) اخ لعبد الله ابن
 يحيى بن احمد بن دحون الفقيه الذي عليه مدار الفتيان بقرطبة وكان اعلم من
 اخيه واجل مقداراً ما كان في اصحابنا ببغداد مثله وانه اجتاز يوماً بدرب قطنه
 في زقاق لا ينفذ فدخل فيه فرأى في اقضاء جارية واقفة مكشوفة الوجه فقالت
 له يا هذا ان الدرب لا ينفذ قال فطر اليها فهمام بها قال وانصرف الينا فترأى عليه
 امرها وخشي الفتنة فخرج الى البصرة فمات بها عشقاً رحمه الله وكان فيما
 ذكر من الصالحين

(١) في المختار: (بغداد) (وبغداد) (وبغدان)

(حكاية) لم ازل اسمعها عن بعض ملوك البرابر ان رجلاً اندلسياً باع جارية كان يجد بها وجداً شديداً لفاقة اصابته من رجل من اهل ذلك البلد ولم يظن بائعها ان نفسه تتبعها ذلك التبع فلما حصلت عند المشتري كادت نفس الاندلسي تخرج فأتى الى الذي ابتاعها منه وحكمه في ماله اجمع وفي نفسه فأبى عليه فتحمل عليه باهل البلد فلم يسعف منهم احد فكاد عقله ان يذهب ورأى ان يتصدى الى الملك فعرض له وصاح فسمعه فامر بادخاله والملك قاعد في عليّة له مشرفة عالية فوصل اليه فلما مثل بين يديه اخبره بقصته واسترحمه وتضرع اليه فرق له الملك فأمر باحضار الرجل المتباع فحضر فقال له هذا رجل غريب وهو كما تراه وانا شفيعه اليك فأبى المتباع وقال انا اشد حياءً لها منه واخشى ان صرفتها اليه ان استغيت بك غداً وانا في اسوأ من حاله فرام به الملك ومن حواله في اموالهم فأبى ورجع واعتذر بمحبته لها فلما طال المجلس ولم يروا منه البتة جنوحاً الى الاسعاف قال للاندلسي يا هذا مالك بيدي اكثر مما ترى وقد جهدت لك بأبلغ سعي وهو تراه يعتذر بانه فيها احب منك وانه يخشى على نفسه شراً مما انت فيه فاصبر لما قضى الله عليك فقال له الاندلسي فإني بيدك حيلة قال له وهل هاهنا غير الرغبة والبدل ما استطيع لك اكثر فلما يئس الاندلسي منها جمع يديه ورجليه وانصب من اعلى العلية الى الارض فارتاع الملك وصرخ فابتدر العلمان من اسفل فقضى انه لم يتأذ في ذلك الوقوع كبير أذى فصعد به الى الملك فقال له ماذا اردت بهذا فقال ايها الملك لاسئلك لي الى الحياة بعدها ثم هم ان يرمي نفسه ثانية فتمنع فقال الملك الله اكبر قد ظهر وجه الحكم في هذه المسألة ثم اتفت الى المشتري فقال يا هذا انك ذكرت انك اود لها منه وتخاف ان تصير في مثل حاله فقال نعم قال فان صاحبك هذا ابدى عنوان محبته وقذف بنفسه يريد الموت لولا ان الله عز وجل وقاه فانت قم فصحيح حبك ورام من اعلى هذه القصة كما

فعل صاحبك فان مت فبأجلك وان عشت كنت اولى بالجارية اذ هي في يدك
وينضي صاحبك عنك وان ابنت نزلت الجارية منك رغماً ودفعها اليه فتمنع ثم
قال أترامى فلما قرب من الباب ونظر الى الهوى تحته رجع القهقري فقال له
الملك هو والله ما قلت فهم ثم نكل فلما لم يقدم قال له الملك لا تلاعب بنا
ياغلما خذوا بيديه وارموا به الى الارض فلما رأى العزيمة قال ايها الملك قد
طابت نفسي بالجارية فقال له جزاك الله خيراً فاشترها منه ودفعها الى بائعها
وانصرفا

﴿ باب قبض المعصية ﴾

قال المصنف رحمه الله تعالى وكثير من الناس يطيعون انفسهم ويعصون
عقولهم ويتبعون اهواءهم ويرفضون اديانهم ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه
وربه في الالباب السايمة من العنة وترك المعاصي ومقارعة الهوى ومخالفة الله
ربهم ويوافقون ابليس فيما يحبه من الشهوة المعطية فيواقعون المعصية في حبه
وقد علمنا ان الله عز وجل ركب في الانسان طبيعتين متضادتين احدهما لاتشير
الا بخير ولا تحض الا على حسن ولا تصور فيها الا كل امر مرضي وهي العقل
ونائده العدل والثانية ضد لها لاتشير الا الى الشهوات ولا تقود الا الى الردى
وهي النفس وقائدها الشهوة والله تعالى يقول ﴿ ان النفس لامارة بالسوء ﴾ وكى
بالتلب عن العقل فقال ﴿ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او اتقى السمع وهو
شاهد ﴾ وقال تعالى ﴿ وحب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ﴾ وخاطب اولى
الالباب فهاتان الطبيعتان قطبان في الانسان وهما قوتان من قوى الجسد الفعال
بهما ومطرحان من مطارج شعاعات هذين الجوهرين العجيين الرفيعين العلويين
ففي كل جسد منهما حظه على قدر مقابلته لها في تقدير الواحد الصمد تقدست
اسماؤه حين خلقه وهياً . فهما يتقابلان ابدأ ويتنازعان دأباً فاذا غلب العقل

النفس ارتدع الانسان وقع عوارضه المدخولة واستضاء بنور الله واتبع العدل
 واذا غلبت النفس العقد عميت البصيرة ولم يصح الفرق بين الحسن والقيس
 وعظم الالتباس وتردى في هوة الردى ومهواة الهلكة وبهذا حسن الامر والنهي
 ووجب الاكتمال وصح اثواب والعقاب واستحق الجزاء . والروح واصل بين هاتين
 الطبعيتين وموصل ما بينهما وحامل الالتقاء بهما . وان الوقوف عند حد الطاعة
 لمعدوم الامع طول الرياضة وصحة المعرفة ونفاذ التمييز ومع ذلك اجتناب التعرض
 للفتن ومداخلة الناس جملة والجلوس في البيوت ، وبالخلا ان تقع السلامة المضمونة
 او يكون الرجل حصوراً لا ارب له في النساء ولا جارحة له تعينه عليهن قتيماً
 وورد (من وقى شر لقلقه وبقبه وذنبه فقد وقى شر الدنيا بجذائرها) .
 والقلق اللسان والقبب البطن والذبذب الفرج ولقد اخبرني ابو حفص الكاتب
 هو من ولد روح بن زبناج الجذامي انه سمع بعض المتسمين باسم الفقه من اهل
 الرواية المشاهير وقد سئل عن هذا الحديث فقال القبيبة البطيخ . وحدثنا احمد
 ابن محمد بن احمد ، ثنا وهب بن مسرة ومحمد بن ابي دليم عن محمد بن واضح
 عن يحيى بن يحيى عن مالك بن انس عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل (من وقاه الله شر اثنتين
 دخل الجنة) فسئل عن ذلك فقال (ما بين لحيه وما بين رجليه) واني لاسمع
 كثيراً ممن يقول : الوفاء في قبح الشهوات في الرجال دون النساء فاطيل العجب
 من ذلك وان لي قولاً للاحول عنه : الرجال والنساء في الجنوح الى هذين
 الشئين سواء ومارجل عرضت له امرأة جملة بالحب وطال ذلك ولم يكن ثم من
 مانع الا وقع في شرك الشيطان واستهوته المعاصي واستغزه الحرص وتغوله الطمع
 وما امرأة دعاها رجل يمثل هذه الحالة الا وامكنته حتماً مقضياً وحكماً نافذاً
 لا يحيد عنه البتة

ولقد اخبرني ثقة صدق من اخواني من اهل التمام في الفقه والكلام والمعرفة

وذو صلابة في دينه انه احب جارية نبيلة اديبة ذات جمال بارع قال فعرضت لها فنفرت ثم عرضت فأبت فلم يزل الامر يطول وحبها يزيد وهي مما لا تطيع البتة الى ان حملني فرط حبي لها مع عمي الصبي على ان نذرت اني متى نلت منها مرادي ان اتوب الى الله توبة صادقة قال فما مرت الايام والليالي حتى اذعنت بعد شماس ونفار فقلت له ابا فلان وفيت بعهدي فقال اي والله فضحكت وذكرته بهذه الفعلة ما لم يزل يتداول اسماعنا من ان في بلاد البربر التي تتجاوز اندلسنا يتوب (١) الفاسق على انه اذا قضى وطره ممن اراد ان يتوب الى الله، فلا يمنع من ذلك وينكرون على من تعرض له بكلمة ويقولون له أتحرّم رجلاً مسلماً التوبة . قال ولمهدي بها تبكي وتقول والله لقد بلغتني مبلغاً ما خطر قط لي ببال ولا قدرت ان اجيب اليه احداً . ولست ابعد ان يكون الصلاح في الرجال والنساء موجوداً واعوذ بالله ان اظن غير هذا واني رأيت الناس يغفلون في معنى هذه الكلمة اعني الصلاح غلطاً بعيداً والصحيح في حقيقة تفسيرها ان الصالحة من النساء هي التي اذا ضبطت انضبطت واذا قطعت عنها الذرائع امسكت والفاصلة هي التي اذا ضبطت لم تنضبط واذا حيل بينها وبين الاسباب التي تسهل الفواحش تحيلت في ان تتوصل اليها بضروب من الحيل . والصالح من الرجال من لا يداخل اهل الفسوق ولا يتعرض من المناظرة الجالبة للاهواء ولا يرفع طرفه الى الصور البديعة التركيب والفاسق من يعاشر اهل النقص وينشر بصره الى الوجوه البديعة الصنعة ويتصدى للمشاهد المؤذية ويحب الحلوات المهلكات . والصالحان من الرجال والنساء كالنار الكامنة في الرماد لا تحرق من جاورها الا بان تحرك والفاسقان كالنار المشتعلة تحرق كل شيء . واما امرأة مهملة ورجل متعرض فقد هلكا وتلفا . ولهذا حرم على المسلم الالتذاذ بسمع

(١) لعلها (يتعد) او مافي معناها

نعمة امرأة اجنبية وقد جعلت النظرة الاولى لك والاخرى عليك . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تأمل امرأة وهو صائم حتى يرى حجم عظامها فقد افطر) وان في ماورد من النهي عن الهوى بنص التنزيل لشيئا مقنعاً وفي ايقاع هذه الكلمة اعني الهوى اسماً على معان واشتقاقها عند العرب وذلك دليل على ميل النفوس وهويها الى هذه المقامات . وان التمسك عنها مقارع لنفسه محارب لها

وشيء اصفه لك تراه عياناً وهو اني مارأيت قط امرأة في مكان تحس ان رجلاً يراها او يسمع حسها الا وحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمنزل واتت بكلام زائد كانت عنه في غيبة . مخالفين لكلامها وحركتها قبل ذلك . ورأيت اتهمهم لخارج لفظها وهيئة ثقلها لانحائها فيها ظاهراً عليها لاختفاء به . والرجال كذلك اذا احسوا بالنساء . واما اظهار الزينة وترتيب المشي وايقاع المزج عند خطور المرأة بالرجل واجتياز الرجل بالمرأة فهذا اشهر من الشمس في كل مكان والله عز وجل يقول (قل للمؤمنين يقضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم) وقال تقدرست اسماءه (ولا يضرين بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) فلو لا علم الله عز وجل برقة اغماضهن في السعي لا يصلح جهن الى القلوب ولطف كيدهن في التحيل لاستجلاب الهوى اما كشف الله عن هذا المعنى البعيد الغامض الذي ليس وراءه مرمى وهذا حد التعرض فكيف بما دونه

ولقد اطلعت من سر معتقد الرجال والنساء في هذا على امر عظيم واصل ذلك اني لم احسن قط باحد ظناً في هذا الشأن مع غيرة شديدة ركبت في . وحدثنا ابو عمرو احمد بن محمد بن احمد ، ثنا احمد ، ثنا محمد بن علي ابن رفاعه . حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا ابو عبيد القاسم بن سلام عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الغيرة من الإيمان) فلم ازل باحثاً عن اخبارهن كاشفاً عن اسرارهن وكن قد أنسن مني بكتبان فمكن يطلعتني

كلمة الرجل
فصل في بيان
الحوصل من
المرأة
قال رسول الله
صلى الله عليه
وسلم
الغيرة
من الإيمان
فلم ازل باحثاً
عن اخبارهن
كاشفاً عن
اسرارهن
وكن قد أنسن
مني بكتبان
فمكن يطلعتني

على غوامض امورهن ولولا ان اكون منبهاً على عورات يستعاذ بالله منها لاوردت
 من تهنين في الشر ومكرهن فيه عجائب تذهل الالباء
 واني لاعرف هذا واقفه ومع هذا يعلم الله وكفى به عليهما اني بريء الساحة
 سليم الاديم صحيح البشرة بقي الحجرة واني اقسم بالله اجل الاقسام اني ما حلت
 مؤذي على فرج حرام قط ولا يحاسبني ربي بكيرة الزنا مذ عقلت الى يومي هذا
 والله الحمد على ذلك والمذكور فيما مضى والمستصم فيما بقي
 حدثنا القاضي ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حجاج
 المعافري — وانه لافضل قاض رأيته — عن محمد بن ابراهيم الطليطلي عن
 القاضي بمصر بكر بن العلاء في قول الله عز وجل (وأما بنعمة ربك فحدث)
 ان لبعض المتقدمين فيه قولاً وهو ان المسلم يكون مخبراً عن نفسه بما انعم الله
 تعالى به عليه من طاعة ربه التي هي من اعظم النعم والاسما في المفترض على
 المسلمين اجتنابه واتباعه وكان السبب فيما ذكرته اني كنت وقت تأجج نار
 الصبي وشرة الحداثة ونمكس غرارة التوبة مقصوراً محظراً على بين رقيب
 ورقائب، فلما ملكت نفسي وعقلت صحبت ابا علي الحسين بن علي القاسي في
 مجلس ابا القاسم عبد الرحمن بن ابي يزيد الازدي شيخنا واستاذي رضي الله
 عنه وكان ابو علي المذكور عاقلاً عاملاً عالماً ممن تقدم في الصلاح والنسك
 الصحيح في الزهد في الدنيا والاجتهاد للآخرة واحسبه كان حضوراً لانه لم
 تكن له امرأة قط ومارأت مثله جملة علماء وعملاً ودينياً وورعاً فنفعني الله به كثيراً
 وعلمت موقع الاساءة وقبح المعاصي . ومات ابو علي رحمه الله في طريق الحج
 ولقد ضمني المبيت ليلة في بعض الايام عند امرأة من بعض معارف مشهورة
 بالصلاح والخير والحزم ومعهما جارية من بعض قراباتها من اللاتي قد ضمها معي
 النساء في الصبي ثم غبت عنها اعواماً كثيرة . وكنت تركتها حين اعصرت (١)

(١) في الاصل « اعمرت » والصواب ما صححناه

ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض وانساب وتفجرت عليها يتابع
الملاحاة فترددت وتحيرت . وطلعت في سماء وجهها نجوم الحسن فاشرفت وتوقدت
وانبعت في خديها ازاهير الجمال فتمت واعتمت فانت كما اقول .

خريدة صاغها الرحمن من نور جلت ملاحظتها عن كل تقدير

لوجاءني عملي في حسن صورتها يوم الحساب ويوم التفخ في الصور

لكنني أحظى عباد الله كلهم بالجنيتين وقرب الحرد الحور

وكانت من اهل بيت صباحة وقد ظهرت منها صورة تعجز الوصاف ، وقد
طبق وصف شبابها قرطبة فبت عندها ثلاث ليال متوالية ولم تحجب عني على
جاري العادة في التربية فلعمري لقد كاد قلبي ان يصبو ويثوب اليه مرفوض
الهوى ويعاوده منسي الغزل ولقد امتعت بعد ذلك من دخول تلك الدار خوفاً
على لبي ان يزدهيه الاستحسان . ولقد كانت هي وجميع اهلها بمن لا تعدى
الاطاع اليهن ولكن الشيطان غير مأمون الغوائل وفي ذلك اقول :

لا تتبع النفس الهوى ودع التعرض للمحن

ابليس حي لم يمت والعين باب للفتن

واقول :

وقائل لي هذا ظن يريدك غيا

فقلت دع عنك لومي أليس ابليس حيا

وما اورد الله تعالى علينا من قصة يوسف بن يعقوب وداود بن ايشي رسل
الله عليهم السلام الا ليعلمنا نقصاننا وفاقتنا الى عصمته وان بنيتنا مدخولة ضعيفة
فاذا كانا صلى الله عليهما وهما نبيان رسولان ابناء انبياء رسل ومن اهل بيت
نبوة ورسالة متكررين في الحفظ مغموسين في الولاية محفوفين بالكلاءة مؤيدين
بالعصمة لا يجعل للشيطان عليهما سبيل ولا فتح لوسواسه نحوهما طريق وبلغا
حيث نص الله عز وجل علينا في قرآنه المنزل بالجللة الموكلة والطبيع البشري

والحلقه الاصلية لا تعتمد الخطيئة ولا القصد اليها اذ النبيون مبرؤون من كل ما خالف طاعة الله عز وجل لكنه استحسان طبعي في النفس للصور فمن ذا الذي يصف نفسه بملكها ويتعاطى ضبطها الا بحول الله وقوته . واول دم سفك في الارض قدم احد ابني آدم على سبب المنافسة في النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ باعدوا بين انفس الرجال والنساء ﴾ وهذه امرأة من العرب تقول وقد جبلت من ذي قرابة لها حين سئلت : ما يبطك ياهند فقالت قرب الوساد وطول السواد . وفي ذلك اقول شعراً منه :

لا تلم من عرض النفس لما ليس يرضى غيره عند الحن
لا تقرب عرجاً من هب ومتى قربته قامت دخن
لا تصرف ثقة في احد فسد الناس جميعاً والزمن
خلق النسوان للفحل كما خلق الفحل بلا شك لمن
كل شكل يشبه شككه لانكن عن احد تنفي الظن
صفة الصالح من ان صنته عن قبيح اظهر الطوع الحسن
وسواء من اذا تقفته اعمل الحيلة في خلع الرسن

واني لاعلم فتى من اهل الصيانة قد اولع بهوى له فاجتاز بعض اخوانه فوجده قاعداً مع من كان يحب فاستجلبه الى منزله فاجابه الى منزله . بامتنال المسير بعده مضى داعيه الى منزله وانتظره حتى طال عليه التربص فلم يأتها فلما كان بعد ذلك اجتمع به داعيه فعدد عليه واطال لومه على اخلافه موعدة فاعتذر وورى فقالت انا للذي دعاه انا اكشف عذره صحيحاً من كتاب الله عز وجل اذ يقول ﴿ ما اخلقنا موعداً بملكنا ولكننا حملنا اوزاراً من زينة القوم ﴾ . فضحك من حضر وكلفت ان اقول في ذلك شيئاً فقلت :

وجرحك لي جرح جبار فلانم ولكن جرح الحب غير جبار
وقد سارت الحيلان وسط بياضه كنيلوفر حفته روض بهار

وكم قال لي من مت وجداً بحبه مقالة محلول المقالة زاري
وقد كثرت مني اليه مطالب ألح عليه تارة وأداري
أما في التوائي ما يرد غلة ويذهب شوقاً في ضلوعك ساري
فقلت له لو كان ذلك لم تكن عداوة جار في الانام لجار
وقد تراءى العسكران لدى الوعى وبينهما للموت سبل يوار
ولي كتمان قلتها معرضاً بل مصرحاً من اصحابنا كنا نعرفه كتمان
اهل الطلب والعتاة والورع وقيام الليل واقضاء آثار النساك وسلوك مذاهب
المتصوفين القدماء باحثاً مجتهداً ولقد كنا تتجنب المزاج بحضرته فلم يمض الزمن
حتى مكن الشيطان من نفسه وفكك بعد لباس النساك ومكك ابليس من خطامه
فسول له الغرور وزين له الويل والثبور وأجره رسته بعد اياه واعطاه ناصيته
بعد شماس فخب في طاعته واوضع واشهر بعد ما ذكرته في بعض المعاصي القبيحة
الوضرة ولقد اطلت ملامه وتشددت في عذله اذ اعلن بالنعصية بعد استنار الى
ان افسد ذلك ضميره علي وخبت نيته لي وتربص في الدوائر السوء وكان بعض
اصحابنا يساعده بالكلام استجراراً اليه فيأنس به ويظهر له عداوتي الى ان
اظهر الله سريره فعملها البادي والحاضر وسقط من عيون الناس كلهم بعد ان
كان مقصداً للعلماء ومتاباً للفضلاء ورذل عند اخوانه جملة اعاذنا الله من البلاء
وسترنا في كفايته ولاسلبنا ما بنا من نعمته فيآسؤناه لمن بدأ بالاستغفار ولم يعلم
ان الخذلان يحل به وان العصمة ستفارقه لا اله الا الله ما اشنع هذا واقطعه
لقد دهمته احدي بنات الحرس والقت عصاها به ام طبق من كان لله اولاً ثم
صار للشيطان آخراً ومن احدي الكلمتين :

اما الغلام فقد حانت فضيحه وانه كان مستوراً فقد هت
ما زال يضحك من اهل الهوى عجباً فالآن كل جهول منه قد ضحكا
اليك لانتلح صباً هاتماً كلفاً رى التهلك في دين الهوى نسا

ذو مخبر وكتاب لا يفارقه نحو المحدث يسعى حيث ماسا سكا
 فاعتاض من سمر اقلام بنان فتي كأنه من لجين صيغ او سبكا
 يالأمي سفها في ذاك قل فلم تشهد جبينين يوم الملتقى اشتبكا
 دعني ووردي في الآبار اطلبه اليك عني كذا لا ابتغي البركا
 اذا تمفقت عف الحب عنك وان توكت يوماً فان الحر قد تركا
 ولا تحل من الهجران منعقداً الا اذا ما حلت الازر والتسككا
 ولا تصحح للسلطان مملكة او تدخل البرد عن انفاذ السككا
 ولا بغير كثير المسح يذهب ما يعلو الحديد من الاصداء ان سبكا

وكان هذا المذكور من اصحابنا قد احكم القرآت احكاماً جيداً واختصر
 كتاب الانباري في الوقت والابتداء اختصاراً حسناً اعجب به من رآه من
 المقرئين وكان دأباً على طلب الحديث وتقيد به (واكثر ذهنه) هو المتولى لقرآءة
 ما يسمعه على الشيوخ المحدثين مثابراً على النسخ مجتهداً به فلما امتحن بهذه
 البلية مع بعض الغلمان رفض ما كان معتقياً به وباع اكثر كتبه واستحال
 استحالة كلية نعوذ بالله من الخذلان وقلت فيه كلمة وهي التالية للكلمة التي
 ذكرت منها في اول خبره ثم تركتها وقد ذكر ابو الحسين احمد بن يحيى ابن
 اسحق الرويدي في كتاب اللفظ والاصلاح ان ابراهيم بن سيار النظام رأس
 المعتزلة مع علو طبقة في الكلام وتمكنه وتحكمه في المعرفة تسبب الى ما حرم
 الله عليه من فتي نصراني عشقه بان وضع له كتاباً في تفضيل التثليث على
 التوحيد فياغوثاه عيادك يارب من تولى الشيطان ووقع الخذلان وقد يعظم البلاء
 وتكلب الشهوة ويهون القبيح ويرق الدين حتى يرضى الانسان في جنب وصوله
 الى مراده بالقبايح والفضائح كمثل مادهم عبيد الله بن يحيى الازدي المعروف
 بان الجزيري فانه رضي بهمال داره واباحة حريمه والتعريض بأهله طمعاً في الحصول
 على بغيته من فتي كان علقه نعوذ بالله من الضلال ونسأله الحيطة وتحسين آثارنا

واطابة اخبارنا حتى لقد صار المسكين حديثاً تعمر به المحافل وتصاغ فيه الاشعار وهو الذي تسميه العرب الديوث (وهو مشتق من التدبث وهو التسهيل وما بعد تسهيل من تسمح نفسه بهذا الشأن تسهيل ومنه بعير مدبث اي مذلل) ولعمري ان الغيرة لتوجد في الحيوان بالخلقة فكيف وقد أؤكدتها عندنا الشريعة وما بعد هذا مصاب . ولقد كنت اعرف هذا المذكور مستوراً الى ان استهواه الشيطان ونعوذ بالله من الخذلان . وفيه يقول عيسى بن محمد ابن يحمل الحولاني :

ياجاعلاً اخراج حر نسائه شركاً لصيد جآذر الغزلان
اني أرى شركاً يمزق ثم لا تحظى بغير مذلة الحرمان
واقول انا ايضاً :

أباح ابو مروان حر نسائه لباغ مايهوى من الرشاء الفرد
فماتته الديوث في قبج فعله فأشدني انشاد مستبصر جلد
لقد كنت ادركت المني غير أنني يعيرني قومي بادراكها وحدي
واقول ايضاً :

رأيت الجزيري فيما يعاني قليل الرشاد كثير السفاه
يبيع ويبتاع عرضاً بعرض أمور وجدك ذات اشتباه
ويأخذ ميماً باعطاء هاء الا هكذا فليكن ذواتواهي
ويبدل ارضاً تغذي النبات بأرض تحف بشوك الغضاه
لقدخاب في تجره ذو ابتناع مهب الرياح بمجرى المياه

ولقد سمعته في المسجد الجامع يستعذ بالله من العصمة كما يستعاذ به من الخذلان وما يشبه هذا اني اذكر اني كنت في مجلس فيه اخوان لنا عند بعض مياسير اهل بلدنا فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان بالحضرة ايضاً من اهل صاحب المجلس امرأ انكرته وغمزاً استبشعته وخلوات الحين بعد الحين

وصاحب المجلس كالغائب او النائم فنبهته بالتعريض فلم ينتبه وحركته بالتصريح فلم يتحرك فجعلت اكرر عليه بيتين قديمين لعله يظن وهما هذان :
ان اخوانه المقيمين بالأمم س اتوا للزناء لللغناء
قطعوا امرهم وانت حمار موقر من بلادة وعياء
واكثر من انشادهن حتى قال لي صاحب المجلس قد امللتنا من سماعها
فتفضل بتركها او انشاد غيرها فامسكت وانا لا ادري أعافل هو ام متعافل وما
اذكر اني عدت الى ذلك المجلس بعدها وقلت فيه قطعة منها :

انت لاشك احسن الناس ظناً وبقيناً ونية وضميراً
فانتبه ان بعض من كان بالأمم س جلساً لنا يعاني كبيراً
ليس كل الركوع فاعلم صلاة لا ولا كل ذي لحاظ بصيراً

وحدثني ثعلب بن موسى الكلاباذي قال حدثني سليمان بن احمد الشاعر
قال حدثني امرأة اسمها هند كنت رأيتها في المشرق وكانت قد حجت خمس
هجات وهي من المتعبدات المجتهدات قال سليمان فقالت لي يا ابن اخي لاتحسن
الظن بالمرأة قط فاني اخبرك عن نفسي بما يعلمه الله عز وجل . ركبنا البحر
منصرفاً من الحج وقد رفضت الدنيا وانا خامسة خمس نسوة كلهن قد حججن
وصرنا في مركب في بحر القلزم (١) وان للشعراء من لطف التعريض عن الكناية
لعجباً ومن بعض ذلك قولي حيث اقول :

أتاني وماء المزن في الجويسفك كمحض الجين اذ يمد ويسبك
هلال الدياحي انحط من جو افقه فقل في محب نال ما ليس يدرك
وكان الذي ان كنت لي عنه ساءلاً فالي جواب غير اني أضحك
لفرط سروري خلتي عنه نائماً فيا عجيباً من موقن يتشكك

(١) ثم ذكرت قصة تحمل على اساءة الظن بالمرأة

واقول ايضاً قطعة منها :

أتيتي وهلال الجو مطلع قيل قرع النصارى للنواقيس
كحاجب الشيخ عم الشيب اكتره وأخص الرجل في لطف وتقويس
ولاح في الافق قوس الله مكتسباً من كل لون كأذناب الطواويس

وان فيما يبدو اليانمان تعادي المتواصلين في غير ذات الله تعالى بعد الالفه وتداربهم
بعد الوصال وتقاطعهم بعد المودة وتباغضهم بعد المحبة واستحكام الضغائن وتأكد
السحائم في صدورهم لكشفاً ناهياً لو صادف عقولا سليمة وآراء نافذة وعزائم
صحيحة فكيف بما اعد الله لمن عصاه من النكال الشديد يوم الحساب وفي دار الجزاء
ومن الكشف على رؤوس الخلائق (يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل
ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)
جعلنا الله ممن يفوز برضاه ويستحق رحمته ولقد رأيت امرأة كانت مودتها في
غير ذات الله عز وجل فمهدتها اصفى من الماء وألطف من الهواء واثبت من
الجبال وا أقوى من الحديد واشد امتزاجاً من اللون في اللون وانفذ استحكاماً
من الاعراض في الاجسام واضواً من الشمس واصح من العيان واثقب من
النجم واصدق من كدر القطا واعجب من الدهر واحسن من البر واجل من
وجه ابى عامر والذ من العافية واحلى من المنى وادنى من النفس واقرب من
القسب وارسخ من النقش في الحجر ثم لم البت ان رأيت تلك المودة قد
استحالت عداوة افطع من الموت وانفذ من السهم وامر من السقم واوحش من
زوال النعم واقبح من حلول الفقم وامضى من عقم الرياح واضر من الحمق
وادهى من غلبة العدو واشد من الاسر واقسى من الصخر وابغض من كشف
الاستار وانأى من الجوزاء واصعب من معاناة الساء واكبر من رؤية المصاب
واشنع من خرق العادات واقطع من فجأة البلاء وابشع من السم الزعاف وما
لا يتولد مثله عن الدخول والتراث وقتل الآباء وسبي الامهات وتلك عادة الله

في اهل النسق القاصدين سواء الآمين غيره وذلك قوله عز وجل ﴿ يا ليتني لم اتخذ
فلاناً خليلاً لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني ﴾ فيجب على اللبيب الاستجادة
بالله مما يورط فيه الهوى فهذا خلف مولى يوسف بن ققام القائد المشهور كان
احد القاتنين مع هشام بن سليمان بن الناصر فلما اسر هشام وقتل وهرب الذين
وازرروه فر خلف في جلتهم ونجا فلما اتى التسطلات لم يطق الصبر عن جارية
كانت له بقرطبة فسكر راجعاً فظفر به امير المؤمنين المهدي فامر بصلبه فلعهدي
به مصلوباً في المرج على النهر الاعظم وكأنه القنفذ من النيل ولقد اخبرني ابو
بكر محمد بن الوزير عبد الرحمن بن الليث رحمه الله ان سبب هروبه الى محلة
البرابر ايام تحولهم مع سليمان الظافر انما كان لجارية يكلف بها تصيرت عند
بعض من كان في تلك الناحية ولقد كاد ان يلف في تلك السقرة وهذا
الفصلان وان لم يكونا من جنس الباب فانهما شاهدان على مايقود اليه الهوى
من الهلاك الحاضر الظاهر الذي يستوي في فهمه العالم والجاهل فكيف من
العصمة التي لايفهمها من ضمفت بصيرته ولايقولن امره خلوت فهو وان انفرد
فيمرأى ومسمع من علام الغيوب ﴿ الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ﴾
﴿ ويعلم السر وأخفى ﴾ ﴿ وما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو
سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم ايما كانوا وهو عليهم بذات
الصدور ﴾ وهو عالم الغيب والشهادة ﴿ ويستخفون من الناس ولايستخفون من الله
وهو معهم ﴾ وقال ﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد ﴾ وليعلم المستخف بالعاصي المتكل على التسويف المعرض
عن طاعة ربه ان ابليس كان في الجنة مع الملائكة المقربين فلمصية واحدة
وقعت منه استحق لعة الابد وعذاب الخلد وصير شيطاناً رجياً وابعد عن رفيع
المكان وهذا آدم صلى الله عليه وسلم بذنب واحد اخرج من الجنة الى شقاء

الدنيا ونكدها ولولا انه تلقى من ربه كلمات وتاب عليه لكان من الهالكين
افترى هذا المغتر بالله ربه وبأملائه ليزداد إثمًا يظن انه اكرم على خالقه من ابيه
آدم الذي خلقه بيده وفتح فيه من روجه واسجد لهم ملائكته الذين هم افضل
خلقه عنده او عقابه اعز عليه من عقوبته اياه ، كلا ولكن استعذاب التمني
واستيطاء مركب العجز وسخف الرأي قائدة اسحابها الى الوبال والحزني ولو
لم يكن عند ركوب المصيبة زاجر من نهى الله تعالى ولاحام من غليظ عقابه
لكان في قبسح الاحدوثه عن صاحبه وعظيم الظلم الواقع في نفس فاعله اعظم
مانع واشد رادع لمن نظر بعين الحقيقة واتبع سبيل الرشيد فكيف والله عز
وجل يقول ﴿ ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل
ذلك يلق اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً ﴾ حدثنا الهمداني
في مسجد القمري بالجانب الغربي من قرطبة سنة احدى واربعمئة حدثنا ابن سبويه
وابو اسحق البلخي بخراسان سنة خمس وسبعين وثلاثمئة قالانا محمد ابن
يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن الاعمش عن ابي
وائل عن عمرو بن شرحبيل قال قال عبد الله وهو ابن مسعود قال رجل
يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ﴿ ان تدعو الله تدأ وهو خلقك قال
ثم اي قال ان تقتل ولدك ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليمة
جارك ﴾ فانزل الله تصديقها ﴿ والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ﴾ الآية . وقال عز وجل ﴿ الزانية والزاني
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم
تؤمنون بالله ﴾ الآية . حدثنا الهمداني عن ابي اسحق البلخي وابن سبويه عن
محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب
الزهري عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وسعيد بن المسيب
الحزوميين وابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) وبالسند المذكور الى محمد ابن اسماعيل عن يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابي سلمة وسعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فقال : ((يا رسول الله اني زنيت فاعرض عنه ثم رد عليه اربع مرات فلما شهد على نفسه اربع شهادات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبلك جنون قال لا قال فهل احصنت قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذهبوا به فارجموه)) قال ابن شهاب فاخبرني من سمع جابر بن عبد الله قال كنت فيمن رجمه فرجناه بالمصلى فلما اذلقته الحجارة هرب فادركناه بالحرة فرجناه حدثنا ابو سعيد مولى الحاجب جعفر في المسجد الجامع بقرطبة عن ابي بكر المقرئ عن ابي جعفر النحاس عن سعيد بن بشر عن عروة ابن رافع عن منصور عن الحسن بن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبيدة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ((خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد وتغريب سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)) فبما اشعته ذنب انزل الله وحيه ميماً بالتشهير بصاحبه والعنف بفاعله والتشديد لمقترفه وتشدد في ان لا يرمي الا بمخضرة اوليائه عقوبة رجمه وقد اجمع المسلمون اجماعاً لا ينقضه الا ما وجد أن الزاني المحصن عليه الرجم حتى يموت فياها قتلة ما اهلها وعقوبة ما افطعها واشدعذابها وابعدها من الاراحة وسرعة الموت وطوائف من اهل العلم منهم الحسن بن ابي الحسن وابن راهويه وداود واحكامه يرون عليه مع الرجم جلد مائة ويحتجون عليه بنص القرآن وثبات السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبفعل علي رضي الله عنه بانه رجم امرأة محصنة في الزنا بعد ان جلدتها مائة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله والقول بذلك لازم لاصحاب الشافعي لان زيادة العدل في الحديث مقبولة وقد صح في اجماع الامة المتقول بالسكافة الذي يصحبه العمل عند كل فرقة وفي اهل

كل نحلة من نحل اهل القبلة حاشى طائفة يسيرة من الحوارج لا يتدبهم انه لا يحل دم امرئ مسلم الا بكفر بعد ايمان او نفس بنفس او بمحاربة لله ورسوله يشهر فيها سيفه ويسعى في الارض فساداً مقبلاً غير مدبر وبالزنا بعد الاحسان فان حد ما جعل الله مع الكفر بالله عز وجل ومحاربه وقطع حجته في الارض ومناذته دينه لجرم كبير ومعصية شنعاء والله تعالى يقول ﴿ ان تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ . (والذين يجتنبون كبار الاثم والقوا حش الا اللهم ان ربنا واسع المغفرة) وان كان اهل العلم اختلفوا في تسميتها فكلهم يجمع مهماً اختلفوا فيه منها ان الزنا يقدم فيها لا اختلاف بينهم في ذلك ولم يوعده الله عز وجل في كتابه بالنار بعد الشرك الا في سبع ذنوب وهي الكبار الزنا احدها وقذف المحصنات ايضاً منها منصوصاً ذلك كله في كتاب الله عز وجل وقد ذكرنا انه لا يجب القتل على احد من ولد آدم الا في الذنوب الاربعة التي قد تقدم ذكرها فاما الكفر منها فان عاد صاحبه الى الاسلام او بالذمة ان لم يكن مرتداً قبل منه ودري عنه الموت واما القتل فان قبل الولي الدية في قول بعض الفقهاء او عفا في قول جميعهم سقط عن القتال القتل بالقصاص واما الفساد في الارض فان تاب صاحبه قبل ان يقدر عليه هدر عنه القتل ولا سبيل في قول احد موألف او مخالف في ترك رجم المحصن ولا وجه لرفع الموت عنه البتة ومما يدل على شناعة الزنا ما حدثنا القاضي ابو عبد الرحمن ثنا القاضي ابو عيسى عن عبد الله بن يحيى عن ابيه يحيى بن يحيى عن الليث عن الزهري عن القاسم بن محمد بن ابي بكر عن عبيد بن عمير ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصاب في زمانه ناساً من هذيل فخرجت جارية منهم فاتبعها رجل يريد بها عن نفسها فرمته بحجر فقتضت كبده فقتل عمرو : هذا قبل الله والله لا يؤدى ابداً .

وما جعل الله عز وجل فيه اربعة شهود وفي كل حكم شاهدين الا حياطة

منه الاتساع الفاحشة في عباده لعظمها وشنتها وقبحها وكيف لا تكون شنيعة
ومن قذف بها اخاه المسلم او اخته المسلمة دون صحة علم او يقين معرفة فقد
اتى كبيرة من الكبائر استحق عليها النار غداً ووجب عليه بنص التنزيل ان
تضرب بشرته ثمانين صوتاً ومالك رضي الله عنه يرى ان لا يؤخذ في شيء
من الاشياء حد بالتمريض دون التصريح الا في قذف وبالسند المذكور عن
الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عبد الرحمن عن امه عمرة
بنت عبد الرحمن عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه امر ان يجلد الرجل
قال لآخر ما اني بزان ولا امني بزانية في حديث طويل واجماع من الامة كلها
دون خلاف من احد نعلمه انه اذا قال رجل لآخر يا كافر او يا قاتل النفس التي
حرم الله لما وجب عليه حد احتياطاً من الله عز وجل الا ثبت هذه العظيمة
في مسلم ولا مسلمة ومن قول مالك رحمه الله ايضاً انه لاحد في الاسلام الا
والقتل يعني عنه وينسخه الاحد القذف فانه ان وجب على من قد وجب عليه
القتل حد ثم قتل قال الله تعالى ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً واولئك هم الفاسقون
الا الذين تابوا ﴾ الآية . وقال تعالى ﴿ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات
لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال : القضب واللعة المذكوران في اللعان انهما موجبتان
حدثنا الهمداني عن ابي اسحق عن محمد بن محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل
عن عبيد العزيز بن عبد الله قال ثنا سليمان بن ثور بن يزيد عن ابي القيث عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ﴿ اجتنبوا السبع الموبقات
قالوا وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله
الا بالحق واكل الربى واكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
الغافلات المؤمنات ﴾

وان في الزنا من اباحة الحريم وافساد النسل والتفريق بين الازواج الذي عظم الله امره مالا يهون على ذي عقل او من له اقل خلاق ولولا مكان هذا العنصر من الانسان وانه غير مأمون الغلبة لما خفف الله عن البكرين وشدد على المحصنين . وهذا عندنا وفي جميع الشرائع القديمة النازلة من عند الله عز وجل حكماً باقياً لم ينسخ ولا ازيل فيترك الناظر لعباده الذي لم يشغله عظيم ما في خلقه ولا يحيف قدرته كبير ما في عوالمه عن النظر لحقير ما فيها فهو كما قال عز وجل ﴿ الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ وقال ﴿ يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾ ﴿ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ﴾

وان اعظم ما يأتي به العبد هتك ستر الله عز وجل في عباده وقد جاء في حكم ابي بكر الصديق رضي الله عنه في ضربه الرجل الذي ضم صبياً حتى امسى ضرباً كان سبباً للمنية ومن اعجاب مالمك رحمه الله باجتهاد الامير الذي ضرب صبياً مكن رجلاً من تقييله حتى امسى الرجل ضربه الى ان مات ما ينسى شدة دواعي هذا الشأن واسبابه . والتزيد في الاجتهاد وان كنا لانراه فهو قول كثير من العلماء يتبعه على ذلك عالم من الناس واما الذي نذهب اليه فالذي حدثناه الهمداني عن البلخي عن البخاري عن الفريري عن البخاري قال ثنا يحيى بن سليمان ثنا ابن وهب قال اخبرني عمرو ان بكيراً حدثه عن سليمان بن يسار عن عبد الرحمن بن جابر عن ابيه عن ابي بردة الانصاري قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ لا يجحد فوق عشرة اسواط الا في حد من حدود الله عز وجل ﴾ وبه يقول ابو جعفر محمد بن علي النسائي اشافني رحمه الله .

واما قبل قوم لوط فشنيع بشيع قال الله تعالى : ﴿ انأتون الفاحشة ماسبقكم بها من احد من العالمين ﴾ وقد قذف الله فاعليه بحجارة من طين مسومة .

ومالك رحمه الله يرى على الفاعل والمفعول به الرجم احصنا اولم يحصنا واحتج بعض المالكين في ذلك بان الله عز وجل يقول في رجه فاعليه بالحجارة : ﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ فوجب بهذا انه من ظلم الآن بمثل فعلهم قربت منه . والخلاف في هذه المسألة ليس هذا موضعه وقد ذكر ابو اسحق ابراهيم بن السري ان ابا بكر رضي الله عنه احرق فيه بالنار وذكر ابو عبيدة معمر ابن المثنى اسم المحرق فقال هو شجاع بن ورقاء الاسدي احرقه بالنار ابو بكر الصديق لانه يؤتى في دبره كما تؤتى المرأة (١)

وان عن المعاصي لمذاهب للعقل واسعة فما حرم الله شيئاً الا وقد عوض عباده من الحلال ما هو احسن من المحرم وفضل لاله الا هو . واقول في النهي عن اتباع الهوى على سبيل الوعظ :

اقول لنفسي مامين كحالك وما الناس الا هالك وابن هالك (٢)
 صن النفس عما عابها وارفض الهوى فان الهوى مفتاح باب المهالك
 رأيت الهوى سهل المبادي لذيتها وعقابه مر الطمضك المسالك

(١) قال ابن قيم الجوزية في كتابه (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) صفحة ٣٩٧ طبع المكتبة العربية بدمشق مانصه :
 وحرقت اللوطة بالنار اربعة من الخلفاء ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن الزبير وهشام بن عبد الملك

(٢) قال ابن خلكان :
 رأيت في بعض الكتب ان المأمون كان يقول لو وصفت الدنيا نفسها لما وصفت بمثل قول ابي نواس :

الاكل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
 اذا امتحن الدنيا لييب تكشف له عن عدو في ثياب صديق

فما لذّة الانسان والموت بعدها
فلا تتبع دابةً قليلاً لبائها
وما تركها الا اذا هي امكنت
فما تارك الآمال عجباً جؤاذراً
وما قابل الامر الذي كان راعياً
لا جدي عباد الله بالفوز عنده
ومن عرف الامر الذي هو طالب
ومن عرف الرحمن لم يعض أمره
سبيل النقي والتسلخ خير المسالك
فما فقد التغيص من عاج دونها
وطوبى لأقوام يؤمون نحوها
لقد فقدوا غل النفوس وفضلوا
فعاثوا ككشاؤوا وماتوا كما اشتهروا
عصوا طاعة الاجساد في كل لذة
فولوا اعتداء (١) الجسم ايقنت انهم
فيارب قدمهم وزد في صلاحهم
ويا نفس بجاني لا تملي وشمري
وانت متى دمرت سعيك في الهوى
فقد بين الله الشرعة للورى
ويا نفس جدي في خلاصك وانفذي
فلو اعمل الناس التفكير في الذي

ولو عاش ضعفي عمر نوح بن لامك
فقد اندرتنا بالقضاء المواشك
وكم تارك اضمحاره غير تارك
كنار كهادات الضروع الحواشك
بشهوة مشتاق وعقل مبارك
لدى جنة الفردوس فوق الارائك
رأى سيباً ما في يدي كل مالك
ولو انه يعطى جميع الممالك
وسالكها مستبصر خير سالك
ولا طاب عيش لامرئ غير ماسك
بخفة ارواح ولين عرائك
بمزل سلاطين وامن صعاك
وقازوا بدار الخلد رجب المبارك
بنور محل ظلمة الغي هاتك
يعيشون عيشاً مثل عيش الملائك
وصل عليهم حيث حلوا وبارك
لنيل سرور الدهر فيما هنالك
علمت بان الحق ليس كذلك
باين من زهر النجوم الشوايك
نفاذ السبوف المرهقات البواتك
له خلقوا ما كان حي بضاحك

(١) كذا في الاصل ولعل الصواب اعتداء

﴿ باب فضل التقف ﴾

ومن افضل ما يأتى الانسان في حبه التقف وترك ركوب المعصية والمفاحشة وان لا يرغب عن مجازاة خالقه له بالنعيم في دار المقامة وان لا يعصي مولاه المتنازل عليه الذي جعله مكاناً وأهلاً لامره ونهيه وارسل اليه رسله وجعل كلامه ثابتاً لديه عناية منه بنا واحساناً اليها وان من هام قلبه وشغل باله واشتد شوقه وعظم وجده ثم ظفر فرام هواه ان يغلب عقله وشهوته وان يتهر دينة ثم اقام العدل لنفسه حصناً وعلم انها النفس الامارة بالسوء وذكرها بعقاب الله تعالى وفكر في اجترائه على خالقه وهو يراه وحذرهما من يوم المعاد والوقوف بين يدي الملك العزيز الشديد العقاب الرحمن الرحيم الذي لا يحتاج الى بينة ، ونظر بعين ضميره الى انفراده عن كل مدافع بحضرة علام الغيوب ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ﴾ ﴿ يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات ﴾ ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خفيٍّ يحضر وما عملت من سؤٍ تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ﴾ ﴿ يوم غنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ ﴿ يوم وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احداً ﴾ يوم الطامة الكبرى ، ﴿ يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ﴾ واليوم الذي قال الله تعالى فيه ﴿ وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ﴾ عندها يقول العاصي ﴿ يا وياتي ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ﴾ فكيف بمن طوى قلبه على آخر من جمر الفضا وطوى كشحه على احد من السيف وتجرع غصصاً امر من الحنظل وصرف نفسه كرهاً عما

حطمت فيه وتيقنت ببلوغه وتهاأت له ولم يحل دونها حائل لحري ان يسر
غداً يوم البعث ويكون من المقربين في دار الجزاء وعالم الخلود وان
يأمن روغات القيامة وهول المطلع وان يعوضه الله عن هذه القرحة الأيمن
يوم الحشر

حدثني ابو موسى هارون بن موسى الطيب قال رأيت شاباً حسن الوجه
من اهل قرطبة قد تعبد ورفض الدنيا وكان له اخ في الله قد سقطت بينهما
مؤونة التحفظ فزاره ذات ليلة وعزم على المبيت عنده فعرضت لصاحب المنزل
حاجة الى بعض معارفه بالبعد عن منزله فنهض لها على ان ينصرف مسرعاً
ونزل الشاب في داره مع امرأته وكانت غاية في الحسن وترباً للضيف في
الصبي فاطال رب المنزل المقام الى ان مشى العسس ولم يمكنه الانصراف الى
منزله فلما علمت المرأة بغوات الوقت وان زوجها لا يمكنه المجيء تلك الليلة
ناقت نفسها الى ذلك الفتى فبرزت اليه ودعته الى نفسها ولائالك لها الا الله عز
وجل فهم بها ثم تاب اليه عقله وفكر في الله عز وجل فوضع اصبعه على
السراج ففقق ثم قال يا نفس ذوقي هذا واين هذا من نار جهنم فقال المرأة ما
رأت ثم عاودته فعاودته الشهوة المركبة في الانسان فعاد الى القعدة الاولى
فانبذج الصباح وسبابته قد اصطلمتها النار . أفقتن بلغ هذا من نفسه هذا المبلغ
الا لفرط شهوة قد كلبت عليه اوترى ان الله تعالى يضع له المقام كلا انه
لا اكرم من ذلك واعلم

ولقد حدثني امرأة اثق بها انها علقها في مثلها في الحسن وعلقته وشاع
القول عليهما فاجتمعا يوماً خالين فقال هلمي نحقق ما يقال فينا فقالت لا والله
لا كان هذا ابدأ وانا اقرأ قول الله ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين﴾ قالت فما مضى قليل حتى اجتمعا في حلال
ولقد حدثني ثقة من اخواني انه خلا يوماً بجارية كانت له معارك في الصبي

فتعرضت لبعض تلك المعاني فقال لها كلا ان من شكر نعمة الله فيها منحى من
وصالك الذي كان اقصى آمالي ان اجتنب هواي لامره . ولعمري ان هذا
لغريب فيما خلا من الازمان فكيف في مثل هذا الزمان الذي قد ذهب خيره
وأتى شره وما اقدر في هذه الاخبار — وهي صحيحة — الا احد وجهين لاشك
فيهما : إما طبع قد مال الى غير هذا الشأن واستحكمت معرفته بفضل سواء
عليه فهو لا يحجب دواعي الغزل في كلمة ولا كلمتين ولا في يوم ولا يومين ولوطال
على هؤلاء المتحنيين ما امتحنوا به لجادت طباعهم واجابوا هاتف الفتنة ولكن
الله عصمهم بانقطاع السبب المحرك نظراً لهم وعلماً بما في ضمائرهم من الاستعاذة
به من انقباض واستدعاء الرشد لا اله الا هو ، واما بصيرة حضرت في ذلك
الوقت وخاطر تجرد انقمعت به طوابع الشهوة في ذلك الحين لخير اراد الله عز
وجل لصاحبه جعلنا الله ممن يخافه ويرجوه آمين

وحدثني ابو عبد الله محمد بن عمرو بن مضاء عن رجال من بني مروان
ثقات يسندون الحديث الى ابي العباس الوليد بن غانم انه ذكر ان الامام عبد
الرحمن بن الحكم غاب في بعض غزواته شهوراً وثقف القصر بابه محمد الذي
ولى الخلافة بعده ورتبه في السطح وجعل مبيته ليلاً وقعوده نهائراً فيه ولم يأذن
له في الخروج البتة ورتب معه في كل ليلة وزيراً من الوزراء وفتى من اكابر
الفتيان يبيتان معه في السطح . قال ابو العباس فاقام على ذلك مدة طويلة
وبعد عهده باهله وهو في سن العشرين او نحوها الى ان وافق مبيتي في ليلتي
توبة فتى من اكابر الفتيان وكان صغيراً في سنه وغاية في حسن وجهه قال
ابو العباس فقلت في نفسي اني اخشى الليلة على محمد بن عبد الرحمن الهلاك
بمواقفه المعصية وتزيين ابليس واتباعه له قال ثم اخذت مضجعي في السطح
الخارج ومحمد في السطح الداخل المطل على حرم امير المؤمنين والفتى في الطرف
الثاني القريب من المطلاع فظلت ارقبه ولا اغفل وهو يظن اني قد نمت ولا يشعر

باطلاعي عليه قال فلما مضى هزيع من الليل رأيته قد قام واستوى قاعداً ساعة لطيفة ثم تعوذ من الشيطان ورجع الى منامه ثم قام بعد حين ولبس قميصه واستوفز ثم نزع عن نفسه وعاد الى منامه ثم قام الثالثة ولبس قميصه ودلى رجله من السرير وبقي كذلك ساعة ثم نادى العتي باسمه فاجابه فقال له انزل عن السطح وابق في الفصيل الذي تحته فقام الفتى مؤثراً له فلما نزل قام محمد واغلق الباب من داخله وعاد الى سريره قال ابو العباس فعلت من ذلك الوقت ان الله فيه مراد خير

حدثنا احمد بن محمد بن الجصور عن احمد بن مطرف عن عبيد الله ابن يحيى عن ابيه عن ملك عن جيب بن عبد الرحمن الانصاري عن حفص ابن عاصم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (سبعة بظاهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله : امام عادل . وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه . ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا . ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه . ورجل دنته امرأة ذات حسب وجمال فقال اني اخاف الله . ورجل تصدق صدقة فاخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) واني اذكر اني دعيت الى مجلس فيه بعض من تستحسن الابصار صورته وتأنف القلوب اخلاقه للحديث والمجالسة دون منكر ولا مكروه فسارعت اليه وكان هذا سحراً فبعد ان صليت الصبح واخذت زني طرقتني فذكرت لي آيات ومعني رجل من اخواني فقال لي ما هذا الاطراق فلم اجد له حتى اكلتها ثم كتبتها ودفعتها اليه وامسكت عن السير حيث كنت نويت ومن الآيات :

أرأيت حسن غيبه لك تأريق	وتبريد وصل سره فيك تحريق
وقرب مزار يقتضي لك فرقة	وشيكاً ولولا القرب لم يك تقريق
ولذة صمم معقب لك علقماً	وصاباً وفسح في تضاعفه ضيق

ولو لم يكن جزاء ولا عقاب ولا ثواب لوجب علينا افناء الاعداد واتعاب
الابدان واجهاد الطاقة واستنفاد الوسع واستفراغ القوة في شكر الخالق الذي
ابتدأنا بالنعم قبل استئهاها وامتن علينا بالعقل الذي به عرفناه ووهبنا الحواس
والعلم والمعرفة ودقائق الصناعات وصرف لنا السموات جارية بمنافعها ودبرنا التدبير
الذي لو ملكنا خلقنا لم نهتد اليه ولا نظرنا لانفسنا نظره لنا وفضلنا على اكثر
المخلوقات وجعلنا مستودع كلامه ومستقر دينه وخلق لنا الجنة دون ان نستحقها
ثم لم يرض لعباده ان يدخلوها الا باعمالهم لتكون واجبة لهم قال الله تعالى :
(جزاء بما كانوا يعملون) ورشدنا الى سبيلها وبصرنا وجه ظلها وجعل غاية
احسانه اليها وامتنانه علينا حقاً من حقوقنا قبله وديناً لازماً له وشكرنا على ما
اعطانا من الطاعة التي رزقنا قواها واثابنا بفضلها على تفضله هذا كرم لاتهدي
اليه العقول ولا يمكن ان تكيفه الاسباب ومن عرف ربه ومقدار رضاه وسخطه
هانت عنده اللذات الذاهبة والحطام الفاني فكيف وقد اتى من وعيده ما تقشعر
لسماعه الاجساد وتذوب له النفوس واورد علينا من عذابه ما لم ينته اليه امل
فاين المذهب عن طاعة هذا الملك الكريم وما الرغبة في لذة ذاهبة لا تذهب
الندامة عنها ولا تنفي التبعة منها ولا يزول الحزني عن رايها الى كم هذا التهادي
وقد اسمعنا المنادي وكأن قد حدا بنا الحادي الى دار القرار فاما الى جنة واما
الى نار الا ان التبط في هذا المكان هو الضلال المبين وفي ذلك اقول :

اقصر عن لهوه وعن طربه	وعف في حبه وفي عربه
فليس شرب المدام همته	ولا اقتناص الظبي من اربه
قد آن للقلب ان يفيق وان	يزيل ما قد علاه من حجه
الهاه عما عهدت يحجبه	خيفة يوم تبلى السرائر به
يانفس جدي وشمري ودعي	عنك اتباع الهوى على لعبه
وسارعي في النجاة واجتهدي	ساعية في الخلاص من كربه

علي احظي بالفوز فيه وأن
يا ايها اللاعب المجد به ال
كفاك من كل ماوعظت به
دع عنك داراً تفتي غضايتها
لم يضطرب في محلها احد
من عرف الله حق معرفته
ما منقضي الملك مثل خالده
ولا تقي الوري كفاسقهم
فلو أمنا من العقاب ولم
ولم نخف ناره التي خنقت
لكان فرضاً لزوم طاعته
وصحة الزهد في البقاء وان
فقد رأينا فعل الزمان باهـ
كم متعب في الآله مهجته
وطالب باجتهاده زهر ال
ومدرك ما ابتغاه ذي جدل
وباحث جاهد لبغته
بينما ترى المرء سامياً ملكاً
كالزراع للرجل فوقه عمل
كم قاطع نفسه اسي وشجاً
أليس في ذاك زاجر عجب
فكيف والنار للمسيء اذا
وبوم عرض الحساب يفضحه الله وييدي الخفي من ربه

أنجو من ضيقه ومن لهبه
دهر اما تتقي شيا نكبه
ما قد أراك الزمان من عجه
ومكسباً لاعباً بمكسبه
الا نبا حدها بمضطربه
لوى وحل الفؤاد في رهبه
ولا صحيح التقي كؤتسبه
وليس صدق الكلام من كذبه
نخش من الله متقى غضبه
لكل جاني الكلام محتقه
ورد وقد الهوى على عقبه
يلحق تنفيذنا بمرتقه
ليه كفعل الشواظ في خطبه
راحت في الكريه من تعب
دنيا عدها المنون عن طلبه
حل به ما يخاف من سيبه
فانما يحشه على عطبه
صار الى السفلى من ذرى ربه
ان يتم حسن النمو في قصبه
في اثر جد يمجد في هربه
يزيد ذا اللب في حل اديه
عاج عن المستقيم من عقبه
وييدي الخفي من ربه

من قد جاء الاله رحمة
فصار من جهله يصرفها
أليس هذا أحرى العباد غداً
شكراً لرب لطيف قدرته
رازق اهل الزمان اجمعهم
والحمد لله في تفضله
أخدمنا الارض والسماء ومن
فاسمع ودع من عصاه ناحية
واقول ايضاً :

اغارتك دنيا مسترد معارها
وهل يتعنى المحكم الرأي عيشة
وكيف تاذ العين هجمة ساعة
وكيف تقرر النفس في دار نقلة
وأنى لها في الارض خاطر فكرة
أليس لها في السعي للفوز شاغل
فخابت نفوس قادها هـو ساعة
لها سائق حاد حيث مبادر
تراد الامر وهي تطلب غيره
أمسرعة فيما يسو قيامها
تعطل مفروضاً وتعنى بفضلة
الى ما لها منه البلاء سكونها
غضارة عيش سوف يدوي اخضرارها
وقد حان من دهم المتايا مزارها
وقد طال فيما عاينته الاعتبارها
قد استيقنت ان ليس فيها قرارها
ولم تدر بعد الموت اين محارها
اما في توقيها العذاب ازديادها
الى حر نار ليس يطفى أوارها
الى غير ما أضحى اليه مدارها
وتقصد وجهاً في سواه سفارها
وقد أيقنت ان العذاب قصارها
لقد شفيها طغيانها واغترارها
وعما لها منه النجاس نفارها

(١) في الاصل : من نعمه ، والصواب ما صححناه

وتعرض عن رب دعاها لرشدتها
 فيا ايها المغرور بادر برجمة
 ولا تتخير فانياً دون خالد
 أتعلم ان الحق فيما تركته
 وترك بيضاء المناهج ضلة
 تسر بلهو معقب بندامة
 وتقتى الليالي والمسرات كلها
 فهل انت يامغبون مستيقظ فقد
 فعجل الى رضوان ربك واجتنب
 يحد مرور الدهر عنك بالاعب
 فكلمة قد غرها الدهر قبلنا
 تذكر على ما قد مضى واعتبر به
 تحامى ذراها كل باغ وطالب
 توافت بطن الارض وانشت شملها
 وكم راقد في غفلة عن منية
 ومظلمة قد نالها تسلط
 أراك اذا حاولت دنياك ساعياً
 وفي طاعة الرحمن يقعدك الونا
 تحاذر اخواناً ستفنى وتقتضي
 كأنني ارى منك اتبرم ظاهراً
 هناك يقول المرء من لي باعصر
 تنبه ليوم قد اظلك ورده
 تبرأ فيه منك كل مخالط

وتتبع دنيا جد عنها فرارها
 فله دار ليس تحمد نازها
 دليل على محض العقول اختيارها
 وتسلك سبلاً ليس يخفى عوارها
 لهماء يؤذي الرجل فيها عثارها
 اذا ما انقضى لا ينقضي مستأذرها
 وتبقى تباعات الذنوب وتارها
 تين من سر الخطوب استأذرها
 نواهيها اذ قد تجلى مآزها
 وتغرى بدنيا ساء فيك سرارها
 وهاتيك منها مقفرات ديارها
 فان المذكي للعقول اعتبارها
 وكان ضماناً في الاعادي انتصارها
 وعاد الى ذي ملكة استأذرها
 مشمرة في القصد وهو سعارها
 مدل بايد عند ذي العرش ثارها
 على انها باد اليك ارورارها
 وتبدي أناة لا يصح اعتذارها
 وتنسى التي فرض عليك حذارها
 مبيتاً اذا الاقدار حل اضطرارها
 مضت كان ملكاً في يدي خيارها
 عصيب يوافي النفس فيها احتضارها
 وان من الآمل فيه انهارها

فأودعت في ظلماء ضحك مقرها يلوح عليها للعبون اغبرارها
 تنادي فلا تدري المنادي مفرداً وقد حط عن وجه الحياة خمارها
 تنادي الى يوم شديد مفرع وساعة حشر ليس يخفى اشعارها
 اذا حشرت فيه الوحوش وجعت صحائفنا واتال فينا انتشارها
 وزينت الجنات فيه وازلفت واذكي من نار الجحيم استعارها
 وكورت الشمس النيرة بالضحي واسرع من زهر النجوم انكدارها
 لقد جل امر كان منه انتظامها وقد حل امر كان منه انتشارها
 وسيرت الاجبال والارض بدلت وقد عطلت من مالكيها عشارها
 فاما لدار ليس يفنى نعيمها واما لدار لا يفك اسارها
 بحضرة جبار رفيق معاقب فتحصى المعاصي كبرها وصغارها
 ويندم يوم البعث جاني صغارها وتهلك اهلها هناك كبارها
 ستغبط اجساد وتحي نفوسها اذا ما استوى اسرارها وجهارها
 اذا فحهم غفو الاله وفضله واسكنهم داراً حلال عقارها
 سيلحقهم اهل الفسوق اذا استوى بحلبة سبق طرفها وحمارها
 يفر بنو الدنيا بدنيهم التي يظن على اهل الخطوط اقتصارها
 هي الام خير البر فيها عقوبها وليس بغير البذل يحمي ذمارها
 فما نال منها الحظ الا مهينها وما الهلك الا قربها واعتارها
 تهافت فيها طامع بعد طامع وقد بان للب الذكي اختبارها
 تطامن لغمر الحادثات ولا تكن لها ذا اعتبار يجتبيك غمارها
 واياك ان تغتر منها بما ترى فقد صح في العقل الحي عيارها (١)
 رأيت ملوك الارض يغفون عدة ولذة نفس يستطاب اجترارها

(١) في الاصل غيارها والصواب ما صححناه

واخلوا طريق القصد في مبتغاهم
 وان التي ينفون نهج بقية
 هل العز الالهة صح صونها
 وهل راجح الامرؤ متوكل
 ويلقى ولاة الملك خوفاً وفكرة
 عياناً نرى هذا ولكن سكرة
 تدبر من الباني على الارض سققها
 ومن يمسك الاجرام والارض امره
 ومن قدر التدبير فيها بحكمة
 ومن فلق الامواه في صفح وجهها
 ومن صير الالوان في نور نبتها
 فمنهم مخضر يروق بصيصه
 ومن حفر الإنهار دون تكلف
 ومن رتب الشمس المنير ايضاضها
 ومن خلق الافلاك فامتد جريها
 ومن ان ألت بالعقول رزية
 تجمد كل هذا راجع نحو خالق
 أبان لنا الآيات في انبيائه
 فانطق افواهاً بالفاظ حكمة
 وابرز من صم الحجاره ناقة
 ليوقن اقوام وتكفر عصبة
 وشق لموسى البحر دون تكلف
 وسلم من نار الانوق خليله

لتبعه الصفار جم صغارها
 مكين لطلاب الخلاص اختصارها
 اذا صان همت الرجال انكسارها
 فتوع غني النفس باد وقارها
 تضيق بها ذرعاً ويفنى اضطبارها
 أحاطت بنا ما ان يفنى خازها
 وفي علمه معمورها وقفارها
 بلا عمد يبنى عليه قرارها
 فصح لديها ليلها ونهارها
 فمنها يغذى حبها وثمارها
 فأشرق فيها ورددها وبهارها
 ومنهم ما يغشى اللحاظ احمرارها
 فتار من الصم الصلاب انفجارها
 غدوا ويبدو بالعشي اصفرارها
 واحكمها حتى استقام مدارها
 فليس الى حي سواء افتقارها
 له ملكها منقادة وأيتارها
 فأمكن بعد العجز فيها اقتدارها
 وما حلها انتقارها وانتقارها
 واسمهم في الحين منها حوارها
 أتاها باسباب الهلاك قدارها
 وبان من الامواج فيه انحسارها
 فلم يؤذه احراقها واعتقارها

وحجى من الطوفان نوحاً وقدهدت به أمة ابدا فسوق شرارها
وممكن داوداً بايد ، وابنه فتصيرها ماسقى له وبدارها
وذلل جبار البلاد لامره وعلم من طير السماء حوارها (١)
وفضل بالقرآن امة احمد ومكن في اقصى البلاد مغارها
وشق له بدر السماء وخصه بآيات حق لا يخل معارها
وأبقنا من كفر اربابنا به وكان على قطب الهلاك منارها
فما بالنا لاترك الجهل ويحنا لتسلم من نار ترمى شرارها

هنا اعزك الله انتهى ماتذكرته ايجاباً لك وتقمناً لمسرتك ووقوفاً عند امرك
ولم امتنع ان اورد لك في هذه الرسالة اشياء يذكرها الشعراء ويكثرون
القول فيها موفيات على وجوها ومفردات في ابوابها ومنعمات التفسير مثل
الافراط في صفة النحول وتشبيه الدموع بالامطار وانها تروي السفار وعدم النوم
اليلة واقتطاع الغذاء حجة الا انها اشياء لاحقيقة لها وكذب لاوجه له ولكل
شيء حد وقد جعل الله لكل شيء قدراً . والنحول قد يعظم ولو صار حيث
يصفونه لكان في قوام الذرة او دونها ولخرج عن حد المعقول . والسهر قد
يصل ليالي ولكن لو عدم الغذاء اسبوعين هلك وانما قلنا ان الصبر عن النوم
اقلم من الصبر عن الطعام لان النوم غذاء الروح والطعام غذاء الجسد وان كانا
يشاركان في كليهما ولكننا حكينا على الاغلب ، واما الماء فقد رأيت ان ميسوراً
البناء جارنا بقرطبة يصبر عن الماء اسبوعين في حمارة القيظ ويكتفي بما في غذائه
من رطوبة . وحدثني القاضي ابو عبد الرحمن بن جحاف انه كان يعرف من
كان لايشرب الماء شهراً وانما اقتصر في رسالي على الحقائق المعلومة التي
لايمكن وجود سواها اصلاً وعلى اني قد اوردت من هذه الوجوه المذكورة

اشياء كثيرة يكتفى بها لئلا اخرج عن طريقة اهل الشعر ومنههم وسيرى كثير من اخواننا اخباراً لهم في هذه الرسالة مكنياً فيها من اسمائهم على ما شرطنا في ابتدائها . وانا استغفر الله تعالى مما يكتب الملكان ويحصيه الرقيان من هذا وشبهه استغفار من يعلم ان كلامه من عمله ولكنه ان لم يكن من اللغو الذي لا يؤاخذ به المرء فهو ان شاء الله من اللهم المغفو والافليس من السيئات والفواحش التي يتوقع عليها العذاب وعلى كل حال فليس من الكبار التي ورد النص فيها

وانا اعلم انه سينكر على بعض المتعصين على تأليني لمثل هذا ويقول : انه خالف طريقته وتجاهى عن وجهته وما احل لاحد ان يظن في غير ما قصده قلنا الله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ﴾ وحدثني احمد بن محمد بن الجسوري ثنا بن ابي دليم ثنا بن وضاح عن يحيى ابن ملك بن انس عن ابي الزبير المكي عن ابي شريح الكعبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ اياكم والظن فانه اكذب الكذب ﴾ وبه الى ملك عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن الاعرج عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ﴿ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت ﴾ وحدثني صاحبي ابو بكر محمد بن اسحق ثنا عبد الله بن يوسف الازدي يحيى بن عائد ثنا ابو عدي عبد العزيز بن علي بن محمد بن اسحق بن الفراء الامام بمصر ثنا ابو علي الحسن بن قاسم بن دحيم المصري ثنا محمد بن زكريا العلاني ثنا ابو العباس ثنا ابو بكر عن قتادة عن سعيد بن المسيب انه قال وضع عمرو بن الخطاب رضي الله عنه للناس ثمانين عشرة كلمة من الحديث ﴿ ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه ﴾ ولا تظن بكلمة خرجت من في امرئ مسلم شراً وانت تجد لها في الخير محملاً . فهذا اعزك الله ادب الله وادب رسوله صلى الله عليه وسلم وادب امير المؤمنين وباجلته فاني لا اقول

مرآة ولا انسك نسكاً اعجيباً ومن ادى الفرائض المأمور بها واجتنب المحارم
 بها عنها ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس فقد وقع عليه اسم الاحسان ودعني
 اسوى ذلك وحسبي الله. والكلام في مثل هذا انما هو مع خلاء الذرع
 فراغ القلب وان حفظ شيء وبقاء رسم وتذكر فائت لمثل خاطري لمعجب على
 امضى ودهمني فانت تعلم ان ذهني متقلب وبالي مهضم بما نحن فيه من نيو الديار
 الخلاء عن الاوطان وتغير الزمان ونكبات السلطان وتغير الاخوان وفساد
 وتبدل الايام وذهاب الوفير والخروج عن الطارف والتالد واقتطاع مكاسب
 الاجداد والغربة في البلاد وذهاب المال والجاه والفكر في صيانة الاهل
 والياس عن الرجوع الى موضع الاهل ومدامعة اللهو وانتظار الاقدار
 حلتنا الله من الشاكن الا اليه واعادنا الى افضل ماعودنا وان الذي ابقى لاكثر
 اخذ والذي ترك اعظم من الذي تحيف ومواهبه الحيطه بنا ونعمه التي غمرتنا
 الحمد ولا يودى شكرها والكل منحه وعطاياه ولا حكم لنا في انفسنا ونحن منه واليه
 نقبلنا وكل عارية فراجمة الى معيرها وله الحمد اولا وآخراً وعوداً وبدأً وانا اقول

جعلت اليأس لي حصناً ودرعاً فلم البس ثياب المستظام

واكثر من جميع الناس عندي يسير صانتي دون الانام

اذا ماصح لي ديني وعرضي فلست لما تولى ذا اهتمام

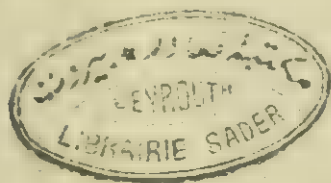
تولى الامس والغد لست ادري أأدركه ففيا ذا اغتنام

الحمد لله واياك من الصابرين الشاكرين الحامدين الذاكرين آمين آمين والحمد
 لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. كملت الرسالة
 في شهر ربيع الثاني سنة ثمان وثلاثين وبسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي جعل فينا من الخير ما لا يحصى ولا يدرى ولا يحيط به ولا يحصى
 له الشكر ولا يحصى له الثناء ولا يحصى له العيون منها تحسناً لها واطهاراً لحاسنها وتصغيراً لحجمها
 تسهلاً لوجدان المعاني الغريبة من لفظها بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وفرغ
 من نسخها مستهل رجب الفرد سنة ثمان وثلاثين وبسم الله الرحمن الرحيم .

❖ الفهرس ❖

صفحة

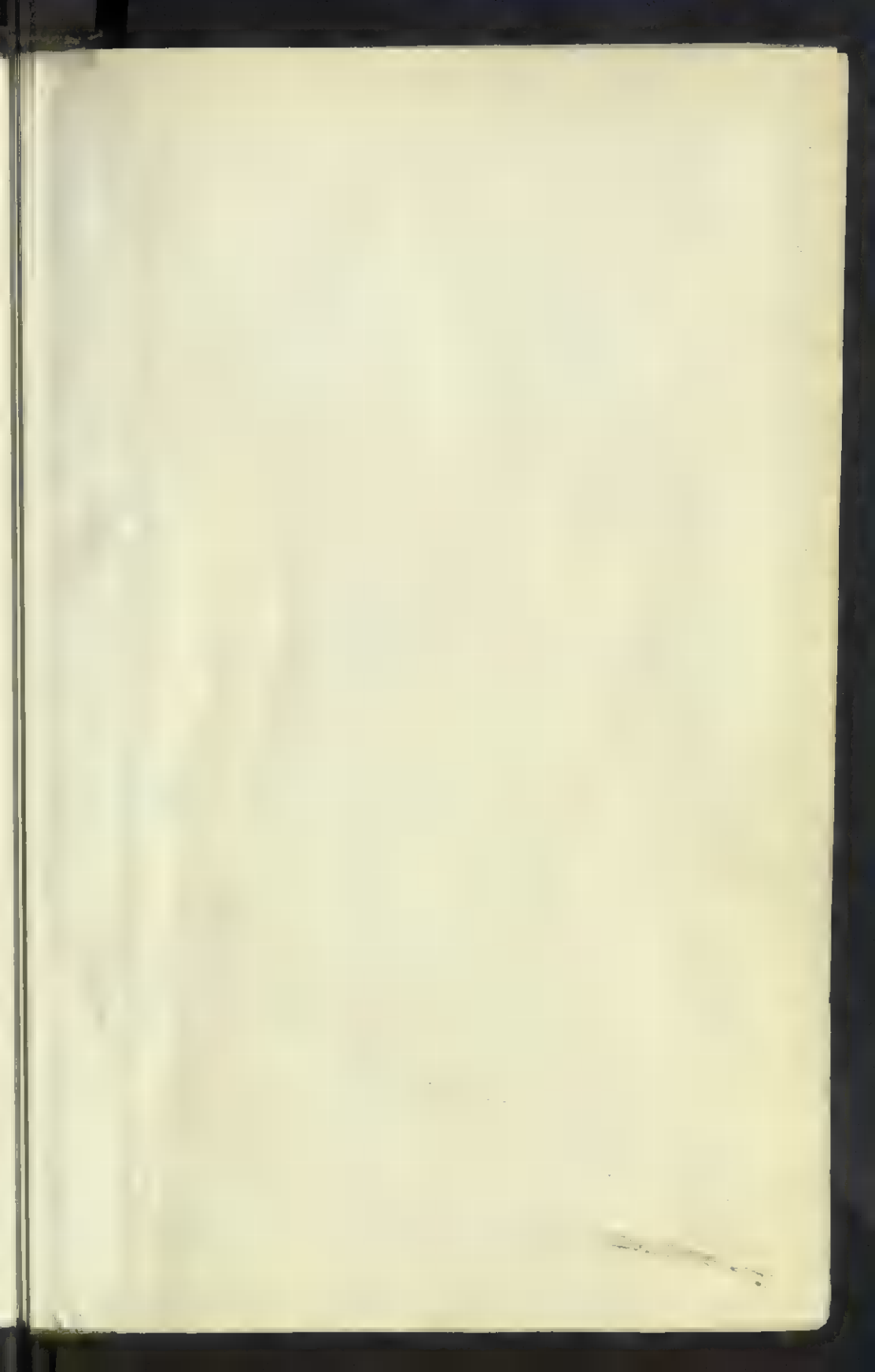
١	مقدمة المؤلف
٤	باب الكلام في ماهية الحب
١٠	: علامات الحب
١٧	: من احب في النوم
١٨	: من احب بالوصف
٢٠	: من احب من نظرة واحدة
٢٢	: من لا يحب الا مع المطاولة
٢٥	: من احب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها
٢٧	: التعريض بالقول
٢٩	: الاشارة بالعين
٣٠	: المراسلة
٣١	: السفير
٣٣	: طي السر
٣٦	: الاذاعة
٣٨	: ومن اسباب الكشف وجه ثالث

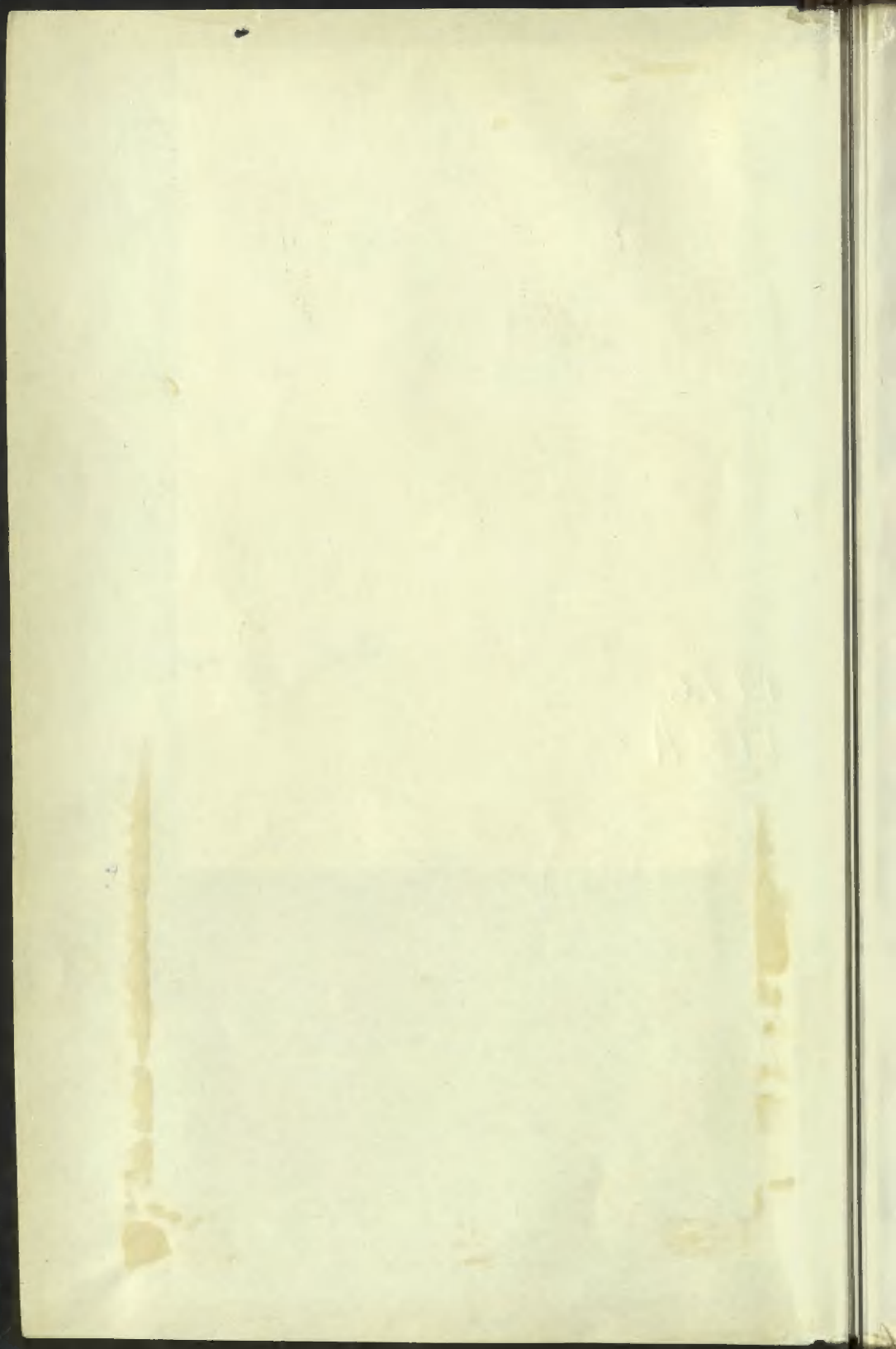


باب الطاعة	٣٩
: المخالفة — باب العاذل	٤٣
: المساعد من الاخوان	٤٤
: الرقيب	٤٧
: الواشي	٥٠
: الوصل	٥٦
: الهجر	٦٣
: الوفاء	٧٤
: البين	٨١
: القنوع	٩٣
: الضنى	١٠١
: السلو	١٠٤
: الموت	١١٥
: قبح المعصية	١٢١
: فضل التعفف	١٤١

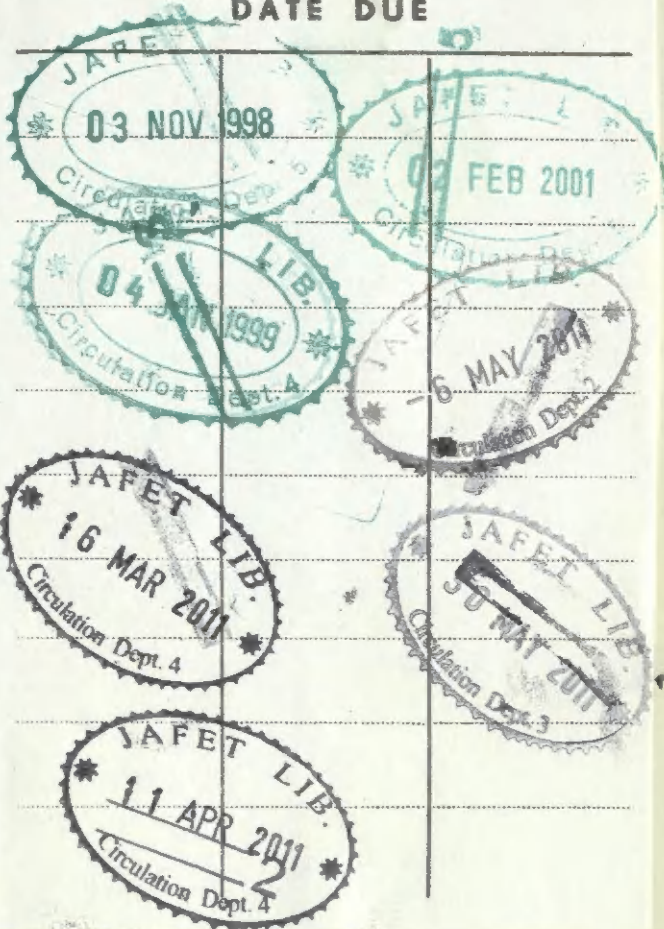
❧ اصلاح الخطأ وبيان الصواب ❧

ص	س	الخطأ	الصواب
١	٢٠	خير	حيره
٥	١١	تزوجها	تزوجها
١٦	٨	ابن	بن
٠٠	٢٣	حقر	حقرا
١٨	٨	الى	لي
٢٤	٢٢	سقاط	اسقاط
٢٨	٨	بغض	بعض
٣٠	١	احدهما	احدهما
٣١	١٩	يصبغ	بصبغ
٣٧	١٤	ينصرم	يتصرم
٠٠	٢٠	صفاه	صفاته
٣٩	٤	الا ف	الانف
٤٠	٦	وجفاه	وجفاء
٠٠	٢٠	ابن	ابي
٤١	١٤	عنقها	عتقها
٠٠	٢٠	الري الرد	الري
٤٣	١٤	الغضبا	القضا
٤٥	١٥	ويحد	ويجد
٤٦	٦	ظفرت	ظفرت
٤٨	٢٠	الحوارث	الحوادث





DATE DUE

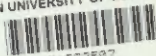


A. U. B. LIBRARY

177.6:I13tA:c.1

ابن حزم ،ابو محمد علي بن احمد
طوق الحمامة في الالف والالف

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01063507

177.6
I13tA

A. U. B. LIBRARY

